

للقطب الربانى والعلم الصمدانى

سيدى الشيخ عبد الوهاب

الشعرانى نفعنا الله

تعالى بهما

آمين

﴿ وبهامشه كتابان ﴾

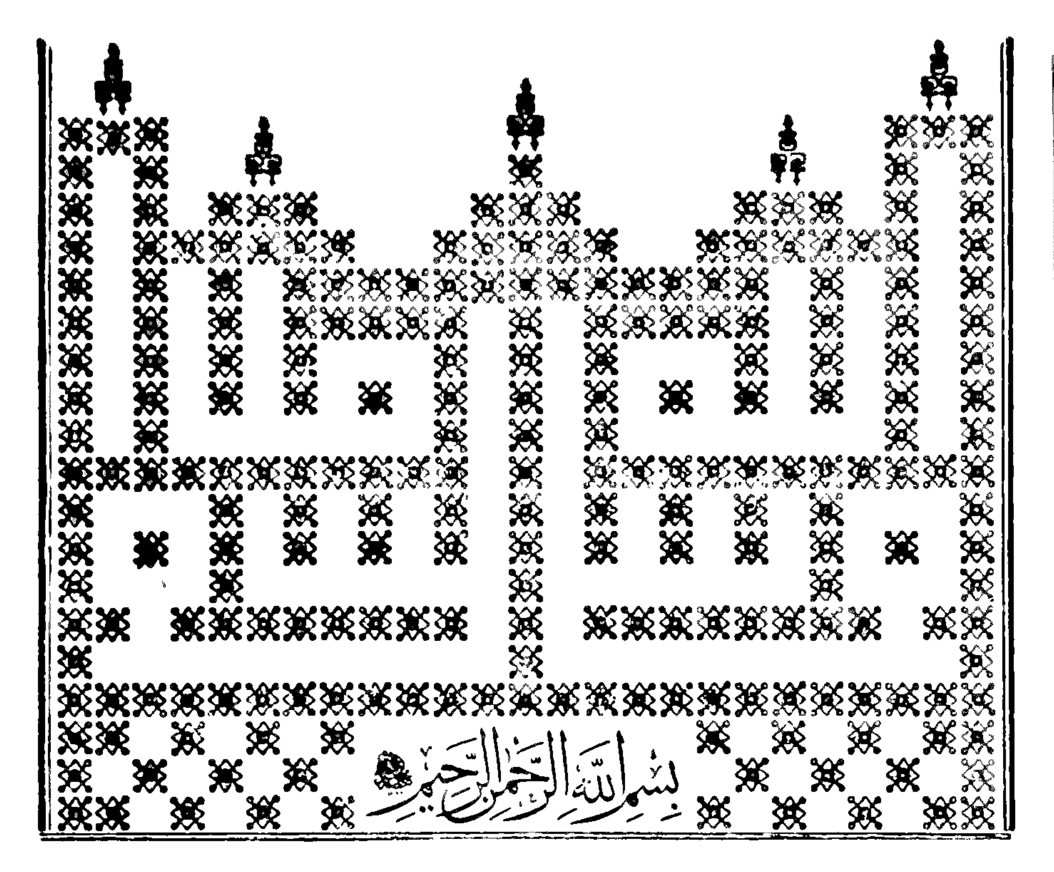
الأول « قرة العيون ومفرح القلب المحزون » للامام أبى الليث السمرقندى

والثانى « روح السنة وروح النفوس المطمئنة » لسيدى أحمد بن ادريس

رضى الله عنهما أجمعين

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابى الحلبى وشركاه



الحمد لله العلي الأعلى. الولي المولى. الذي خلق وأحيا. وحكم على خلقه بالموت والفناء. والبعث إلى دار الجزاء. والفصل إلى دار القضاء. لتجزى كل نفس بما تسعى. أحمده حمد من صبر على مر القضا. وأشكره شكر من رضي بقضاء ربه فكان له منه الرضا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد عرف أنه إلى ربه صائر وراجع. ومحاسب على كل عمل هو فيه مخادع. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي أنزل عليه في كتابه المكنون. إنك ميت وإنهم ميتون. اللهم فصل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكرهم الغافلون ﴿ وبعد ﴾ فهذا كتاب اختصرت فيه كتاب التذكرة للامام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي رضي الله تعالى عنه، بمعنى أني أحذف منه مالا يذكر بالموت والحساب من غريب ألفاظ واعراب مما هو مذكور في كتب اللغة والنحو فان كتب الرقائق لا ينبغي أن يكون فيها شيء من ذلك وكثيرا ما يكون القارئ يقرأ في كتب الرقائق والحاضرون يبكون فيحضر نحوي فيقول هذه الكلمة معطوفة على أي شيء فيحصل اللغط فيزول ذلك الخشوع والحزن لوقته ويذهب بالاعتبار، فهذا كان سبب اختصاري لهذا الكتاب ولحذف ما كان فيه خارجا عن ذكر الموت وأهواله كما يدل على ذلك تسمية الكتاب بالتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة فرحم الله تعالى من اعتبر بما سمعه منه وتذكر أمور الموت وما بعده وأحدث التوبة النصوح فلعله يموت على ذلك والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه، والحمد لله رب العالمين * ولنشرع في مقصود الكتاب فنقول وبالله التوفيق.

﴿ باب ما جاء في النهي عن تمني المسلم الموت والدعاء به لمصيبة تنزل في المال والجسد أو في الأهل والولد ﴾

روى مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به وان كان لا بد متمنيا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي وروى عن أنس أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن

يزداد

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ الباب الأول في عقوبة تارك الصلاة ﴾

قال الله عز وجل « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » وقال الله عز وجل « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا » وقال الله تعالى « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » قال ابن عباس رضي الله عنهما ويل واد في جهنم تستغيث جهنم من حره وهو مسكن من يؤخر الصلاة عن وقتها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين المسلم والمشرك إلا ترك الصلاة فاذا تركها أي جحدها كان كافرا. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تهاون بالصلاة

يزداد خيرا واما مسيئا فلعله أن يستعتب » أى يتوب ويترك الذنوب ويطلب رضا الله عنه قبل موته قال العلماء رضى الله عنهم وقد جعل الله الموت من أعظم المصائب وقد سماه الله تعالى مصيبة فى قوله تعالى « فأصابتكم مصيبة الموت » وذلك لانه تبدل من حال الى حال وانتقال من دار الى دار وهو المصيبة العظمى والرزية الكبرى وأعظم منه الغفلة عنه والاعراض عن ذكره وقلة التفكير فيه وترك العمل وقد أجمعوا على أن الموت وحده عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر وفى الحديث « لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا » وروى أن أعرابيا كان يسير على جمل له فخر الجمل ميتا فنزل الاعرابى عنه وجعل يدور به ويتفكر فيه ويقول له مالك لا تقوم مالك لا تنبعث هذه أعضاؤك كاملة وجوارحك سالمة ما شأنك ما الذى كان يحملك ما الذى كان يبعثك ما الذى صرعك ما الذى عن الحركة شغلك ثم تركه وانصرف عنه متفكرا فى شأنه ومتعجبا من أمره وأنشد :

جاءته من قبل الاله اشارة * فهوى صريعا لليدين وللفم * ورمى بمحكم درعه وبرمحه
وامتد ملقى كالفنيك المعظم * لا يستجيب لصارخ إن يدعه * أو قام لا يرجى لخطب معظم
ذهبت بسالته ومر مرامه * لما رأى خيل المنية ترتمى * ياويله من فارس ما باله
ذهبت مروءته ولم يتكلم * هذى يداه وهذه أعضاؤه * ما فيه من عضو غدا متثلم
هيهات ما خيل الردى محتاجة * للمشرفى ولا البنان المقدم * هى حكم أمر الاله وحكمه
والله يقضى بالقضاء المحكم * ياحسرة لو كان يقدر قدرها * ومصيبة عظمت ولما تعظم
خبر علمنا كلنا بمكانه * وكأننا فى حالنا لم نعلم

وروى الحكيم الترمذى رحمه الله « أن آدم عليه السلام لما مات له ولد قال ياحواء قدمات ابنك قالت وما الموت قال يصير الشخص لا يأكل ولا يشرب ولا يقوم ولا يقعد فرنت له حواء عليها السلام عند ذلك فقال عليك الرنة وعلى بناتك وأنا وبنى منها براء » وروى أن ملك الموت جاء الى ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ليقبض روحه فقال ابراهيم لملك الموت هل رأيت خليلا يقبض روح خليله فعرج ملك الموت الى ربه سبحانه وتعالى فقال قل له فهل رأيت خليلا يكره لقاء خليله فرجع اليه فقال فاقبض روحى الآن وكان أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه يقول ما من مؤمن الا الموت خير له فمن لم يصدقنى فليقرأ قوله تعالى « وما عند الله خير للأبرار » وقال حسان بن الاسود انما كان الموت خير المؤمن لان فيه وصول الحبيب الى الحبيب والله أعلم .

﴿باب ذكر جواز تمنى المسلم الموت والدعاء به إذا خاف ذهاب شىء من دينه﴾

قال الله تعالى مخبرا عن قول يوسف عليه الصلاة والسلام لما نال الرسالة والملك « توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » وقالت مريم عليها السلام « ياليتنى مت قبل هذا » وروى الامام مالك رضى الله عنه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه » وفى الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقول فى دعائه « اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بالناس فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون » وروى مالك رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يدعو اللهم قد ضعفت قوتى وكبر سنى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مقصر فما تجاوز ذلك حتى قبضه الله تعالى . وكان أبو عبد الله الغفارى اذا رأى قوما يفرون من الطاعون يقول ياطاعون خذنى اليك يكرر ذلك ثلاثا ويقول لمن عتبه على ذلك أما سمعت رسول الله ﷺ يقول « بادروا بالموت ستا امرة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافا (١) وقطيعة الرحم وقوما يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليغنيهم بالقرآن وان كان أقلهم فقها » والحمد لله رب العالمين.

(١) قوله واستخفافا وقطيعة الخ كذا بالنسخ التى بأيدينا ولعلها واستخفافا بالدين أو نحو ذلك اهـ .

عاقبه الله تعالى بخمس عشرة عقوبة ستة منها فى الدنيا وثلاثة عند الموت وثلاثة فى القبر وثلاثة عند خروجه من القبر فأما الستة التى تصيبه فى الدنيا فالاولى ينزع الله البركة من عمره والثانية يمسح الله سيما الصالحين من وجهه والثالثة كل عمل لا يأجره الله سبحانه وتعالى عليه والرابعة لا يرفع الله عز وجل له دعاء الى السماء والخامسة تمقته الخلائق فى دار الدنيا والسادسة ليس له حظ فى دعاء الصالحين وأما الثلاثة التى تصيبه عند الموت فالاولى أنه يموت ذليلا والثانية أنه يموت جائعا والثالثة أنه يموت عطشان ولو سقى مياه بحار الدنيا ما روى من عطشه وأما الثلاثة التى تصيبه فى قبره فالاولى يضيق الله عليه قبره ويعصره حتى تختلف أضلاعه والثانية يوقد عليه فى قبره نار يتقلب فى جمرها ليلا ونهارا والثالثة يسلط الله عليه ثعبانا يسمى الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر

﴿ باب استحباب الإكثار من ذكر الموت وماجاء فى الاستعداد له ﴾

روى النسائى وابن ماجه وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ «أكثروا من ذكر هاذم اللذات» يعنى الموت كما جاء فى رواية مرفوعة وروى مالك وابن ماجه أن رجلا من الانصار قال يارسول الله أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال أى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الاكياس . وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال «أكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه يمحص القلوب ويزهد فى الدنيا» وكان ﷺ يقول «كفى بالموت واعظا» وفى الحديث أنهم قالوا يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال «نعم من تذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة» وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ينشد :

لاشئ مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويفنى المال والولد * لم تغن عن هرم يوما خزائنه
والخلد حاوله عاد فما خلدوا * ولا سليمان اذ تجرى الرياح له * والجن والانس فيما بينها بردوا

أين الملوك التى كانت لعزتها * من كل أوب اليها وافد يرد
حوض هنالك مورود بلا كذب * لابد من ورده يوما كما وردوا

اعلموا أيها الاخوان أن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج وطلب الخروج من هذه الدار الفانية والتوجه فى كل لحظة الى الدار الباقية . وقالوا لاينفك الانسان فى هذه الدار عن حالتين ضيق وسعة ونعمة ونقمة فيحتاج الى ذكر الموت ليخفف عنه بعض ماهو فيه من صعوبة الشدة وغفلة النعمة . وقالوا فى ذكر الموت قصر الامل وانتظار الاجل . وقالوا ليس للموت نفس معلوم ولا مرض معلوم ولا زمن معلوم ولهذا استعدله الاكياس وصاروا على أهبة . وبلغنا أن رجلا كان ينادى طول الليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى فقد أمير المدينة صوته فسأل عنه فقالوا له قد مات فأنشد يقول :

مازال يلهج بالرحيل وذكره * حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه مستيقظا متشمرا * ذا أهبة لم تلهه الآمال

وقد كان يزيد الرقاشى رحمه الله يعاتب نفسه ويقول لها : ويحك يانفس ما الذى يصلى عنك بعد الموت ما الذى يصوم عنك بعد الموت وهكذا ثم يقول أيها الناس ألا تبكون وتنتحبون على أنفسكم بقية عمركم فمن كان الموت موعده والقبر بيته والثرى فراشه والدود مؤنسه وخوف الفزع الاكبر يزعجه كيف يلتذ بمنام ثم يبكى حتى يخر مغشيا عليه . وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه يجمع الفقهاء ويتذاكرون الموت وأهوال يوم القيامة وسوء الحساب والمرور على الصرط ويبكى أحدهم حتى كأن بين يديه جنازة . وكان سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه اذا ذكر الموت لاينتفع أحد به أياما عديدة ولا يأكل ولا يشرب وكان اذا سئل عن شئ يقول لاأدرى . وكان على بن الفضيل بن عياض اذا ذكر الموت تكاد تنقطع مفاصله من الاضطراب . وكان يوسف بن أسباط اذا شيع جنازة يكاد يموت فيرجعون به فى النعش الى داره . وكان محمد اللفاف رضى الله تعالى عنه يقول من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة وقناعة النفس والنشاط فى العبادة ، ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء : تسويف التوبة والشره فى الدنيا والتكاسل عن الطاعة * فبالله عليكم أيها الاخوان تفكروا فى الموت وسكرته ومرارة كأسه وصعوبته فانه مقرح للقلوب ومبك للعيون ومفرق للجماعات وهاذم للذات وقاطع للاقنيات ، وتفكروا فى يوم مصرعكم وانتقالكم من بيوتكم وقصوركم وخروجكم من سعة الدور الى ضيق القبور وخيانة الصاحب والرفيق وهجر الأخ والصديق ونقلكم من فوق فرشكم أو غطائكم الناعم ووضعكم على التراب الخشن والمدر اليابس ثم

مسيرة يوم فيقول له أنا الشجاع الاقرع وصوته مثل الرعد القاصف ويقول أمرنى ربى أن أضربك على تضييع صلاة الصبح من الصبح الى الظهر وأضربك على تضييع صلاة الظهر من الظهر الى العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر من العصر الى المغرب وأضربك على تضييع صلاة المغرب من المغرب الى العشاء وأضربك على تضييع صلاة العشاء من العشاء الى الصبح كلما ضربه ضربة يغوص فى الارض سبعين ذراعا فيدخل أظفاره تحت الارض ويخرجه فلا يبرح تحت الضرب الى يوم القيامة فنعوذ بالله من عذاب القبر وأما الثلاثة التى تصيبه يوم القيامة فالأولى يسلط الله عليه من يسحبه الى نار جهنم على حر وجهه والثانية ينظر الله تعالى اليه بعين الغضب وقت الحساب فيقع لحم وجهه والثالثة يحاسبه الله عز وجل حسابا شديدا ماعليه من مزيد سرمدا طويلا

يرجعون عنكم إلى أكلهم وشربهم وضحكهم وشهواتهم كأنهم لم يعرفوكم * وكان بعض الزهاد يقول ياجامع المال ويامجتهدا فى البنيان ليس لك من مالك الا الأكفان والذهاب ولامن دورك الا الخراب فهل أنقذك ما جمعته من المال من شيء من الأهوال كلا بل تركته لمن لا يحمدك وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك وأنشدوا فى ذلك :

نصيبك مما تجمع الدهر كله * رداآن تلوى فيهما وحنوط

وقال آخر : انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن

وفى الحديث مرفوعا « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى » وكان الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه يقول لاتكونوا من قوم أهلكتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ومالهم حسنة ويقول أحدهم إنى لأحسن الظن بربى وقد كذب فانه لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل على الطريقة المستقيمة كما أشار اليه قوله تعالى « وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم » الآية وكان بقية بن الوليد رضى الله تعالى عنه يكتب إلى اخوانه ويقول لهم : اياكم والغرور فتؤملون البقاء وطول العمر وتعملون السيئات وتتمنون على الله الأمانى ومن فعل مثل ذلك فكأنه يضرب فى حديد بارد فاعلموا ذلك أيها الاخوان وقوموا لله الواحد الديان فانه قريب الاحسان حتى تتورم منكم الأقدام والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء فى أمور تذكر الموت والآخرة وتزهد فى الدنيا ﴾

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الموت. وروى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة » وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه مر على مقبرة فلما أشرف عليهم قال : يا أهل القبور أخبرونا عنكم أو نخبركم أما خبر ما قبلنا فالمال قد اقتسم والنساء قد تزوجن والمساكن قد سكنها قوم غيركم ثم قال ألا والله لو أنهم استطاعوا لقالوا لم نر زادا خيرا من التقوى ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول :

يا عجبا للناس لو فكروا * وحاسبوا أنفسهم وأبصروا * وعبروا الدنيا إلى غيرها
فانما الدنيا لهم معبر * لا فخر الا فخر أهل التقى * غدا إذا ضمهم المحشر
لتعلمن الناس أن التقى * والبر كان خير ما يذخر * عجبت للانسان فى فخره
وهو غدا فى قبره يقبر * ما بال من أوله نطفة * وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما * يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره * فى كل ما يقضى وما يقدر

(واعلموا) ياأيها الاخوان أن القلب القاسى يلين ان شاء الله تعالى بأمور * منها زيارة القبور وحضور مجالس الوعظ من العلماء والصالحين وسماع أخبار من مضى من العباد والزهاد * ومنها ذكر الموت الذى هو هاذم اللذات أى قاطعها ومفرق الجماعات بعد رغد عيشها وميتم البنين والبنات بعد عزهم بوالديهم (وقد بلغنا) أن امرأة دخلت على عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت: يا أماه مادواء القلب القاسى فقالت لها : دواؤه أن تكثرى من ذكر الموت ففعلت ذلك فرق قلبها فشكرت فضل عائشة على ذلك * ومن فوائد ذكر الموت أيضا ردع الانسان عن ارتكاب المعاصى وترك الفرح بالدنيا وتهوين المصائب فيها. وتأمل يا أخى أن من ثبت عليه مايوجب القود ثم سحب إلى القتل لا يصير له داعية إلى فعل شيء من

ويأمر الله عزوجل به إلى النار وبئس القرار وقال النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة ميزانك ومنتهى كيلك فاذا وفيت نجيت وإذا نقصت عذبت وقال رسول الله ﷺ : من صلى الصبح فى جماعة أربعين يوما لم تفته ركعة واحدة كتب الله له براءة من النار وبراءة من النفاق. وقال رسول الله ﷺ : من صلى الصبح فى جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس بنى الله له قصرا فى جنة الفردوس الأعلى وقيل سبعين قصرا لكل قصر سبعون بابا من ذهب وفضة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما مثل الصلاة كنهر جار على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات وهل يبقى عليه درن قالوا لا قال فكذلك الصلاة تغسل الذنوب . وقال النبى صلى الله عليه وسلم: من واظب على الصلوات الخمس بوضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ويعترف

المعاصى ولا نظر لشىء من زينة الدنيا وشهواتها وتهون عليه كل مصيبة بخلاف من كان طويل الأمل فيها فانه يكون بالضد من ذلك * ومنها أى من الأمور المذهبة لقساوة القلب مشاهدة المحتضرين فان النظر إلى سكراتهم ونزعاتهم ومعالجتهم فى طلوع الروح وشدة كربهم أعظم عبرة فان الانسان عن قريب يقع له مثل ذلك ومن لم يتعظ بالموتى فلا تنفعه موعظة . وقد روى أن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه دخل على مريض يعوده فوجده يعالج سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به ثم رجع إلى أهله متغير اللون فقدموا اليه طعاما فقالوا له ألا تأكل من هذا الطعام فقال لهم كلوا أنتم طعامكم فانى رأيت ما شغلنى عن مثل ذلك (وبلغنا) أنه رأى شخصا يأكل رغيفا بين القبور فقال له أما كان فى مشاهدتك لهذه القبور عبرة تمنعك من شهوة الأكل (قال) العلماء رضى الله تعالى عنهم : وينبغى لمن يزور القبور أن يكون جوعان فان الشبع يحجب العبد عن الاعتبار بالموتى وأن يكون غير عازم على فعل شىء من المعاصى فان العازم فى حضرة الشياطين فلا يصح منه اعتبار وأن يكون زاهدا فى الدنيا فان الراغب فيها من لازمه قساوة القلب ولذلك عدم غالب الناس الاتعاظ برؤية القبور وربما زار أحدهم أولياء القرافتين مثلا ولم يحصل عنده بكاء ولا رقة لأن غالب الناس صاروا يجعلون ذلك وسيلة إلى الاجتماع ببعضهم بعضا كالمواضع التى يتنزهون فيها من الأنهار والبساتين . فزر يا أخى القبور وأنت متفكر فيما اليه مصيرك كما كان عليه السلف الصالح ، مسلم عليهم وأنت حاضر القلب خاشع بقولك السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون قاصدا بالمشيئة سرعة اللحوق بهم لأن الموت محقق لا يدخله مشيئة عادة . واياك والمشى على قبور المسلمين بنعل أو بهيمة لاسيما ان بالت أو راثت فان ثواب زيارتك كلها قد لا يساوى بول دابتك على مسلم واحد * فاذا وقف الزائر على قبر يزوره فليعتبر به كيف صار تحت التراب وانقطع عن الأهل والأحباب وعدم رد الجواب وصار يتمنى أنه يرجع الى الدنيا فيعمل صالحا فلا يجاب وان كان قبر سلطان أو أمير فينظر إلى حصول ذلك الذل بعد العز بعد أن قاد الجيوش والعساكر وتأنس بالأصحاب والعشائر وجمع الأموال والذخائر ثم أتاه الموت بغتة على غير ميعاد فلم يتركه يتهيأ للزاد . وان كانت المقبرة مما دفن فيها اخوته وأصحابه . فليتأمل الى ما كانوا فيه من بلوغ الآمال وجمع الأموال . وبناء الدور وغرس البساتين وصحة الأجسام ولذيذ الطعام وينظر كيف انقطعت آمالهم ولم تغن عنهم دورهم وأموالهم وكيف محا التراب محاسن وجوههم وكيف تفرقت فى الأرض أعضاؤهم وسائر أجزائهم وكيف ترملت من بعدهم نساؤهم وتيتمت أطفالهم وذلوا بعدهم بعدما كانوا فيه من العز فى حياتهم وليحذر من الاغترار بالصحة وطول الأمل فقد رأينا أصحابنا كلهم أتاهم الموت على غير ميعاد ولم يكن فى أمل أحد منهم أنه يموت تلك الأيام فعن قريب يقع لأحدنا ما وقع لهم ويندم أحدنا حيث لا ينفعه الندم (وكان) الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه يقول إذا وقف أحدكم على المقابر فليتأمل فى حال أهلها وكيف سالت عيونهم على خدودهم وأكل الثرى ألسنتهم بعد أن كان أحدهم يصول على الناس ببلاغته وفصاحته وكيف انتثرت أسنانه فى التراب . قال بعض العارفين وإذا كان أحد من الموتى مسرفا على نفسه وزاره أحد لا ينصرف من قبره حتى يشفع فيه عند الله عز وجل ويجد أمارات القبول كما زار صلى الله عليه وسلم قبر أمه وأبيه وسأل الله تعالى أن يحييهما حتى يؤمنا به ففعل ذلك لكونهما ماتا فى أيام الفترة فكان فى ذلك كمالهما وكأنهما أدركا زمن رسالته ﷺ وآمنا به وكذلك ذكر سلمة بن سعيد الجعفى رضى الله تعالى عنه أن الله تعالى أحيا للنبى ﷺ عمه أبا طالب وآمن به وكراماته ﷺ ومعجزاته أكثر من ذلك . وقد صنف شيخنا الحافظ جلال الدين السيوطى فى ذلك عدة مؤلفات وذكر أنى عشر حافظا قال كل منهم بذلك وهو اعتقادنا الذى نلقى الله تعالى به ان شاء الله تعالى . والحمد لله رب العالمين .

أنها حق الله سبحانه وتعالى حرم الله عز وجل جسده على النار . وقال صلى الله عليه وسلم من حافظ على الصلاة كانت له تجارة يوم القيامة ونورا وبرهانا ومن لم يحافظ على الصلاة لم تكن له تجارة يوم القيامة ولا نورا ولا برهانا ولا أمانا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يمسح أحدكم وجهه من التراب إذا سجد فى الصلاة فان الملائكة تصلى عليه ما دام أثر السجود فى وجهه وجبهته وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كانت روح النبى صلى الله عليه وسلم فى صدره وهو يقول أوصيكم بالصلاة وما ملكت أيمانكم فما برح يوصى بها حتى انقطع كلامه صلى الله عليه وسلم وقال النبى صلى الله عليه وسلم : إذا ترك الرجل فريضة واحدة متعمدا كتب اسمه على باب النار فلان لا بد له من دخوله النار وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محروما

باب المؤمن يموت بعرق الجبين

روى ابن ماجه وغيره عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «المؤمن يموت بعرق الجبين» وقال الترمذي انه حديث حسن . وروى الحكيم الترمذي فى نوادر الأصول عن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ارقبوا الميت عند موته ثلاثا ان رشحت جبينه وذرفت عيناه وانتشر منخراه فهى رحمة من الله تعالى قد نزلت به وان غط غطيط البقر المخنوق وخمد لونه وأزبد شدقاه فهو عذاب من الله تعالى قد حل به» وكان عبد الله يقول : ان المؤمن ربما بقيت عليه خطايا من خطاياه فيجازى بها عند الموت فيعرق لذلك جبينه . وقال غيره انما يعرق جبينه حياء من الله عزوجل حين يغفر له ويسامحه فيخجل عند ذلك فيعرق ، ومامن ولى ولا صديق ولا بر إلا وهو يستحى من ربه عزوجل اذا قدم عليه ورأى اساءته واحسان ربه اليه مع تلك الاساءة فى جناب ربه عزوجل . وكان عبد الله بن مسعود يقول قد يكون عرق جبين المؤمن من بقية تبق عليه من الذنوب فيجازى بها عند الموت أى يشدد ويمحص بها عنه ذنوبه ليفارق الدنيا على الشدة ويطلب الخروج منها الى حضرة ربه عزوجل . قال الامام القرطبى رحمه الله تعالى وقد تظهر العلامات الثلاث التى قد ذكرناها وقد تظهر عليه واحدة أو اثنتان وقد شاهدنا عرق الجبين وحده وذلك بحسب تفاوت الأعمال . والله سبحانه وتعالى أعلم

باب ماجاء أن للموت سكرات وفى تسليم الأعضاء بعضها على بعض وفيما يصير الإنسان اليه

روى البخارى وغيره عن عائشة رضى الله تعالى عنها «أن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يده المباركة فيها ويمسح بها وجهه ويقول لا إله الا الله ان للموت لسكرات ثم نصب ﷺ يده وجعل يقول فى الرفيق الأعلى حتى قبض ﷺ ومالت يده وكانت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول ما أغبط أحدا يهون موته بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ» أخرجه الترمذى وفى البخارى عنها قالت مات رسول الله ﷺ وانه لبين حاقنتى وذاقنتى فلا أكره شدة الموت لأحد بعد رسول الله ﷺ والحاقنة المطمئن بين الترقوة والحلق والذاقنة نقرة الذقن وقيل غير ذلك . وروى ابن أبى شيبة فى مسنده عن جابر رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «تحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج فانه كانت فيهم أعاجيب ثم أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا قال خرجت طائفة منهم يعنى بنى إسرائيل فأتوا مقبرة من مقابرهم فقالوا لو صلينا ركعتين وسألنا الله عزوجل أن يخرج لنا بعض الأموات فيخبرنا عن الموت قال ففعلوا فبيناهم كذلك إذ طلع رأس رجل من قبر أسود اللون حاسرا بين عينيه أثر السجود فقال ياهؤلاء ما أردتم ؟ لقد مت من مائة سنة وماسكنت عنى حرارة الموت الى الآن فادعوا الله أن يردنى كما كنت» وفى الحديث مرفوعا «ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقنى وأفارقك الى يوم القيامة» وروى أن الله تعالى قال لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ياخليلى كيف وجدت الموت قال كسفود محمى جعل فى صوف رطيب مبلول ثم جذب قال أما إنا قد هوناه عليك وروى أن موسى عليه الصلاة والسلام لما صارت روحه الى الله عزوجل قال له ربه ياموسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسى كالعصفور الحى يقلى على المقلاة لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير وفى رواية قال وجدت نفسى كشاة تسلخ بيد القصاب . وفى الحديث «ان الموت أشد من ضرب السيوف ونشر المناشير وقرض المقاريض» وفى رواية للحافظ أبى نعيم مرفوعا عن النبى ﷺ أنه قال «والذى نفسى بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف» وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول للحواريين ادعوا الله تعالى أن يهون عليكم سكرات الموت . وفى حديث أبى حميد الطويل مرفوعا «إن

ثم قال أتدرون من الشقى المحروم قالوا الا يارسول الله قال الشقى المحروم تارك الصلاة لأنه لاحظ له فى الاسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تارك الصلاة على صحته لا يقبل الله توحيده ولا أمانته ولا صدقته ولا صيامه ولا شهادته وقد تبرأ الله منه والملائكة والمرسلون وقال النبى صلى الله عليه وسلم تارك الصلاة على صحته لا ينظر الله اليه ولا يزكيه وله عذاب أليم الا أن يتوب ويرجع الى الله سبحانه وتعالى فيتوب الله عليه وقال النبى صلى الله عليه وسلم عشرة من أمتى يسخط الله عليهم يوم القيامة ويأمر الله بهم الى النار ووجوههم عظام بلا لحم فقيل يارسول الله من هم فقال شيخ زان وإمام ضال ومدمن خمر وعاق لوالديه والماشى بالنميمة وشاهد الزور ومانع الزكاة وآكل الربا والظالم وتارك الصلاة الا أن تارك الصلاة يضاعف له العذاب يحشر يوم القيامة وقد غلت يداه الى عنقه والملائكة يضربون وجهه ودبره

الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو فى الصحارى والبرارى من شدة سكرات الموت» وفى الحديث «ان ملك الموت عليه السلام اذا تولى الله تعالى قبض روحه بعد موت جميع الخلائق يقول وعزتك وجلالك لو علمت من سكرة الموت ما أعلم الآن ماقبضت نفس مؤمن» وفى الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن الموت وشدته فقال ان أهون الموت بمنزلة حسكة كانت فى صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها شىء من الصوف (ولما) حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه ياأبتاه انك كنت تقول ياليتنى كنت ألقى رجلا عاقلا لبيبا عند نزول الموت حتى يصف لى ما يجد وأنت ياأبت ذلك الرجل فصف لى الموت فقال والله يابنى كأن جسمى فى جب من نار وكأنى أتنفس من خرم إبرة وكأن روحى غصن شوك يجذب من قدمى الى دماغى ثم أنشد يقول:

ليتنى كنت قبل ماقد بدالى * فى قلال الجبال أرعى الوعولا

وفى الحديث مرفوعا «لو أن الشعرة واحدة من الميت وضع على أهل السموات والأرض لماتوا جميعا» وأنشد بعضهم يقول: أذكر الموت ولا أرهبه * ان قلبى لغليظ كالحجر

أطلب الدنيا كأنى خالد * وورائى الموت يقفو للأثر * وكفى بالموت فاعلم واعظا

لمن الموت عليه قد قدر * والمنايا حوله ترصده * ليس ينجى المرء منهن المفر

وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه يقول بلغنى والله أعلم ان ملك الموت ينظر فى وجه كل آدمى كل يوم ثلثمائة نظرة وستا وستين نظرة . وبلغنى أيضا أن ملك الموت ينظر فى كل بيت تحت أديم السماء سبعمائة مرة . وبلغنى أن ملك الموت رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض وان الدنيا كلها فى يد ملك الموت كالقصعة بين يدى أحدكم يأكل منها وبلغنى أن ملك الموت يكون قائما وسط الدنيا فينظر الى الدنيا كلها برها وبحرها وجبالها وهى بين يديه كالبيضة بين رجلى أحدكم . وبلغنى أن لملك الموت أعوانا والله أعلم بهم ليس منهم ملك إلا لو أذن له الحق جل وعلا أن يلتقم السموات والأرض فى لقمة لفعل . وبلغنى أن ملك الموت تفزع منه الملائكة أشد من فزع أحدكم من السبع الضارى . وبلغنى أن حملة العرش اذا قرب ملك الموت منهم يذوبون حتى يصير أحدهم مثل الشعيرة من الفزع منه . وبلغنى أن ملك الموت ينزع روح ابن آدم من تحت عضوه وظفره وشعره ولا تصل الروح من مفصل الى مفصل الا وهو عليه أشد من ألف ضربة بالسيف وطعنة بالسنان وبلغنى أنه لو وضع وجع شعرة واحدة من الميت على أهل السموات والأرض لماتوا وذابوا حتى اذا بلغت الروح الحلقوم تولى قبضها ملك الموت . وبلغنى أن ملك الموت اذا قبض روح المؤمن جعلها فى حريرة بيضاء ومسك أذفر واذا قبض روح الكافر جعلها فى خرقة سوداء فى فخار من نار أشد نتنا من الجيفة انتهى * فمثل نفسك ياأخى وقد حلت بك السكرات ونزل بك الأنين والغمرات فمن قائل يقول ان فلانا قد أوصى ومن قائل يقول ان فلانا ثقل لسانه ونسى جيرانه ولا يكلم اخوانه وهو يسمع الخطاب ولا يقدر على رد الجواب . وقد دخلت بنت على أبيها وهو محتضر فأنشدت تقول :

حبيبى أبى من لليتامى تركتهم * كافراخ زغب فى بعيد من الوكر

وكذلك مثل نفسك ياأخى وقد أخذت من فراشك الى لوح مغتسلك وجردوك من أثوابك وقدموا لك كفنك ثم غسلوك وألبسوك الأكفان وبكى عليك الأهل والجيران وفقدت الأصحاب والاخوان وقال الغاسل أين زوجة فلان تودعه وتحالله الآن ودخلت فى خبر كان عند فلان . وأنشدوا :

ألا أيها المغرور مالك تلعب * تؤمل آمالا وموتك أقرب * وتعلم أن الحرص بحر مبعد سفينته الدنيا فإياك تعطب * وتعلم أن الموت يأتيك مسرعا * تذوق شرابا طعمه ليس يعذب كأنك توصى واليتامى تراهم * وأمهم الثكلى تنوح وتندب * تعض يديها ثم تلطم وجهها

وجنبه وتقول له الجنة لست منى ولا أنا منك وتقول له النار أنا منك وأنت منى ومن أهلى ادن منى فوالله لأعذبنك عذابا شديدا فعند ذلك تفتح له نار جهنم فيدخل فى بابها كالسهم السريع فيهوى على أم رأسه فيها الى فرعون وهامان وقارون فى الدرك الأسفل من النار (وقال) صلى الله عليه وسلم لاتحل الزكاة لتارك الصلاة ولا تساكنوه ولا تجالسوه فان اللعنة تنزل عليه من السماء (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم رأيت رجلا من أمتى جاءه الموت وكان بارا بوالديه فرد عنه بر والديه سكرات الموت ورأيت رجلا من أمتى قد سلط عليه عذاب القبر فجاءه الوضوء فأنقذه ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الزبانية فجاءته الملائكة بذكر الله سبحانه وتعالى الذى كان يذكره ويسبح به فى الدنيا فخلصته منهم ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فخلصته ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشا

تراها رجال بعدما هى تحجب * وجاءوك بالاكفان نحوك يقصدوا * يصبوا عليك الماء والعين تسكب

قال العلماء رضى الله تعالى عنهم وانما شدد الله على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم والأولياء طلوع روحهم زيادة فى رفعة درجاتهم وانما شدد على غيرهم من المسلمين كفارة لهم أو عقوبة على ذنوبهم كما سبق به علم الله عز وجل والا فالحق سبحانه وتعالى كان قادرا أن يعطيهم تلك الدرجات من غير ابتلاء والله أعلم * فقد علمتم أيها الاخوان أن الموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع والكأس التى طعمها أمر وأبشع وأنه الحادث الهادم للذات والأقطع للراحات والأجلب للمكريهات والمفرق للأعصاب والأعضاء. وقد حكى عن الرشيد رحمه الله تعالى أنه لما اشتد مرضه أحضر طبيبا طوسيا واضحا فارسيا فأمر أن يعرض عليه بوله مع أبوال كثيرة لمرضى وأصحاء فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد فقال قولوا لصاحب هذا البول يوصى فانه قد انحلت قواه وتداعت بنيته فيئس الرشيد من نفسه وأنشد يقول :

ان الطبيب له علم يدل به * ما دام فى أجل الانسان تأخير

حتى إذا ما انقضت أيام مهلته * حار الطبيب وخانته العقاقير

ثم دعا بأكفان فتخير له منها كفنا وأمر أن يحفروا له قبرا أمام فراشه وقال « ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه » فمات من ليلته * فرحم الله تعالى من اعتبر بمن قدمات على غفلة فكأنه بنفسه وقد جاءه الموت كذلك ثم أدخلوه حفرة مظلمة كثيرة الهوام والديدان وتمكن منك الاعدام واختلطت بالرغام وصرت ترابا تطوه النعال والأقدام وربما عملوا منك اناء فخار وبنى بك أحد جدار دار أو طلوا بك ماء نجسا أو موقودا بالنار فقد بلغنا عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه أتى باناء ليشرب منه فأخذه بيده ونظر فيه وقال كم فيك من طرف كحيل وخد أسيل (وحكى) أن رجلين تنازعا فى أرض وتخاصما عليها فأنطق الله تعالى لبنة من حائط تلك الأرض وقالت ياهذان انى كنت ملكا من الملوك ملكت الدنيا ألف عام وبنيت ألف مدينة وتزوجت ألف بكر ثم مت وصرت ترابا فبقيت كذا وكذا ألف سنة ثم أخذنى فاخورى فعمل منى اناء فاستعملونى حتى تكسرت ثم بقيت ترابا ألف سنة ثم أخذنى رجل فضربنى لبنة فجعلنى فى هذه الحائط ففيم تنازعكما وفيم تخاصمكما والحكايات فى ذلك كثيرة فاعلموا ذلك أيها الاخوان والحمد لله رب العالمين .

باب الموت كفارة لكل مسلم

روى أبو نعيم بسند حسن صحيح عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الموت كفارة لكل مسلم » قال العلماء وانما كان الموت كفارة لكل مسلم لما يلقاه فى مرضه وفى قبره من الألم بقرينة قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث مسلم « مامن مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله بها سيئاته كما تحط الشجرة اليابسة ورقها » وروى مالك فى الموطأ مرفوعا « من يرد الله به خيرا يصب منه » وفى الحديث أيضا « يقول الله عز وجل وعزتى وجلالى لاأخرج عبدا من الدنيا وأريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقما فى جسده أو مصيبة فى أهله وولده أو ضيقا فى معيشته واقتارا فى رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فان بقى عليه شىء شددت عليه الموت حتى يلقانى كيوم ولدته أمه » قال العلماء وهذا بخلاف المسلم الذى لا يحبه الله عز وجل بقرينة حديث « يقول الله عز وجل وعزتى وجلالى لاأخرج عبدا من الدنيا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها صحة فى جسده وسعة فى رزقه ورغدا فى عيشه وأمنا فى سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فان بقى شىء هونت عليه الموت حتى يقبض إلىّ وليس له حسنة واحدة يتقى بها النار » وفى مثل هذا المعنى ما خرجه أبو داود بسند صحيح مرفوعا « موت الفجأة أخذة أسف » وفى رواية للترمذى « موت الفجأة راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر » وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن

كلما جاء الى حوض لم يصله من الزحام فجاءه صيامه فسقاه ورأيت رجلا من أمتى قائما والنبيون جلوس حلقا حلقا كلما جاء الى حلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة لأجل الصلاة فأجلسه الى جانبى ورأيت رجلا من أمتى وقدامه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فجاءه حجه وعمرته فاستخرجه من الظلمة وأدخله فى النور ورأيت رجلا من أمتى يكلم الناس المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كلموه فانه كان واصلا فكلموه وصافحوه وسلموا عليه ورأيت رجلا من أمتى يلقى النار وحرها وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه وحجابا من النار وقال ﷺ ان فى النار واديا يقال له لملم فيه حيات كل حية نحو رقبة الجمل طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فى ذلك الوادى فيغلى سمها

داود عليه الصلاة والسلام مات فجأة يوم السبت وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: إذا بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شدد الله عليه سكرات الموت وشدائده حتى يبلغ بذلك درجته من الجنة وأما الكافر إذا عمل معروفا في الدنيا فيهون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار . وروى أبو نعيم مرفوعا « نفس المؤمن تخرج رشحا وان نفس الكافر تسيل كما يسيل نفس الحمار وان المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه وان الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت » والله تعالى أعلم .

﴿ باب لا يموتن أحد الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل وفي الخوف من الله عز وجل ﴾

روى مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاثة « لا يموتن أحد الا وهو يحسن الظن بالله تعالى » وأخرجه البخاري أيضا وزاد في رواية لابن أبي الدنيا « فان قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم الله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » وروى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك فقال أرجو الله يارسول الله وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب مؤمن في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله مايرجو وآمنه مما يخاف . وروى الحكيم الترمذي أن رسول الله ﷺ قال « يقول ربكم عز وجل لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة » وروى مرفوعا فيما يذكر في مناجاة موسى عليه الصلاة والسلام. ان الله تعالى قال « لا يلقاني عبد من عبيدي الا حاسبته على أعماله وناقشته فيها إلا ما كان من الورعين فاني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب فمن استحيا من الله تعالى في هذه الدنيا مما يصنع استحيا الله تعالى منه يوم القيامة في حسابه ولم يجمع عليه حياءين كما لا يجمع عليه خوفين » قال العلماء رضي الله عنهم وصورة حسن الظن بالله تعالى أن يظن به أنه تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له جميع ذنوبه وأن ذلك على الله يسير وانما استحبوا ذلك عند وجود أمارات الموت وان كان حسن الظن مطلوبا في كل وقت لقوله صلى الله عليه وسلم « لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه عز وجل » فكان ذلك آكد من غيره ليموت على ذلك فيجني ثمرته يوم القيامة وقد يحصل للعبد حسن الظن بربه وهو سالم من المرض ثم يقع في سوء الظن بالله تعالى في مرضه ويموت على ذلك فيجني ثمرته من عدم رحمة الله تعالى له وعدم التجاوز عنه وعدم المغفرة لذنوبه نسأل الله تعالى العافية لنا ولجميع المسلمين آمين فينبغي لكل من حضر مريضا أشرف على الموت أن يذكره بحسن الظن بالله تعالى ليموت على ذلك ويدخل به في حضرة قوله تعالى « أنا عند ظن عبدي بي » وفي رواية أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا وفي رواية فليظن بي ماشاء يعني على وجه التهديد للعبد . وفي رواية لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بربه عز وجل فان حسن الظن بالله تعالى من الجنة . وفي رواية من مات منكم وهو يحسن الظن بالله تعالى دخل الجنة مدللا وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول والله الذي لا إله غيره لا يحسن أحد الظن بالله تعالى الا أعطاه الله تعالى ظنه وذلك أن الخير بيده وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول إذا رأيتم الرجل قد حضره الموت فبشروه ليلقى ربه وهو يحسن الظن به وإذا كان صحيحا فخوفوه وكان الفضيل بن عياض رضي الله عنه يقول الخوف أفضل من الرجاء إذا كان العبد صحيحا فاذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف * وكان المعتمر يقول لما حضر أبي الوفاة قال ياولدي حدثني بشيء من الرخص لعلي ألقى الله وأنا أحسن الظن به * وكان ابراهيم التيمي رضي الله عنه يقول كانوا يستحبون أن يذكروا للعبد محاسن عمله إذا حضره الموت حتى يحسن ظنه بربه عز وجل * وكان ثابت البناني رضي الله عنه يقول كان بجوارنا

في جسده سبعين سنة ثم يتهرى لحمه وينقع لعظمه يعذبون تارك الصلاة في ذلك الوادي وان في جهنم واديا يسمى جب الحزن فيه عقارب كل عقرب قدر البغل الأسود لها سبعون شوكة في كل شوكة ذؤابة من سم تضرب تارك الصلاة ضربة وتفرغ سمها في جسده فيجد حرارة سمها ألف سنة ثم يتهرى لحمه على عظمه ويسيل من فرجه الصديد وتلعنه أهل النار نعوذ بالله من النار فلازم التوبة أيها العبد الضعيف ما دام باب التوبة مفتوحا . واعلم ان الرضا ليلوح وأنشد بعضهم في المعنى هذه الأبيات :

قم في ظلام الليل واقصد مهيمنا
يراك إليه في الدجا تتوسل
وقل يا عظيم العفو لا تقطع الرجا
فأنت المنى يا غايتي والمؤمل
فيارب فاقبل توبتي بتفضل
فما زلت تعفو عن كثير وتمهل

شاب به زهو فلما حضرته الوفاة انكبت عليه أمه وهي تقول يا بني كنت أحذرك مصرعك هذا قال يا أماه إن لي ربا كثير المعروف وإني لأرجو اليوم أن لا يعدمني بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه به في حالته تلك * وكان عمر بن ذر رضي الله عنه كثير الخوف من الله تعالى فلما حضرته الوفاة كان كثير الرجاء في الله عز وجل فدخل عليه أبو حنيفة وابن أبي داود يوما فلما دعا عند الانصراف قال يارب أتعذبنا وفي أجوافنا التوحيد لا أراك تفعل ثم قال اللهم اغفر لمن لم يزل على مثل حال السحرة في الساعات التي قد غفرت لهم فيها فإنهم قالوا آمنا برب العالمين فقال أبو حنيفة رضي الله عنه القصص بعدك حرام فرحمة الله عليك . وروى أن يحيى بن زكريا عليهما السلام كان إذا لقي عيسى بن مريم عليه السلام عبس في وجهه وكان عيسى بن مريم عليه السلام إذا لقي يحيى تبسم في وجهه فقال له عيسى تلقاني عابسا كأنك آيس يعني من رحمة الله تعالى فقال له يحيى تلقاني ضاحكا كأنك آمن يعني من عذاب الله فأوحى الله تعالى اليهما إن أحبكما إلي أحسنكما ظنا بي ذكره الطبري وكان زيد بن أسلم رضي الله عنه يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال انطلقوا به إلى النار فيقول يارب أين صلاتي وصيامي فيقول الله عز وجل اليوم أقنطك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي من رحمتي والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب تلقين الميت لا إله إلا الله ﴾

روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده الى الجنة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول احضروا موتاكم وذكروهم لا إله إلا الله فانهم يرون ما لا ترون وفي رواية لأبي نعيم مرفوعا احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فان الحكيم من الرجال يتحير عند ذلك المصرع وان الشيطان أقرب ما يكون الى ابن آدم عند ذلك المصرع والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد مؤمن من الدنيا حتى يتألم لها كل عضو منه على حياله * فاذا حضر أحدكم أيها الإخوان أخاه وهو محتضر فليقل لا إله إلا الله ليكون ذلك وسيلة الى نطق ذلك المحتضر بها فيكون آخر كلامه لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة ويدخل في عموم قوله ﷺ « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » فقد علمتم أيها الإخوان أن قولكم عند المحتضر لا إله إلا الله فيه تنبيه له على ما يدفع به الشيطان فانه يتعرض للمحتضر ليفسد عليه عقيدته وإذا قالها المحتضر مرة فلا تعاد عليه إلا أن يتكلم غيرها وكان عبد الله بن المبارك رضي الله عنه يقول لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا هو قالها فدعوه. قال العلماء وذلك لأنه يخاف عليه اذا ألحوا عليه بها أن يتبرم ويعجز ويثقلها الشيطان على لسانه فيكون ذلك سببا لسوء الخاتمة وقال الحسين بن عيسى لما حضرت ابن المبارك الوفاة قال قل لي لا إله إلا الله ولا تعدها علي إلا أن أتكلم بعدها بكلام ثان وذلك لأن المقصود من التلقين أن يموت ابن آدم وليس في قلبه إلا الله عز وجل والمدار على القلب وعمل القلب هو الذي ينظر فيه فيكون به النجاة وأما حركة اللسان فانما هي ترجمة عما في القلب وإلا فلا فائدة فيه وكان بعض السلف يكتفي بذكر حديث التلقين عند الرجل العالم والله أعلم .

﴿ باب من حضر الميت فلا يلغو ويتكلم بخير وكيف الدعاء للميت اذا مات وتغميضه ﴾

روى مسلم عن أم سلمة قالت قال رسول الله ﷺ : اذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا فان الملائكة تؤمن على ما تقولون قالت فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات قال قولي اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبى حسنة قالت ففعلت ذلك فأعقبني الله من هو خير لي منه رسول الله ﷺ . وعن أم سلمة رضي الله عنها أيضا قالت دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه النبي ﷺ ثم قال « إن الروح اذا قبض تبعه البصر فضج

اذ كنت نجفوني
وأنت ذخيرتي
لمن أشتكي حالي ومن
أتوسل
حقيق لمن أخطا وعاد
لما مضى
ويبقى على أبوابه يتذلل
ويبكي على جسم
ضعيف من البلى
لعل يعود السيد
المتفضل
قصدت إلهي رحمة
وتفضلا
لمن تاب من زلاته
يتقبل

﴿ الباب الثاني في عقوبة شارب الخمر ﴾

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لعن الله الخمرة وبائعها وشاربها ومشتريها » وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يجيء شارب الخمر يوم القيامة مسودا وجهه مزرقة عيناه مندلعا لسانه على صدره يسيل بصاقه مثل الدم يعرفه الناس يوم القيامة فلا تسلموا عليه ولا تعودوه اذا مرض ولا تصلوا عليه اذا مات فانه عند الله سبحانه وتعالى كعابد الوثن » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل

ناس من أهله فقال لا تدعوا على أنفسكم الا بخير فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهتدين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه » انتهى ومن هنا استحب العلماء أن يحضر الميت الصالحون وأهل العلم ليذكروه بالتوبة والشهادتين ويدعوا له ولمن يخلفه فينتفعوا بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ باب منه وما يقال عند التغميض ﴾

روى ابن ماجه عن شداد بن أوس قال قال رسول الله ﷺ « اذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فان البصر يتبع الروح وقولوا خيرا فان الملائكة تؤمن على ما قال أهل الميت » وكانت أم سلمة رضي الله عنها تقول اذا حضرتم عند المحتضر فقولوا السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وكان بكر بن عبد الله المزني التابعي رضي الله عنه يقول اذا غمضتم الميت فقولوا بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ وسبحوا ثم تلا سفيان وكان حاضرا والملائكة يسبحون بحمد ربهم وقال بعضهم سمعت أبا ميسرة الزاهدي يقول غمضت جعفرا المعلم وكان عابدا حالة الموت فلما مات رأيته في المنام وقال لي أعظم ما كان علي تغميضك لي قبل أن أموت والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ باب ما جاء في أن الشيطان يحضر الميت عند موته وما يخاف من سوء الخاتمة نسأل الله العافية ﴾

روى أن العبد اذا كان في الموت قعد عنده شيطانان واحد عن يمينه وآخر عن شماله فالذي عن يمينه على صفة أبيه يقول يابني إني كنت عليك شفيقا ولك محبا ولكن مت على دين النصارى وهو خير الأديان والذي على شماله على صورة أمه يقول انه كان بطني لك وعاء وثديي لك سقاء وفخذي لك وطاء ولكن مت على دين اليهود وهو خير الأديان ذكره أبو الحسن القاسي المالكي وذكر معناه أبو حامد الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة . قال وعند استقرار النفس في التراقي والارتفاع تعرض عليه الفتن وذلك أن إبليس قد أقعد أعوانه الى هذا الانسان خاصة واستعملهم عليه وكلهم به فيأتون المرء وهو في تلك الحالة الشديدة والهول الأفظع الذي تتزلزل فيه عقول العقلاء فيتمثلون له في صورة من سلف من الأحياء الناصحين المحبين له في دار الدنيا كالأب والأم والأخ والأخت والحميم والصديق فيقولون له أنت تموت يافلان ونحن سبقناك في هذا الشأن فمت يهوديا فهو الدين المقبول عند الله فان انصرف عنهم وأبى جاءه قوم آخرون وقالوا لهمت نصرانيا فانه دين المسيح وبه نسخ الله تعالى دين موسى ويذكرون له عقائد كل ملة فيزيغ الله تعالى من يريد زيغه وهو قوله تعالى « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » يعني في الدنيا أي لا تزغ قلوبنا عند الموت بعد إذ هديتنا قبل ذلك زمانا طويلا فإذا أراد الله تعالى بعبده خيرا وهداية وتثبيتا جاءته الرحمة مع جبريل عليه السلام فيطرد عنه الشياطين ويمسح الشحوب عن وجهه فهناك يتبسم الميت لامحالة للبشرى التي جاءته من الله عز وجل (وروى) أن جبريل عليه السلام يقول يافلان أما تعرفني أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الملة الحنيفية والشريعة الخليلية فلا شيء أحب للانسان منها ولا أفرح بذلك وهو قوله تعالى « الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » وقوله تعالى « وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » ثم يقبض عند الطعنة على ما يأتي (وقال) عبد الله بن الإمام أحمد لما حضرت وفاة الإمام أحمد ويدي خرقة لأشد بها لحييه وكان يعرق ثم يفيق فيقول لا بعدا لا بعدا حتى قال ذلك مرارا فقلت له ياأبت أي شيء بذلك أردت فقال الشيطان واقف بحذائي عاض على أنامله يقول ياأحمد فتني وأنا أقول لا بعدا لا بعدا حتى أموت (ولما) حضرت الوفاة الإمام أبي جعفر القرطبي رضي الله عنه قالوا له قل لا اله الا الله فكان يقول لا فلما أفاق ذكروا ذلك له فقال أتاني شيطانان عن يميني وعن شمالي يقول أحدهما مت يهوديا فانه خير الأديان ويقول الآخر مت نصرانيا فانه خير الأديان فكنت أقول لهما لا لا ، تقولون هذا لي وقد كتبته بيدي في

مسكر خمر وكل خمر حرام فمن شرب الخمر في الدنيا حرم الله عليه خمر الآخرة في الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يجدون ريح الجنة وان ريحها يشم من مسيرة خمسمائة عام مدمن خمر وعاق والديه والزاني ان لم يتب » وقال ﷺ « يخرج شارب الخمر من قبره أنتن من الجيفة والكوز معلق في عنقه والقدح في يده ويملأ به جلده حيات وعقارب ويلبس نعلين من نار يغلي منهما دماغه ويكون قبره حفرة من حفر النار قريبا من فرعون وهامان » وروى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال « من أطعم شارب الخمر لقمة سلط الله على جسده حيات وعقارب ومن قضى له حاجة فقد أعانه على هدم الاسلام ومن أقرضه فقد أعانه على قتل مسلم ومن جالسه حشره الله أعمى لا حجة له ومن شرب الخمر فلا تزوجوه وان مرض فلا تعودوه أبدا فوالذي

كتاب الترمذى والنسائى عن النبى ﷺ « ان الشيطان يأتى أحدكم قبل موته فيقول له مت يهوديا مت نصرانيا » فكان الجواب لهما بقولى لا وليس الجواب لكم أنتم قال القرطبى ووقع مثل ذلك للصالحين كثيرا فيكون الجواب بقول أحدهم لا للشيطان لا لمن يلقنه الشهادة وكان مجاهد رضى الله عنه يقول مامن مؤمن يموت الا وتعرض عليه أهل مجالسته الذين كان يجلس اليهم ان كانوا أهل لهو فأهل لهو وان كانوا أهل ذكر فأهل ذكر . وقال الربيع بن سبرة حضرت موت رجل بالشام فقيل له يافلان قل لا اله الا الله فقال اشرب واسقنى وقيل لرجل آخر بيلادالاهواز قل لا اله الا الله فجعل يقول ده يازده دوازده تفسيره عشرة احدى عشرة ثنتاعشرة وكان هذا الرجل من أهل القلم والديوان فغلب عليه الحساب والميزان (وحكى) ان رجلا كان عليه خراج يعطيه يوم الاثنين ويوم الخميس فلما احتضر قالوا له يافلان قل لا اله الا الله فقال الاثنين والخميس فلم يزل يقول ذلك حتى مات (وقيل) لرجل آخر بالبصرة يافلان قل لا اله الا الله فجعل يقول

يارب قائلة يوما وقد سألت * أين الطريق الى حمام منجاب

وكان ذلك الرجل استدلت منه أمرأة على الحمام فدلها على منزله فهام بها عشقا فلذلك قال هذا البيت عند موته لغلبة عشقها عليه * وذكر الامام أبو محمد عبدالحق فى كتاب العافية أن لهذا الكلام قصة طويلة ملخصها أن رجلا كان واقفا بازاء داره وكان بابه مزخرفا يشبه باب الحمام فمرت به امرأة ذات حسن وجمال وهى تقول أين الطريق الى حمام منجاب فقال لها هذا حمام منجاب وأشار الى داره فدخلت الدار ودخل خلفها فلما رأت نفسها معه فى داره وأنه نصب عليها أظهرت له الفرح والسرور فى اجتماعها معه فى تلك الخلوة وقالت له يصلح أن يكون معنا مايطيب به عيشنا وتقر به أعيننا فقال لها الساعة آتيك بكل ماتريدين واطمأنت نفسه لها فخرج وتركها فى الدار ولم يغلق الباب فلما أتاها بما طلبت لم يجدها فى الدار فخرج هائما فى حبها وأكثر من ذكرها فى الطريق والأزقة فبينما هو ينشد هذا البيت يوما واذا بجارية قد أجابته من طاقة ولعلها تلك المرأة وهى تقول :

هلا جعلت لها لما خلوت بها * حرزا على الدار أو قفلا على الباب

فازداد هيمانه واشتد هيجانه ولم يزل كذلك حتى حضرته الوفاة فقال ماقال نعوذ بالله من الفتن والمحن (وحكى) القرطبى أن بعض السماسرة ممن غلب عليهم الاشتغال بالدنيا لما حضرته الوفاة جعل يعقد أصابعه ويحسب وكذلك حكى أن بعضهم لما حضرته الوفاة قيل قل لا اله الا الله فقال علفتم الحمارة * وكذلك قيل لبعضهم قل لا اله الا الله وكان سوقيا فجعل يقول ثلاثة ونصف أربعة إلا ربع (وقيل لآخر) قل لا اله إلا الله فقال ناولينى قدحى (وقيل لآخر) وكان وزانا كاملا وقد حضرته الوفاة قل لا اله الا الله فقال ادعوا الله تعالى لى أن يهون على النطق بها فان لسان الميزان على لسانى يمنعنى من قولها لعدم مسحى كفة الميزان من كل قليل وعدم تفقدى الوسخ الذى يجتمع فيها من هبوب الرياح (وقيل لآخر) قل لا اله الا الله لما احتضر فقال لا أستطيع فقيل وما يمنعك من ذلك فقال نظرت يوما إلى محاسن امرأة وقفت على تشترى لها منديلا (وقيل لآخر) حين احتضر قل لا اله الا الله فقال لا أقدر على النطق بها لأنى كنت أوذى جيرانى بلسانى (وقيل لبعضهم) قل لا اله الا الله فقال لا أقدر عليها فقيل له فماذا كنت تصنع قال كنت اذا خلوت بامرأة يميل قلبى الى تقبيلها لو رضيت (وقيل لآخر)قل لا اله الا الله فقال لا أقدر فقيل له فما ذا كنت تصنع فقال كنت أستحى من الخلق اذا عصيت أكثر مما كنت أستحى من الله تعالى (وقيل لآخر)قل لا اله الا الله فقال لا أستطيع فقيل له ما كنت تصنع قال وقعت فى الزنا مرة فى عمرى وقيل لآخر قل لا اله الا الله فقال لا أقدر فقيل له فما كنت تفعل فقال مرضت زوجتى مرة فوقعت على عبدى انتهى والحكايات فى ذلك كثيرة نسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة فاعلموا ذلك أيها الاخوان وحاسبوا أنفسكم قبل أن تعرضوا على

نفسى بيده انه ماشرب الخمر الا من كفر فى التوراة والانجيل والزبور والفرقان بجميع ماأنزله سبحانه وتعالى على جميع الأنبياء ومن استحل الخمر فانه برىء منى وأنا برىء منه وان الله سبحانه وتعالى أقسم بعزته وجلاله أن من شرب الخمر فى الدنيا عطشه يوم القيامة عطشا شديدا ويحرق فؤاده ويخرج منه لسانه على صدره ومن تركه لأجلى سقيته يوم القيامة من خمر الجنة يوم القدس تحت عرشه » وروى عنه صلى الله عليه وسلم « ان العبد اذا شرب شربة من الخمر اسود قلبه واذا شرب ثانية تبرأ منه ملك الموت واذا شرب ثالثة تبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا شرب رابعة تبرأ منه الحفظة واذا شرب خامسة تبرأ منه جبريل عليه السلام واذا شرب سادسة تبرأ منه اسرافيل عليه السلام واذا شرب سابعة تبرأ منه ميكائيل عليه السلام واذا شرب ثامنة تبرأت منه

الملك الديان فلا مفر عن ذلك ولا فوت. الا لمن رغب فى طاعة الله بالزاد والقوت وايا كم أن تتعاطوا شيئا من المعاصى فربما انعقد لسان أحدكم عن الشهادة عند الموت . والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب منه وفيما جاء فى سوء الخاتمة وأن الأعمال بالخواتيم ﴾

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة» (وفى البخارى مرفوعا) «ان العبد ليعمل بعمل أهل النار وانه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وانه من أهل النار وانما الاعمال بالخواتيم» قال العلماء رضى الله عنهم سوء الخاتمة لا يكون الا لمن كان مصرا على المعاصى فى الباطن وله اقدام على الـكبائر مخادعة لله عز وجل أما من كان على قدم الاستقامة فى الظاهر ولم يصر على معصية فى الباطن فما سمعنا ولا علمنا أن مثل هذا يختم له بسوء أبدا ولله الحمد على ذلك بخلاف من غلب عليه حب المعاصى والوقوع فيها من غير توبة فربما نزل عليه الموت قبل التوبة فيصدمه الشيطان عند تلك الصدمة ويخطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله تعالى فيظهر شقاؤه للناس عند موته وقد يكون العبد مستقيما طول عمره ثم يغير ويبدل اذا قرب أجله ويخرج عن طريق الاستقامة فيكون ذلك سببا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته كما وقع لابليس فقد ورد أنه عبد الله مع الملائكة ثمانين ألف سنة وكذا بلعام بن باعوراء الذى أعطاه الله آياته فانسلخ منها بخلوده الى الأرض واتباعه هواه وكذلك برصيصا العابد الذى روى أن الله تعالى قال فى حقه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر وملخص قصته أنه كان اذا لمس مصابا بالجنون أو بالصرع برىء فحصل لابنة الملك خبل فى عقلها فأرسلوها اليه لتبيت تحت صومعته فى البرية فأتاه ابليس وقال له ازن بها فانها غائبة عن حسها فلما فعل ذلك قال له ابليس يخاف أن تكون شعرت بذلك فتهتكك بين الناس فاذبحها وادفنها فى ذلك الـكوم كوم الرمل فاذا جاء جماعة الملك لطلبها فقل لهم إنها برئت وذهبت فانهم يصدقونك ففعل ما أشار به عليه ثم ان ابليس ذهب الى الملك فى صورة عابد وقال له ان برصيصا قد فسق فى ابنتك وخشى أن تكون شعرت بذلك فتعلمكم إذا أفاقت فقتلها ودفنها فى كوم الرمل قريبا من صومعته وسيقول لـكم انها برئت وذهبت اليكم فلا تصدقوه فأرسل الملك جماعته فرأى ما قاله صحيحا فأمر بصلب برصيصا فأتاه ابليس وهو مصلوب وقال له اسجد لى بجبهتك وأنا أخلصك كما أوقعتك فأومأ بالسجود فكفر وذهب ابليس ولم يخلصه ومات على كفره انتهى (وحكى) أنه كان بمصر العتيق رجل صالح يؤذن وبجوار المسجد بنت نصرانى فرآها يوما من السطح ففتن بها فواعدها فى وقت ففتحت له الباب فقال قد شغلت قلبى عن أمور الدنيا والآخرة فقالت له فما تريد فقال أريد أن أتزوجك فقالت ان والدى لا يرضى إلا إن دخلت فى دينى فدخل فى دينها ثم رقى سطح بيتها لينظر المدينة فسقط من السطح فمات نصرانيا فلا هو نال مقصوده ولا هو مات مسلما نسأل الله العافية (وروى) البخارى أن عائشة رضى الله عنها قالت نراك يارسول الله تحلف وتقول لا ومقلب القلوب فهل تخشى فقال ياعائشة ومايؤمننى وقلوب العباد بين اصبعين من أصابع الجبار اذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه (وروى) النسائى عن عثمان رضى الله عنه أنه كان يقول «اجتنبوا الخمر فانها أم الـكبائر وانه كان رجل ممن كان قبلـكم يعبد الله فعلقت به امرأة غوية فأرسلت اليه جاريتها فقالت له سيدتى تدعوك للشهادة فانطلق مع الجارية فجعل كما دخل بابا أغلقته حتى أفضت الى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر فقالت له والله انى مادعوتك للشهادة ولـكن دعوتك لتقع على أو تشرب من هذا الخمر كأسا أو تقتل هذا الغلام قال فاسقينى من الخمر فانه أهون على فسقته كأسا فقال زيدينى فلم تزل تسقيه حتى تمكن منه الخمر فوقع عليها وقتل الغلام فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر الا

السموات واذا شرب تاسعة تبرأت منه سكان السموات واذا شرب عاشرة غلقت دونه أبواب الجنان وإذا شرب حادية عشرة فتحت له أبواب النيران وإذا شرب ثانية عشرة تبرأت منه حملة العرش وإذا شرب ثالثة عشرة تبرأ منه الـكرسى واذا شرب رابعة عشرة تبرأ منه العرش وإذا شرب خامسة عشرة تبرأ منه الجبار جل وعلا ومن تبرأ منـه الأنبياء والملائكة أجمعون وتبرأ منه رب العالمين فقد هلك فى جهنم مع المذنبـين وان الله سبحانه وتعالى يسقيه فى جهنم قدحا من نار تسقط عيناه ويتهرى لحمه من وهج ذلك القدح فاذا شرب يقطع أمعاءه ويخرجها من دبره، ويل لشارب الخمر مما يلقى من عذاب الله سبحانه وتعالى »وعن أسماء بنت زينب قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من وقع الخمر فى بطنه لم يقبل الله سبحانه وتعالى منه حسنة فان مكث أربعين يوما ولم

ويوشك أن يخرج أحدهما صاحبه » (وروى) أن رجلا من المسلمين أسر فكان يخدم راهبين وكان يحفظ القرآن فكان اذا تلا القرآن رق قلبهما وبكيا ثم أسلما وتنصر الرجل المسلم فقالا له ارجع الى دينك الأول فهو خير فلم يرجع ومات نصرانيا نسأل الله تعالى حسن الخاتمة وأنشدوا :

تحيرت الافهام فى ذا الورى * بالختم من أمر العليم الحكيم * فمن سعيد وشقى ومن
مثر من المال وعار عديم * ومن عزيز رأسه فى السما * ومن ذليل وجهه فى التخوم
كل على منهاجه سالك * ذلك تقدير العزيز العليم

وقال الربيع سئل الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه عن القدر فأنشأ يقول :

ماشئت كان وان لم أشأ * وماشئت ان لم تشا لم يكن * خلقت العباد على ماعلمت
ففى العلم يجرى الفتى والمسن * على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا أهنت وذا لم تهن
فمنهم شقى ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن

(وروى) فى الحديث أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال لملك الموت أمالك رسول تقدمه بين يديك لتكون الناس على حذر منك فقال نعم والله لى رسل كثيرة من العلل والأمراض والشيب والهرم ونقص السمع والبصر فاذا لم يتفكر من نزل به ذلك فى الموت ولم يتب ولم يحصل الزاد ناديته عند قبض روحه ألم أقدم اليك رسولا بعد رسول ونذيرا بعد نذير فأنا الرسول الذى ليس بعدى رسول وأنا النذير الذى ليس بعدى نذير وفى الحديث أيضا مامن يوم تطلع شمسه الا وملك الموت ينادى ياأبناء الأربعين هذا وقت أخذ الزاد أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شديدة . ياأبناء الخمسين قد دنا الأخذ والحصاد . ياأبناء الستين قد نسيتم العقاب وسوء الحساب أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير . ذكره ابن الجوزى رحمه الله ورحمنا به آمين. وروى البخارى مرفوعا «أعذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة» أى مدله حبل الحلم والصبر على لهوه ولعبه ولا يصلح لمن بلغ ستين أن يلهو أو يلعب . وكان الطبرى رضى الله عنه يقول النذير فى هذه الآية هو الشيب وروى أن الله تعالى ينظر فى وجه الشيخ كل يوم خمسين مرة فيقول ياابن آدم كبر سنك ووهن عظمك واقترب أجلك فاستح منى كما أستحى منك فانى أستحى أن أعذب ذا شيبة وأنشدوا :

رأيت الشيب فى نذر المنايا * يذكرنى بعمر لى قصير * تقول النفس غير لون هذا
عساك تطيب فى عمر يسير * فقلت لها المشيب نذير عمرى * ولست مسودا وجه النذير

وأنشدوا أيضا : كم تعالى وقد علاك المشيب * وتعامى دهرا وأنت اللبيب

كيف تلهو وقد أتاك نذير * ومنايا الحمام منك قريب * يامقيما قد حان منك رحيل
بعد ذاك الرحيل يوم عصيب * ان للموت سكرة من ضناها * لايداويك ان عقلت طبيب
ليس فى ساعة من الدهر إلا * للمنايا عليك فيها رقيب انتهى .

واعلموا ياإخوانى رحمكم الله أن من نذير الموت الحمى أى المرض .قال صلى الله عليه وسلم «الحمى نذير الموت » أى تشعر بقدوم رسول الموت وسرعة مجيئه . وقال العلماء موت الأهل والأقارب وغيرهم من الاحباب والأصحاب أبلغ فى النذير فى كل وقت وزمان وأنشدوا :

أرى الليالى والأيام تجذبنى * بحبل عمرى الى قبرى وتدنينى
وكم ترينى من ميت وذاك أنا * وكم تحدث غيرى وهى تعنينى

وأنشد أيضا : الموت فى كل حين ينشر الكفنا * ونحن فى غفلة عما يرادبنا
لاتطمئن الى الدنيا وزينتها * وإن توشحت من أثوابها الحسنا

يتب ومات قبل الأربعين مات كافرا وان تاب تاب الله عليه وان عاد كان حقا على الله أن يسقيه طينة الخبال قالوا يارسول الله وما طينة الخبال قال صديد أهل النار والدم والقيح. وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم انبشوا قبره فان لم تجدوا وجهه مصروفا عن القبلة فاقتلونى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا شرب الخمر أربع مرات سخطه الله سبحانه وتعالى وكتب اسمه فى سجين ولا يقبل الله منه صومه ولا صلاته ولا صدقته الا أن يتوب فان تاب والا فأواه النار وبئس المصير (وعنه) صلى الله عليه وسلم أنه قال : يساق أهل الزنا وشارب الخمر الى النار يوم القيامة فاذا دنوا منها فتحت لهم أبوابها واستقبلتهم الزبانية بمقامع من حديد ويضربونهم فى باب النار بعدد أيام الدنيا ثم يدفعونهم الى منازلهم فى النار فلا يبقى عضو حتى تلدغه عقرب

أين الاحبة والجيران مافعلوا * أين الذين همو كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأسا غير صافية * فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

وروى أن ملك الموت دخل على داود عليه الصلاة والسلام فقال له من أنت فقال من لا يهاب الملوك ولا تمنع منه الحصون ولا يقبل الرشا قال فاذن أنت ملك الموت ولم أستعد للقائك بعد فقال ياداود أين فلان جارك أين فلان قريبك أين فلان صاحبك قال ماتوا فقال أما كان فى هؤلاء عبرة لمن يستعد . وكان مجاهد يقول من بلغ الأربعين فقد آن له أن يعرف مقدار نعم الله تعالى عليه وعلى والديه وأن يبالغ فى الشكر لقوله تعالى «حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة» وكان الامام مالك رحمه الله يقول أدركت الناس وأهل العلم من بلدنا وهم يطلبون الدنيا ويخالطون الناس حتى يبلغ أحدهم أربعين سنة فاذا بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وتفرغ للعبادة (وحكى) أن بعض العلماء الأكابر كان له مجلس فى بستانه لا يدخل فيه الا أصحابه واخوانه فقط فبينما هو جالس يوما إذ رأى رجلا يتخلل الشجر حتى جاء وجلس الى جنبه فتكدر الجماعة منه وهموا بالبواب فقال له العالم هل لك من حاجة فقال نعم رجل ثبت عليه حق فزعم أن له مدافعا يدفع عنه ماعليه فقال يقوم له الحاكم بقدر مايرى فقال السائل قد ضرب له الحاكم أجلا فلم يأت بمنفعة ولا ترك اللدد والمدافعة فقال يقضى عليه فقال ان الحاكم رفق به وأمهله أكثر من خمسين سنة فأطرق العالم رأسه وتحدر جبينه عرقا وذهب السائل وأفاق العالم من سكرته فسأل عن السائل فقال البواب مادخل اليكم أحد ولا خرج من عندكم أحد فقال العالم لأصحابه انصرفوا عنى ودعونى أتهيأ للموت فما كان يرى بعد ذلك الا فى مجالس الذكر والوعظ الى أن مات الى رحمة الله تعالى (وروى) أن بعض الملوك خرج من ملكه بغتة فقيل له فى ذلك فقال رأيت شعرتين قد ابيضتا من لحيتى فنتفتهما فطلعتا ثانيا فنتفتهما فطلعتا ثالثا ثم تأملت فيهما فقلت هذان رسولان من ربى أن اترك الدنيا وتعال الى فقلت سمعا وطاعة فلم يزل سائحا فى الارض يعبد الله تعالى حتى مات رحمة الله تعالى عليه وعلينا آمين وأنشدوا :

وزائرة للشيب لاحت بمفرقى * فأدركتها بالنتف خوفا من الحتف
فقالت على ضعفى استطلت وانما * رويدك حتى يلحق الجيش من خلفى

وروى أن أول من شاب السيد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لما رجع من تقريب قربان ولده الى ربه فشابت من لحيته شعرة واحدة فأعجب بها وكرهت ذلك سارة وقالت له أزلها فأبى فنزل عليه ملك فقال السلام عليك ياابراهيم ولم يكن اسمه قبل ذلك الا ابريم فزاد الملك فى اسمه الألف والهاء فى لغة السريانية للتعظيم والتفخيم فاشتد فرح ابراهيم بذلك ثم أصبح وقد شابت لحيته كلها وفى الحديث مرفوعا «من شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة» وفى الحديث أيضا « ان الله تعالى يستحى أن يعذب ذا شيبة » وأنشد بعض الاعراب لما رأى الشيب فى لحيته:

ياويح من فقد الشباب وغيرت * منه مفارق رأسه بخضاب * يرجو عمارة وجهه بخضابه
ومصير كل عمارة لخراب * انى وجدتهما أجل رزية * فقد الشباب وفرقة الاحباب

ولما طلع الشيب فى رأس الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه أنشد :

خبت نار نفسى باشتعال مفارقى * وأظلم ليلى اذ أضاء شهابها * أيا بومة قد عششت فوق هامتى
على الرغم منى حين طار غرابها * رأيت خراب العمر منى فزرتنى * ومأواك من كل الديار خرابها
أأنعم عيشا بعد ماحل عارضى * طلائع شيب ليس يغنى خضابها * وعزة عمر المرء قبل مشيبه
وقد فنيت نفس تولى شبابها * اذا اصفر لون المرء وابيض شعره * تنغص من أيامه مستطابها

وتنهشه حية على رأسه أربعين سنة لا يبلغ الدرجة ثم يرفعه اللهب الى رأس الطبقة فتضربه الزبانية فيهوى الى قعر النار كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ثم يعطشون عطشا شديدا فينادون واعطشاه اسقونا شربة من الماء فتقدم لهم الملائكة الموكلون بعذابهم أقداحا من جهنم تغلى وتفور فاذا تناول شارب الخمر القدح سقط لحم وجهه فاذا وصل الحميم فى بطنه قطع أمعاءه وخرجت من دبره ثم تعود كما كانت ثم يضرب فهذه عقوبة شارب الخمر . (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتى شارب الخمر يوم القيامة والكوز معلق فى عنقه والطنبور فى كفه حتى يصلب على خشبة من نار فينادى مناد هذا فلان ابن فلان فتخرج من فمه نتنة ويلعنونه ثم تلقيه الزبانية من الصلب ويطرحونه فى النار فيبقى فيها ألف سنة فينادى واعطشاه ثم يرسل الله تعالى عليه

فدع عنك سوءات الأمور فانها * حرام على نفس التقى ارتكابها * وأد زكاة الجاه واعلم بأنها كمثل زكاة المال تم نصابها * وأحسن إلى الاحرار تملك رقابهم * فخير تجارات الكرام اكتسابها ولا تمشين فى منكب الأرض فاخرا * فعما قليل يحتويك ترابها * ومن يذق الدنيا فانى طعمتها وسيق الينا عذبها وعذابها * فلم أرها الا غرورا وباطلا * كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها وما هى الا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها * فان تجتنبها كنت سلما لأهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها * فطوبى لنفس أوطنت قعر دارها * مغلقة الأبواب مرخى حجابها انتهى * فاعلموا ذلك أيها الاخوان فما بعد الشيب من عذر . والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب متى تنقطع معرفة العبد للناس وفى التوبة وبيانها ومن هو التائب ﴾

روى ابن ماجه عن أبى موسى الأشعرى قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تنقطع معرفة العبد من الناس فقال إذا عاين قال العلماء أى إذا عاين ملك الموت أو الملائكة وهو معنى حديث الترمذى مرفوعا « ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر » أى عند بلوغ الروح الحلقوم وعند ذلك يعاين ما يصير اليه من رحمة أو عذاب فلا ينفعه حينئذ توبة ولا ايمان كما هو مقرر فى كتب الشريعة * فعلم أن التوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين قابض الأرواح وذلك عند غرغرته بالروح وذلك إذا قطع وتبين الشخص من الصدر إلى الحلقوم فعندها المعاينة وعندها حضور الموت ، فيجب على كل عبد التوبة من كل ذنب قبل الغرغرة والمعاينة وأنشدوا :

قدم لنفسك توبة تحظى بها * قبل الممات وقبل حبس الألسن
واسبق بها فوت النفوس فانها * ذخر وغنم للبيب المحسن

وفى الحديث مرفوعا « قال الشيطان وعزتك وجلالك لا أفارق ابن آدم مادام الروح فى جسده فقال الله تعالى فبعزتى لا أحجب التوبة عن ابن آدم مالم تغرغر نفسه » فتوبوا بنا أيها الاخوان مادمنا فى زمن المهلة والامكان وتوبتنا قد تحتاج الى استغفار لعدم الصدق فقد كان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول استغفارنا يحتاج إلى استغفار . قال الامام القرطبى رحمه الله فاذا كان هذا فى زمانه فكيف بزماننا الذى يرى الانسان فيه مكبا على المعاصى وظلم العباد لا يهتدى للتوبة ومع ذلك فى يده سبحة زاعما أنه يستغفر من ذنوبه بها وقلبه غافل عن الاعتبار ، ومن هنا كان الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا رأى رجلا يسرع فى السبحة بالاستغفار يقول له : هذه توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى توبة . وقال المحققون لا يقدر على التوبة النصوح إلا الافراد من الناس لعزتها * فأكثروا من الاستغفار ومن الاستغفار عن استغفاركم لعدم صدقكم وارجوا من فضل ربكم قبول توبتكم إذا حصل لكم نبذة ندم لحديث « الندم توبة » وروى البخارى ومسلم مرفوعا « ان العبد إذا اعترف بذنبه تاب الله عليه » وروى أبو حاتم فى مسنده الصحيح مرفوعا « مامن مؤمن يؤدى الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له ثمانية أبواب الجنة يوم القيامة حتى انها لتصفق ثم تلا قوله تعالى « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » الآية وسئل الامام مالك رحمه الله هل لقاتل النفس من توبة فقال هذا باب فتحه الله لا أغلقه . والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب لا تخرج روح عبد مؤمن ولا كافر حتى يبشر ﴾

روى عن محمد بن كعب القرظى التابعى الجليل رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول إذا اجتمعت روح المؤمن فى فيه تريد الخروج جاءه ملك الموت فقال له السلام عليك يا ولى الله ان الله تعالى يقرئك السلام ثم تلا هذه الآية « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » وكان عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يقول : إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن قال له ربك يقرئك السلام

عرقا منتنا فينادى رب ارفع عنى هذا العرق فلا يرفع عنه حتى تجىء نار تحرقه فيصير رمادا ثم يعيده الله سبحانه وتعالى فيخلقه خلقا جديدا من نار فيقوم مغلولة يداه مقيدة رجلاه يسحب فيها بالسلاسل على وجهه يستغيث من العطش فيسقى من الحميم ويستغيث من الجوع فيطعم من الزقوم فيغلى فى بطنه وعند مالك نعال من نار فيلبسه منها نعلين يغلى منهما دماغه حتى يخرج المخ من أرنبته وأضراسه من جمر يخرج منه لهيب النار من فمه وتتساقط أحشاؤه من قدامه ثم يجعل فى تابوت من جمر ألف سنة طويل عذابه ضيق مدخله سائل صديده متغير لونه يقول يارباه قد أكلت النار لحمى فويل له إذا شكا لا يرحم وإذا نادى لا يجاب ثم يستغيث من العطش فيسقيه مالك شربة الحميم فيتناولها فتتساقط أصابعه فاذا نظرها وقعت عيناه وخدوده ثم يخرج من التابوت بعد ألف عام

وكان البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه يقول فى قوله تعالى « تحيتهم يوم يلقونه سلام » هو تسليم ملك الموت على الميت حين يقبض روحه فلا يقبض روحه حتى يعطيه الامان من العذاب بالسلام عليه وكان مجاهد رضى الله تعالى عنه يقول ان المؤمن ليبشر عند طلوع روحه بصلاح ولده من بعده لتقر بذلك عينه . وروى ابن ماجه بسند صحيح ثابت مرفوعا تحضر الملائكة يعنى طلوع روح العبد فان كان صالحا قالوا اخرجى أيتها النفس المطمئنة التى كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهى إلى السماء فتفتح لها أبواب السموات إلى أن تقف بين يدى الله عز وجل وإذا كان الرجل السوء يقال لها اخرجى أيتها النفس الخبيثة التى كانت فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة وأبشرى بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة التى كانت فى الجسد الخبيث ارجعى فلا تفتح لها أبواب السماء فترسل من السماء أى تسقط ثم تصير إلى القبر . وكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول إذا خرجت روح العبد تلقاها ملكان يصعدان بها وتقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت فيه فينطلق بها إلى ربها ثم يقال انطلقوا بها إلى آخر الأجل ، وإن الكافر إذا خرجت روحه تقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض ويقال انطلقوا بها إلى آخر الأجل ، ورواه البخارى وقال فيه فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ريطة كانت عليه على أنفه أى يرى أصحابه كيف تتقى الملائكة ريح تلك الروح بوضع شىء على الأنف لئلا تتضرر بذلك (وفى البخارى ومسلم مرفوعا) « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » فقالت عائشة أما الموت فكنا نكرهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضر الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شىء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شىء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله فكره الله لقاءه » (وفى رواية) إذا شخص البصر وخرج الصدر واقشعر الجلد وتخشبت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (وفى رواية) عن عائشة رضى الله تعالى عنها « إذا أراد الله بعبد خيرا قيض له قبل موته ملكا يسدده ويوفقه حتى يقول الناس مات فلان خيرا مما كان فاذا حضر ورأى ثوابه تهوعت نفسه أى فرحت واستبشرت فلذلك حين أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وإذا أراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته بعام شيطانا فأضله وفتنه حتى يقول الناس مات فلان شر ما كان فاذا حضر ورأى ما نزل به من العذاب انخامت نفسه فذلك حين يكره لقاء الله ويكره الله لقاءه » (وروى) الترمذى مرفوعا وقال هو حسن صحيح « إذا أراد الله بعبده خيرا استعمله فقيل كيف استعمله يا رسول الله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت » (وفى رواية) إذا أراد الله بعبد خيرا عسله قالوا يا رسول الله وما عسله قال يفتح له عملا صالحا بين يدى موته حتى يرضى عنه من حوله (وكان) قتادة رضى الله تعالى عنه يقول فى قوله تعالى « فروح وريحان » الروح هو الرحمة والريحان تتلقاه به الملائكة عند الموت (وروى ابن ماجه) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة فى تفسير قوله تعالى « حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون » إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا له نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان فيقول قدمانى الى الله عز وجل . وأما الكافر فيقال له نرجعك إلى الدنيا فيقول « ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت » الآية (وروى البزار) مرفوعا « ان المؤمن إذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر ريحان ـ أى جماعة منه ـ فتستل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال أيتها النفس المطمئنة اخرجى راضية مرضيا عنك الى روح الله وكرامته ـ أى رحمته واحسانه ـ

فيجعل فى سجن حيات وعقارب أمثال من البخت يأخذون بقدميه ثم يوضع على رأسه خرقة من نار ويجعل فى مفاصله الحديد وفى يده الأغلال وفى عنقه السلاسل ثم يخرج من السجن بعد ألف سنة فتأخذه الزبانية إلى وادى الويل والويل واد من أودية جهنم أشدها حرا وأبعدها قعرا وأكثرها حيات وعقارب ، ويبقى فى وادى الويل ألف سنة ثم ينادى يا محمد يا محمد فيسمع النبى صلى الله عليه وسلم نداءه فيقول يارب صوت رجل من أمتى فى جهنم فيقول الله سبحانه وتعالى هذا رجل من أمتك شرب الخمر فى الدنيا ومات غير تائب فيقول النبى صلى الله عليه وسلم يارب قد خرج من شفاعتى إلا أن تعفو عنه . فتب أيها العبد من الذنوب إليه واعتذر من الخطايا لديه وقال عليه الصلاة والسلام يخرج شارب الخمر من قبره متورمة سيقانه ولسانه مندلع على صدره وفى بطنه نار

فاذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان ثم طويت عليه الحريرة وذهب بها إلى عليين وان الـكافر إذا حضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه نزعا شديدا ويقال أيتها النفس الخبيثة اخرجى ساخطة مسخوطا عليك إلى هوان الله وعذابه فاذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فيطوى عليه المسح ثم يذهب به إلى سجين » نسأل الله حسن الخاتمة والموت على الاسلام لنا وللحاضرين وجميع المسلمين آمين .

﴿ باب ما جاء فى تلاقى الأرواح فى السماء والسؤال عن أهل الأرض وعرض الأعمال ﴾

روى عبدالله بن المبارك عن أبى أيوب الأنصارى المدفون خارج مدينة القسطنطينية أنه كان يقول إذا قبضت روح المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله كما تتلقون البشير فى دار الدنيا فيقبلون عليه فيقال بعضهم لبعض انظروا أخاكم حتى يستريح فانه كان فى كرب شديد قال فيقولون له ما فعل فلان ما فعلت فلانة هل تزوجت أم لا فاذا سألوه عن الرجل قد مات فيقول لهم قد هلك فيقولون انا لله وانا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية قال فتعرض عليهم أعماله فان رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وقالوا اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها وان رأوا شرا قالوا اللهم ارجع بعبدك . وكان أبو الدرداء يقول : ان أعمالـكم تعرض على موتاكم فيفرحون ويشكرون أو يحزنون * وكان أبو الدرداء يقول اللهم انى أعوذ بك أن أعمل عملا تخزن به أمواتى . وكان سعيد بن جبير رضى الله عنه يقول ان الأموات لتأتيهم أخبار الأحياء فما من أحد له حميم إلا ويأتيه خبر أقاربه فان كان خيرا سر به وفرح وان كان شرا عبس له وحزن حتى انهم يسألون عن الرجل قد مات فيقول ما فعل فلان فيقول ألم يأتكم فيقولون لا والله ما جاءنا ولا مر بنا سالك به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية (وكان) وهب بن منبه رضى الله عنه يقول : ان لله دارا فى السماء السابعة يقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين فاذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح ويسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم من سفره عليهم رواه أبو نعيم (وروى) الحـكيم الترمذى مرفوعا « ان أعمالـكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فان كان خيرا استبشروا وان كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا » (وروى) مرفوعا « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله تبارك وتعالى وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم » (وروى) ان الأموات يسألون القادم عليهم عن أهل البيت كلهم ما فعل فلان ما فعلت فلانة هل تزوج فلان أو تزوجت فلانة ونحو ذلك . وقد قيل فى حديث « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » انه هذا التلاقى وقيل تلاقى أرواح النيام والموتى وقيل غير ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ باب فى الأرواح وإلى أين تصير حين تخرج من الجسد ﴾

روى الحافظ أبو نعيم رضى الله عنه ان الملائكة ترفع الأرواح حتى توقفها بين يدى الله عز وجل فاذا كان من أهل السعادة قال سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيرون بها فى الجنة على قدر ما يغسل الميت فاذا غسل وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده فاذا حمل على النعش فانه يسمع كلام من تكلم بخير أو تكلم بشر فاذا وصل إلى المصلى وصلى عليه ودفن ردت فيه الروح وقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملكان الفتانان فيسألانه الحما وردوسيأتى . وكان عمرو بن دينار رضى الله عنه يقول ما من ميت إلا وروحه فى يد ملك ينظر فى جسده كيف يكفن وكيف يغسل وكيف يمشى به ويجلس فى قبره زاد فى رواية أنه يقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك يعنى بخير أو بشر (وذكر) الامام الغزالى فى كتاب كشف علوم الآخرة أن الملك إذا قبض النفس السعيدة تناولها ملـكان حسنا الوجه عليهما أثواب حسنة ولهما

تأكل أمعاءه فيصيح بصوت جهورى تفزع منه الخلائق والعقارب تلدغ بين جلده ولحمه ويلبس نعلين من نار يغلى منهما دماغه ويكون فى النار قريبا من فرعون وهامان فمن أطعم شارب الخمر لقمة سلط الله على جسده حية وعقربا ومن قضى له حاجة فقد أعانه على هدم الاسـلام ومن أقرضه شيئا فقد أعانه على قتل مسلم ومن جالسه حشره الله تعالى أعمى بلا حجة ومن شرب الخمر فلا تزوجوه وان مرض فلا تعودوه فوالذى بعثنى بالحق ما شرب الخمر أحد إلا كان ملعونا فى التوراة والانجيـل والزبور والفرقان ومن شرب الخمر فقد كفر بجميع ما أنزل الله سبحانه على أنبيائه ولا يستحل الخمر إلا كافر وأنا برىء منه وان شارب الخمر يموت عطشان فينادى واعطشاه ألف سنة والذى بعثنى بالحق نبيا ان شارب الخمر يجىء يوم القيامة فيقول الله سبحانه وتعالى

رائحة طيبة وافوها في حرير من حرير الجنة وهي على قدر النحلة مثل شخص الانسان ولم يفقد من عقله ولا من علمه المكتسب في دار الدنيا شيء فيعرجون به في الهواء فلا يزال يمر بالأمم السالفة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر حتى يأتي إلى سماء الدنيا فيقرع الأمين الباب فيقال له من أنت فيقول أنا صلصائيل وهذا فلان بأحسن أسمائه وأحبها إليه فيقولون نعم الرجل كان محافظا وكانت عقيدته جازمة غير شاك في شيء منها ثم ينتهي إلى السماء الثانية فيقال له من أنت فيقول مثل مقالته الأولى فيقولون أهلا وسهلا كان محافظا على صلاته بجميع فرائضها ثم ينتهي إلى السماء الثالثة فيقرع الباب فيقال من أنت فيقول مثل مقالته الثانية والأولى فيقولون نعم الرجل فلان كان راعي حق الله تعالى في ماله ولم يتمسك منه بشيء ثم ينتهي إلى السماء الرابعة فيقرع الباب فيقال من أنت فيقول كما قال في الثالثة وما قبلها فيقال أهلا بفلان كان يصوم فيحسن الصوم ويحفظه من أدران الرفث وحرام الطعام ثم ينتهي إلى السماء الخامسة فيقرع الباب فيقال له من أنت فيقول كما قال في السموات قبلها فيقولون أهلا وسهلا بفلان أدى حجه الواجب لله تعالى من غير سمعة ولا رياء ثم ينتهي إلى السماء السادسة فيقرع الباب فيقال له من أنت فيقول كما قيل في السموات قبلها فيقال له مرحبا بالرجل الصالح والنفس الطيبة كان كثير البر بوالديه ثم يمر حتى ينتهي إلى السماء السابعة فيقال له من أنت فيقول كما مر فيقال مرحبا بفلان كان كثير الاستغفار في الأسحار ويتصدق في السر ويكفل الأيتام . ثم يمر حتى ينتهي إلى سرادقات الجلال فيقرع الباب فيقال من أنت فيقول كما قال قبل ذلك فيقال أهلا وسهلا بالعبد الصالح والنفس الطيبة كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكرم المساكين ثم يمر بملأ كثير من الملائكة كلهم يبشرونه بالخير ويصافحونه حتى ينتهي إلى سدرة المنتهى فيقرع الباب فيقال كما مر يعني من أنت فيقول مثل ما قال قبل ذلك فيقال أهلا وسهلا بالرجل كان عمله خالصا لوجه الله عز وجل فيمر في بحر من نور ثم في بحر من ظلمة ثم في بحر من نار ثم في بحر من ماء ثم في بحر من ثلج ثم في بحر من برد طول كل بحر منها ألف عام ثم يخترق الحجب المضروبة حول عرش الرحمن وهي ثمانون ألف سرادق لكل سرادق ثمانون ألف شرافة على كل شرافة ثمانون ألف قمر يهلل الله تعالى ويسبحه لو برز منها قمر واحد إلى سماء الدنيا لأدهش العقول فحينئذ ينادى من الحضرة القدسية من وراء تلك السرادقات ما هذه النفس التي جئتم بها فيقال فلان ابن فلان فيقول الجليل جل جلاله قربوه فنعم العبد فاذا أوقفه بين يديه الكريم عتبين ناقشه وعاقبه على جميع أعماله حتى إذا ظن أنه قد هلك عفا عنه. انتهى (وقد حكي عن يحيى بن أكثم) أنه رؤي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال أوقفني بين يديه وقال ياشيخ السوء فعلت كذا وكذا فقلت يارب ما بهذا حدثت عنك . فقال فبم حدثت عني يا يحيى فقلت حدثني معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ عن جبريل عنك سبحانك تباركت وتعاليت اني لأستحي أن أعذب ذا شيبة شابت في الاسلام فقال صدقت وصدق معمر وصدق الزهري وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق محمد وصدق جبريل قد غفرت لك (وروى) محمد ابن نباتة في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال أوقفني بين يديه الكريم عتبين وقال لي أنت الذي تخلص كلامك حتى يقال ما أفصحه فقلت سبحانك اني كنت أصفك فقال قل كما كنت تقول في دار الدنيا قلت أبادهم الذي خلقهم وأسكتهم الذي أنطقهم وسيوجدهم كما أعدمهم وسيجمعهم كما فرقهم قال صدقت اذهب فقد غفرت لك (ورؤي) منصور بن عمار في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال أوقفني بين يديه وقال بماذا جئتني يا منصور فقلت بثلثمائة وستين ختمة للقرآن فقال ما قبلت منها واحدة قلت بثمانية وثلاثين حجة قال ما قبلت منها شيئا قال بماذا جئتني يا منصور قلت بك فقال الآن أجبتني اذهب فقد غفرت لك انتهى قال الامام القرطبي : ومن الناس من إذا انتهى إلى الكرسي سمع النداء ردوه ومنهم من يرد من الحجب

لملائكته خذوه فيبرز له سبعون ألف ملك يسحبونه على وجهه وأزيدكم من كان في قلبه مائة آية من كتاب الله تعالى وصب عليها الخمر يجيء يوم القيامة كل حرف من القرآن يخاصمه بين يدي الله عز وجل ومن خاصمه القرآن فقد هلك (وروى) عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: كنت ذات ليلة ذاهبا إلى المسجد وإذا بنسوة يتباكون على الطريق فقلت لهن ما قصتكن قلن مريض عندنا ندعوه ونكرر عليه الشهادة فلم يقلها فقال اكتسب أجره ولقنه الشهادة فلقنته لا إله إلا الله محمد رسول الله فلم يقلها فكررتها عليه ففتح عينيه وقال كفرت بلا إله إلا الله وتبرأت من الاسلام وخرجت روحه فخرجت من عنده وأعلمت النساء بحاله وناديت ياقوم لا تصلوا عليه ولا تدفنوه في مقابر المسلمين فانه مات كافرا فاسألوا أهله ما كان يفعل فقالوا ما نعلم له ذنبا غير أنه كان يشرب الخمر فالخمر سلب

وإنما يصل لحضرة الله تعالى عارفوه (قال) الإمام الغزالي: وأما الكافر إذا حضره الموت أخذت نفسه عنفا وقال لها الملك اخرجي أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث فإذا له صراخ كصراخ الحمير فاذا قبضها عزرائيل عليه السلام ناولها زبانية قباح الوجوه سود الثياب منتنو الرائحة بأيديهم مسوح من شعر فيتلقونها بعنف فيستحيل شخصا إنسانيا على قدر الجرادة لأن الكافر في الآخرة أعظم جرما من المؤمن فلذلك كانت روحه أكبر وسيأتي في الصحيح أن ضرس الكافر في النار كجبل أحد فيعرج به حتى ينتهي إلى سماء الدنيا فيقرع الأمين الباب فيقال من أنت فيقول أنا الملك الموكل بزبانية العذاب المسمى بدقيائيل فيقال من معك فيقول فلان بأقبح أسمائه وأبغضها اليه في دار الدنيا فيقال لا أهلا ولا سهلا ولا مرحبا ولا تفتح له أبواب السماء لقوله تعالى «لا تفتح لهم أبواب السماء» فاذا سمع الأمين هذه المقالة طرحه من يده فتهوي به الريح في مكان سحيق فاذا انتهى إلى الأرض أخذته الزبانية وسارت به الى سجين وهي على صخرة عظيمة تأوي اليها أرواح الفجار (قال) الغزالي وأما النصارى الذين ماتوا على دين المسيح فيردون من الكرسي إلى قبورهم ويشاهد أحدهم غسله وتكفينه ودفنه قال وأما أهل الشرك فلا يشاهدون شيئا من ذلك لأنه قد هوى بهم. وأما المنافق فمثل الكافر فيرد مطرودا ممقوتا الى حفرته. قال وأما المقصرون من المؤمنين فتختلف أنواعهم فمنهم من كان يسرق في صلاته فيقتص من أفعالها وأقوالها فتلف صلاته كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجهه ثم تعرج وتقول له ضيعك الله كما ضيعتني ، ومنهم من ترد زكاته لكونه يزكي ليقال عنه فلان يتصدق وهكذا القول في الصوم والحج وغير ذلك من سائر القربات نسأل الله العافية (وروى) أن الروح إذا وردت الى الجسد ووجدت الميت قد أخذ في غسله أو وجدته قد غسل قعدت عند رأسه ثم اذا أدرج في أكفانه صارت الروح ملصقة بالصدر من خارجه ولها خوار وعجيج فاذا أدخل القبر وأهيل عليه التراب ناداه القبر بلسان فصيح وقال كم كنت تفرح على ظهري فاليوم تحزن في بطني وكم كنت تأكل الألوان على ظهري فاليوم تأكلك الديدان في بطني ويكثر عليه من هذه الألفاظ الموبخة له حتى يسوى عليه التراب ثم يناديه ملك يقال له رومان وهو أول من يلقى الميت في قبره إذا دخل قبره الى آخر ما ورد . وهذه الأمور وان لم ترد في الصحيح فمثلها لا يقال من قبل الرأي. نسأل الله أن يمن علينا بالموت على الاسلام آمين والحمد لله رب العالمين .

❊ باب كيفية التوفي للموتى واختلاف أحوالهم في ذلك ❊

اعلم يا أخي أن التوفي تارة يضاف الى ملك الموت لمباشرته ذلك وتارة يضاف الى أعوانه من الملائكة وتارة يضاف الى الله تعالى في نحو قوله تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها» وهو المتوفي على الحقيقة. وكان الكلبي رضي الله عنه يقول يقبض ملك الموت الروح من الجسد ثم يسلمها الى ملائكة الرحمة إن كان مؤمنا والى ملائكة العذاب ان كان كافرا كما سيأتي ذلك في الأحاديث مبينا إن شاء الله تعالى وفي الحديث ان ملك الموت ليهب بالأرواح كما يهب أحدكم بفلوه وفصيلته أي يصيح بها التقف له ويدعوها اليه ليقبضها ويتوفاها . وفي الحديث أيضا ان ملك الموت جالس وبين يديه صحيفة تكتب له ليلة النصف من شعبان وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : ان الله ليقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها ليلة القدر . وفي هذا جمع بين القولين فان من العلماء من قال ان المراد بالليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة النصف من شعبان ومنهم من قال ليلة القدر فاذا انقضى عمر ذلك الشخص الذي حان قبض روحه سقطت ورقته من سدرة المنتهى التي فيها اسمه في الصحيفة فيعرف أنه قد فرغ أجله وانقطع أكله وفي الحديث أيضا إن ملك الموت تحت العرش تسقط عليه صحائف من يموت وهي أي الصحائف تحت ورق سدرة المنتهى فاذا نظر ملك الموت الانسان نفد أجله وانقطع رزقه ألقى عليه سكرات الموت فغشيته كرباته وأدركته غمراته

إعانه عند الموت * فتب أيها العبد الضعيف قبل مقاطعة الرب اللطيف فياويل من عصاه وكانت النار مأواه فبادر الى التوبة مادام في الجسم روح وعلم الوصال يلوح والباب للتائبين مفتوح (وروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا تاب العبد عرجت الملائكة الى السماء فيقولون يا ربنا عبدك فلان قد استيقظ من سنة الغفلة واللعب ووقف بين يديك ذليلا فيقول الله يا ملائكتي زينوا السموات والأرضين لقدوم أنفاس حضرته وافتحوا أبواب التوبة لقبول توبته فان نفس التائب عندي اذا تاب أعز من الأرضين والسموات فمن لازم التوبة وقام في الخدمة بدلت ذنوبه حسنات والله تعالى أعلم .

❊ الباب الثالث في عقوبة الزنا ❊

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «احذروا الزنا فان فيه ست خصال ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة فأما الثلاثة التي

وفي حديث الإسراء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت على ملك جالس على كرسي وإذا جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه وبيده لوح مكتوب ينظر فيه لا يلتفت عنه يمينا ولا شمالا فقلت يا أخي يا جبريل من هذا فقال هذا ملك الموت فقلت يا ملك الموت كيف تقدر على قبض أرواح جميع من في الأرض برها وبحرها فقال ألا ترى أن الدنيا كلها بين ركبتي وجميع الخلائق بين عيني ويداي يبلغان ما بين المشرق والمغرب فاذا نفد أجل عبد نظرت اليه فاذا نظرت اليه عرفت أعواني من الملائكة أنه مقبوض وبطشوا به يعالجون نزع روحه فاذا بلغوا بالروح الحلقوم علمت ذلك ولم يخف على شيء من أمره فمددت يدي اليه فأنزعها من جسده وفي الحديث أيضا أنه ينزل على الميت أربعة من الملائكة ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى وملك يجذبها من يمينه وملك يجذبها من يساره ذكره الامام الغزالي . وربما انتقل لسان الميت وهم يجذبون روحه من أطراف البنان ورءوس الأصابع والنفس مع ذلك تسل انسلال القذاة من السقاء ان كانت سعيدة وأما ان كانت الروح روح فاجر أو قال كافر فتسل روحه كالسفود المحمى من الصوف المبلول كما ورد في الحديث وقد تقدم . هذا والميت يظن أن بطنه ملئت شوكا ويحس أن نفسه تخرج من خرم إبرة وكأن السماء قد انطبقت على الأرض وهو مضغوط بينهما فاذا وصلت الروح الى القلب مات اللسان عن النطق وجمعت النفس في صدره ثم عند ذلك تختلف أحوال الموتى فمنهم من يطعنه الملك بحربة مسمومة قد سقيت سما من نار وتصير على صورة انسان ثم يناولها الزبانية ومنهم من تجذب نفسه رويدا رويدا حتى تنحصر في الحنجرة فلا يبقى في الحنجرة الاشعبة متصلة بالقلب وحينئذ يطعنها الملك بتلك الحربة (وقد روى) الحافظ أبو نعيم عن خالد بن معدان أن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب فاذا انقضى أجل عبد من الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له الآن ترى عسكر الأموات . وسئل مالك بن أنس رضي الله عنه هل يقبض ملك الموت أرواح البراغيث فأطرق مالك طويلا ثم رفع رأسه فقال ألها أنفس قالوا له نعم قال فان ملك الموت يقبض أرواحها قال الله تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها» رواه أبو بكر الخطيب رحمه الله والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء في صفة ملك الموت عند قبض روح المؤمن والكافر ﴾

اعلم يا أخي أن مشاهدة ملك الموت عليه السلام وما يدخل على قلب العبد منه من الروع والفزع حال لا يعبر عنه لعظم هوله وفظاعة رؤيته ولا يعلم حقيقة ذلك الأمر الا من كشف الله تعالى عن بصيرته. وغاية ما وصل إليه أمثالنا أنها أمثال تضرب وحكايات تروى . وكان عكرمة رضي الله عنه يقول رأيت في بعض صحف شيث عليه السلام أن أباه آدم عليه السلام قال يارب أرني ملك الموت حتى أنظر إليه فأوحى الله إليه أن له صفات لا تقدر عليها وسأنزله عليك في الصورة التي ينزل على الأنبياء والصالحين فيها فأنزل الله عليه جبريل وميكائيل وأتاه ملك الموت في صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح منها جناح جاوز السموات وجناح جاوز الأرض وجناح جاوز أقصى المشرق وجناح جاوز أقصى المغرب وإذا بين يديه الأرض وما اشتملت عليه من الجبال والسهول والغياض والجن والإنس والدواب وما أحاط بها من الأجزاء ولو أنها كلها وضعت في نقرة محجره كانت كخردلة في أرض فلاة وله عيون لا يفتحها إلا في مواضع فتحها وأجنحة لا ينشرها إلا في مواضع نشرها وأجنحة للبشرى ينشرها للطيعين وأجنحة للكافرين وفيها سفافيد وكلاليب ومقاريض فصعق آدم عليه السلام صعقة لبث فيها من تلك الساعة إلى مثلها من اليوم السابع ثم أفاق فكان من عرقه الزعفران من التغير ذكر ذلك الواعظ ابن ظفر المكي رحمه الله (وكان ابن عباس) رضي الله عنهما يقول : سأل ابراهيم الخليل ملك الموت عليهما السلام أن يريه كيف يقبض روح الكافر فقال اصرف وجهك عني فصرف وجهه عنه ثم التفت فاذا هو في صورة انسان أسود

في الدنيا فانه يذهب البهاء من وجهه ويورث الفقر وينقص العمر وأما التي في الآخرة فانه يوجب سخط الله وسوء الحساب والخلود في النار ويقول الله تبارك وتعالى لبئسما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون » (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الزناة يأتون يوم القيامة تشتعل وجوههم نارا يعرفون بين الخلائق بنتن فروجهم يسحبون على وجوههم إلى النار فاذا دخلوها يلبسهم مالك دروعا من نار لو وضع درع الزاني على جبل شامخ عال ساعة لصار رمادا ثم يقول مالك يامعشر الزبانية اكووا عيون الزناة بمسامير من نار كما نظرت الى الحرام وغلوا أيديهم بأغلال من نار كما امتدت إلى الحرام وقيدوا أرجلهم بقيود من نار كما مشت إلى الحرام فتقول الزبانية نعم نعم فتغل الزبانية أيديهم بالأغلال وأرجلهم بالقيود وأعينهم تكوى بالمسامير فهم ينادون

رجلاه فى الارض ورأسه فى السماء كأقبح ما كنت راء من الصور تحت كل شعرة من جسده لهيب نار فقال والله لو لم يلق الكافر سوى نظره الى شخصك لكفاه ذلك رعبا وخشية وخوفا ثم قبض روحه بعد أن رجع الى صورته الحسنة * قال العلماء رضى الله عنهم: ولا يتعجب من رؤية ملك الموت على صور مختلفة باختلاف الناس فان ذلك مثل ما يتغير الانسان من الصحة والمرض والصغر والكبر والشباب والهرم أو مثل صفاء اللون بملازمة دخول الحمام وشحوبة اللون وتغير الوجه بلفح الهواجر فى السفر غير أن هذه الصفات تقع للملائكة فى اليوم الواحد والساعة الواحدة مرارا وقد بلغنا أن جبريل عليه السلام يتعاظم بقدرة الله تعالى فى وقت حتى لو أذن له أن يقتلع الارض بما فيها لاقتلعها ثم انه يتصاغر فى أوقات لعظمة الله تعالى حتى يصير كالعصفور خوفا من الله عز وجل اللهم الطف بنا والمسلمين آمين.

﴿باب ما جاء فى أن ملك الموت هو القابض لأرواح الخلق وأنه يقف على كل بيت فى كل يوم خمس مرات وعلى كل ذى روح فى كل ساعة وأنه ينظر فى وجوه العباد كل يوم سبعين نظرة﴾

روى عن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه يقول اذا قبض ملك الموت روح المؤمن قام على عتبة الباب ولأهل البيت ضجة فمنهم الصاكة وجهها بيديها ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الداعية بويلها فيقول ملك الموت مم هذا الجزع فوالله ما نقصت لأحد منكم عمرا ولا أذهبت لاحد منكم رزقا ولا ظلمت أحدا منكم شيئا فان كانت شكايتكم وسخطكم علىّ بغير حق فأمرى الى الله تعالى لانى عبد مأمور تحت القهر وان كانت شكايتكم من ربكم فأنتم به كفرة وان لى فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحدا (وفى الحديث) ما من بيت الا وملك الموت يقف كل يوم على بابه خمس مرات فاذا وجد الانسان قد نفد أكله وانقطع أجله ألقى عليه غمرات الموت فغشيته كرباته وغمراته فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها والباكية بشجوها والصارخة بويلها فيقول ملك الموت ويلكم مم الفزع ومم الجزع ما أذهبت لاحد منكم رزقا ولا قربت له أجلا الحديث قال النبى صلى الله عليه وسلم «والذى نفسى بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه وما هو عليه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم» ثم اذا حمل الميت على النعش رفرفت روحه فوق النعش وهى تنادى يا أهلى يا أولادى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى جمعت المال من حله ومن غير حله فالمهنأة لكم والتبعة على فاحذروا مثل ما حل بى. وروى عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الموت عند رأس رجل من الانصار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفق بصاحبى فانه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد طب نفسا وقر عينا فانى بكل مؤمن رفيق ثم قال وما من أهل بيت من مدر ولا شعر فى بر ولا بحر الا وأنا أتصفحهم فى كل يوم خمس مرات حتى انى لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد لو أنى أردت قبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الآمر بقبضها وذكر الامام الماوردى أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلوات الخمس. قال الامام القرطبى رضى الله تعالى عنه: وفى هذا الحديث ما يدل على أن ملك الموت هذا هو الموكل بقبض كل ذى روح وأن تصرفه كله بأمر الله عز وجل فى خلقه واختراعه، ولكن ذكر ابن عطية أن فى الحديث أن الله تعالى يقبض أرواح البهائم دون ملك الموت قال وكذلك الأمر فى بنى آدم الا أن لهم نوع شرف بشركة ملك الموت أو الملائكة معه فى قبض أرواحهم فخالق الله تعالى ملك الموت وجعل على يديه قبض الأرواح واسلالها من الاجساد واخراجها منها وخلق جندا يكونون معه يعملون عمله بأمره قال تعالى «الله يتوفى الأنفس حين موتها» الآية وقال تعالى «ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة» وقال تعالى «توفته رسلنا وهم لا يفرطون» فهو تعالى خالق الموجود من سائر المخلوقات وفاعل لكل فاعل وقد ذكرنا فيما تقدم أن ملك الموت يقبض الارواح والاعوان يعالجون والله تعالى يزهق الارواح * وفى هذا جمع بين الآيات والاخبار، لكن لما كان ملك الموت يتولى ذلك بالواسطة والمباشرة أضيف ذلك التوفى اليه كما أضيف الخلق

يا معشر الزبانية ارحمونا وخففوا عنا العذاب ساعة فتقول لهم الزبانية كيف نرحمكم ورب العالمين غضبان عليكم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ملأ عينه من الحرام ملأ الله عينه من جمر جهنم ومن زنى بامرأة حرام أقامه الله من قبره عطشان باكيا حزينا مسودا وجهه مظلما فى عنقه سلسلة من نار وسرابيل على جسده من قطران ولا يكلمه الله ولا يزكيه وله عذاب أليم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم: من زنى بامرأة متزوجة كان عليها وعليه فى القبر عذاب نصف هذه الامة فاذا كان يوم القيامة يحكم الله عز وجل زوجها فى حسناته ويحمله ذنوبه ويسوقه الى النار اذا كان ذلك بغير علمه فان علم زوجها أن أحدا زنى بزوجته وسكت حرم الله عليه الجنة لان الله كتب على باب الجنة أنت حرام على الديوث الذى يدرى القبيح على أهله ويسكت لا يدخل الجنة أبدا وان

الى عيسى عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى « واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى » الآية والى الملك فى نحو حديث مسلم مرفوعا « اذا مر بالنطفة ثلاث وأربعون ليلة بعث الله تعالى لها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم يقول يارب أذكر أم أنثى » الحديث قال تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم » وقال الله تعالى « الله خالق كل شيء » فقد علمت صحة اضافة الخلق والتصوير الى الخلق باذن الله وصحة اضافة التوفى الى ملك الموت وان كان الله تعالى هو الخالق والمصور والقابض للارواح حقيقة والله تعالى أعلم. وفى الحديث أن ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الموتى فأوحى الله تعالى اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له فأنا المميت المحيي ولا مميت ولا محيي سواى ذكره فى كتاب الإحياء (وروى الحافظ أبو نعيم) عن ثابت البنانى رضى الله تعالى عنه أنه قال : الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة تأتى على ذى روح إلا وملك الموت قائم عليها فان أمر بقبضها قبضها والا ذهب وهذا عام فى كل ذى روح (وفى الحديث) أن ملك الموت ينظر فى وجوه العباد كل يوم سبعين مرة فاذا ضحك العبد الذى بعث اليه قال ياعجبا لابن آدم بعثت اليه لأقبض روحه وهو مع ذلك يضحك . والله تعالى أعلم .

﴿ باب ماجاء فى سبب قبض ملك الموت أرواح الخلائق ﴾

روى الزهرى وغيره أن الله تعالى أرسل جبريل ليأتى من تربة الارض بشيء فأتاها ليأخذ فاستعاذت بالله من ذلك فأعادها فأرسل ميكائيل فاستعاذت منه فأعادها فأرسل عزرائيل فاستعاذت منه فلم يعذها وأخذ منها فروى أن الرب جل وعلا قال لعزرائيل أما استعاذت منك الارض قال نعم قال تعالى هلا رحمتها كما رحمها صاحباك قال يارب طاعتك أوجب على من رحمتى لها فقال الله عز وجل اذهب فأنت ملك الموت سلطتك على قبض أرواحهم فبكى فقال مايبكيك قال يارب انك تخلق من هذا الخلق أنبياء وأصفياء ومرسلين وانك لم تخلق خلقا أكره اليهم من الموت فاذا عرفونى أبغضونى وشتمونى قال الله تعالى انى سأجعل للموت عللا وأسبابا وأوجاعا فلا يكادون يذكرونك معها الحديث وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال رفعت طينة آدم عليه الصلاة والسلام من ستة أرضين وأكثرها من الارض السادسة وليس منها شيء من الارض السابعة لان فيها نار جهنم فلما أتى ملك الموت بتربة آدم عليه الصلاة والسلام قال أما استعاذت بى منك الحديث كامر (وفى الحديث) أيضا أن الارض قالت لما أخذ منها تربة آدم عليه السلام يارب خلقت السموات فلم تنقص منها شيئا وخلقتنى فنقصتنى فقال لها الرب جل وعلا وعزتى وجلالى لأعيدنهم اليك برهم وفاجرهم فقالت وعزتك لأنتقمن ممن عصاك قال ثم دعا بمياه الارض مالحها وعذبها وحلوها ومرها فطفا منها تربة آدم فأقام أربعين سنة لم ينفخ فيه الروح وكانت الملائكة تمر به فيقفون ينظرون اليه ويقول بعضهم لبعض ان ربنا لم يخلق خلقا أحسن من هذا ثم مر به إبليس اللعين فضرب بيده عليه فسمع صلصلة وهو صلصال كالفخار فقال إبليس لئن فضل هذا على لم أطعه وان فضلت عليه أهلكته هذا من طين وأنا من نار . وقيل ان الذى أتى بتربة الارض إبليس وان الله تعالى بعثه بعد جبريل وميكائيل فاستعاذت بالله تعالى منه فقال انى أعوذ بالله منك ثم أخذ منها وصعد الى حضرة ربه فقال الرب جل وعلا ألم تستعذ بى منك قال بلى يارب قال فوعزتى وجلالى لأخلقن مما جئت به خلقا يسوءك والله أعلم .

﴿ باب ماجاء أن الروح اذا قبض تبعه البصر وما جاء فى تزاور الاموات فى قبورهم واستحسان الكفن ﴾

روى مسلم وابن ماجه مرفوعا ان الروح اذا قبض تبعه البصر وفى رواية لمسلم ان الانسان اذا مات شخص بصره (وفى الصحيح) ان الميت أول مايشق بصره لرؤية المعراج وهو سلم بين السماء والارض وهو من

السموات السبع تلعن الزانى والديوث (وفى) بعض الكتب المنزلة أن أصحاب الفروج الزانية يحشرون يوم القيامة وفروجهم توقد نارا ويحشرون وأيديهم مغلولة الى أعناقهم تسحبهم الزبانية وتنادى عليهم يامعشر الناس هؤلاء الزناة قد جاؤكم مغلولة أيديهم الى أعناقهم توقد فروجهم نارا فيتفرجون عليهم فتفيح النار من فروجهم روائح منتنة فتقول الزبانية هذه روائح فروج الزناة الذين زنوا ولم يتوبوا فالعنوهم لعنهم الله تعالى فلا يبقى عند ذلك بار ولا فاجر الا قال اللهم العن الزناة (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى بى الى السماء رأيت رجالا ونساء محبوسين مع العقارب والحيات العقارب تلدغهم والحيات تنهشهم فوضع كل قبلة جرت بينهما تدقهم العقارب بعقاراتها وفى كل مقارة من مقاراتها راوية سم تفرغ فى لحم من تقرصه يسيل من فرجهم الصديد تصيح أهل

زمردة خضراء ماروئي أحسن منها قط فذلك حين يمد بصره اليه وروى مسلم مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفنه » وروى أبو حاتم الحافظ مرفوعا « أحسنوا أكفان موتاكم فانهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم » أي يشكرون الله تعالى على حسن أكفانهم وكان عبدالله بن المبارك رضي الله تعالى عنه يقول أحب أن يكفن الشخص في أثوابه التي كان يصلي فيها والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ باب الاسراع بالجنازة وكلامها ﴾

روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أسرعوا بالجنازة فان تك صالحة فخير تقدمونها اليه وان تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم » (وفي رواية للبخاري) اذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فان كانت صالحة قالت قدموني قدموني وان كانت غير صالحة قالت ياويلها أين تذهبون بها فيسمع صوتها كل شيء الا الانسان ولو سمعه لصعق * قال العلماء رضي الله تعالى عنهم والمراد بالاسراع بالجنازة مايعم غسلها وتكفينها وحملها والمشي معها مشيا دون الخبب فانه يكره الاسراع الذي يشق على ضعفة من يتبعها وكان ابراهيم النخعي رضي الله عنه يقول يمشون بها قليلا قليلا لسجية العادة ولا يدبون بها دبيب اليهود والنصارى وكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يكرهون الابطاء ويحبون العجلة والله تعالى أعلم

﴿ باب بسط الثوب على القبر عند الدفن ﴾

روى أن رسول الله ﷺ تبع جنازة فلما صلى عليها دعا بثوب بسط على القبر وقال لاتطاعوا في القبر فانها أمانة فربما أمر به الى النار فيسمع صوت السلاسل انتهى وهذه العلة تعطى أن ذلك لا يختص بالمرأة كما قيل بل يستحب بسط الثوب على القبر للرجل والمرأة * وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال لاتطاعوا في القبر فانها أمانة فعسى أن يحل بالعبد ماقدره الله عليه من العذاب والعقوبة فيرى حية سوداء مطوقة في عنقه أو قيل يؤمر به الى النار فيسمع صوت السلاسل . والسوداء المذكورة هي أعماله السيئة كما قاله العلماء فيتصور لكل انسان عمله في صورة قبيحة يعذب بها يوم القيامة (وقد حكى) الامام القرطبي رحمه الله أن صاحبه عبدالرحمن القصري أخبره أنه تولى دفن بعض الولاة بالقسطنطينية فلما حفروا له وفرغوا من الحفر وأرادوا أن يدخلوه القبر واذا بحية سوداء داخل القبر فهابوا أن يدخلوه فيه فحفروا له قبرا آخر فلما أرادوا أن يدخلوه فيه واذا بتلك الحية فيه فلم يزالوا يحفرون له الى ثلاثين قبرا والحية تتعرض لهم في القبر فأجمع رأى الناس على أن يدفنوه مع تلك الحية تسليما لله عز وجل نسأل الله العافية والستر في الدنيا والآخرة آمين والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء في قراءة القرآن عند القبر حال الدفن وبعده وأنه يصل الى الميت ثواب ما يقرأ ويدعى له ويستغفر له ويتصدق عنه ﴾

كان الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه يقول اذا دخلتم المقابر فاقرءوا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فانه يصل اليهم وكان رضي الله تعالى عنه ينكر قبل ذلك وصول الثواب من الأحياء للموتى فلما حدثه بعض الثقات أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أوصى اذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة الكتاب وخاتمة سورة البقرة رجع عن ذلك وكذلك بلغنا عن الشيخ عزالدين بن عبدالسلام رحمه الله أنه كان ينكر وصول ثواب القراءة للموتى ويقول قال الله تعالى « وأن ليس للانسان إلا ماسعى » فلما مات رآه بعض أصحابه فسأله عن ذلك فقال قد رجعت عما كنت أقوله من عدم وصول الثواب الى الموتى من القارئ حين رأيت وصوله وأنا في القبر ويؤيد ذلك مارواه الحافظ

النار من نتنه وهم معلقون بشعورهم قالت من هؤلاء ياجبريل قال هم الزانون والزانيات نعوذ بالله من فعل أهل النار ومن غضب الجبار (وقال) رسول الله ﷺ من صافح امرأة حراما أي أجنبية جاء يوم القيامة ويده مغلولة الى عنقه بسلسلة من نار فان زنى بها نطق فخذه بين يدي ربه يقول فعلت كذا على كذا في موضع كذا في شهر كذا وكذا فيقع لحم وجهه ويبقى وجهه عظما بلا لحم فيقول الله عز وجل للحم ارجع باذني فيرجع باذنه ويبقى وجه الزاني أسود أشد سوادا من القطران فيكابر الزاني ويقول ماعصيتك قط يارب فيقول الله سبحانه وتعالى للسان اخرس فيخرس اللسان فعند ذلك تنطق الجوارح فتقول اليد الهي اني للحرام تناولت وتقول العين وأنا للحرام نظرت وتقول الرجل وأنا للحرام مشيت ويقول الفرج وأنا للحرام فعلت

السلفى مرفوعا من مر بالمقابر فقرأ قل هو الله أحد احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات (وكان الحسن) البصرى رضى الله تعالى عنه يقول من دخل المقابر فقال اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة اللهم فأدخل عليها روحا منك وسلاما منى كتب له بعددهم حسنات . قال الامام القرطبى رحمه الله وقد أجمع العلماء على وصول ثواب الصدقة للأموات فكذلك القول فى قراءة القرآن والدعاء والاستغفار اذ كل صدقة ويؤيده حديث « كل معروف صدقة » فلم يخص الصدقة بالمال وكذلك يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم « الميت فى قبره كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو من أخيه أو من صديق له فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار » وحكى عن الحسن البصرى رضى الله عنه أن امرأة كانت تعذب فى قبرها وكل الناس يرون ذلك فى المنام ثم رؤيت بعد ذلك وهى فى النعيم فقيل لها ما سبب ذلك فقالت مر بنا رجل فقرأ الفاتحة وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وأهدى ذلك لنا وكان فى المقبرة خمسمائة وستون رجلا فى العذاب فنودى ارفعوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبى صلى الله عليه وسلم (وحكى) عن الحرث بن منهال أنه قال زرت جبانة فغلب على النوم فى محراب فنمت وكان فيه قبر فسمعت صوت مقمعة من حديد يضرب بها صاحب ذلك القبر وفى عنقه سلسلة وهو أسود الوجه أزرق العينين وهو يقول ياويلى ماذا حل بى لو رآنى أهل الدنيا لما ركب أحد منهم المعاصى طولبت والله باللذات فأوبقتنى وبالخطايا فأحرقتنى فهل من مخبر أهلى بأمرى قال الحرث فاستيقظت من منامى فزعا مرعوبا وسألت عن أهله فوجدت له ثلاث بنات فأخبرتهن بحال أبيهن وأخبرت بذلك أصحابه فأتوا الى قبره وبكوا وسألوا الله تعالى أن يغفر له فلما كان بعد أيام نمت بجانب قبره فرأيته فى هيئة حسنة وعلى رأسه تاج يخطف البصر وفى رجليه نعلان من ذهب وقال جزاك الله تعالى عنى خيرا حيث أعلمت بى بناتى وأصحابى حتى استغفروا لى ودعوا لى والحكايات فى ذلك كثيرة مشهورة فى كتب الرقائق والله أعلم .

﴿ باب ما جاء فى أن الميت يدفن فى الأرض التى خلق منها ﴾

روى الترمذى وغيره أن رسول الله ﷺ قال « اذا قضى الله للعبد أن يموت بأرض جعل له اليها حاجة » وروى الديلمى مرفوعا « كل مولود ينثر على سرته من تراب حفرته فاذا مات رد الى تربته » قال أبو حاتم رحمه الله ما نجد لأبى بكر وعمر فضيلة مثل هذه الفضيلة لان طينتهما من طينة رسول الله ﷺ وأنشدوا :

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

وروى الحكيم الترمذى أن رسول الله ﷺ خرج يطوف فى نواحى المدينة فاذا بقبر يحفر فأقبل حتى وقف عليه فقال لمن هذا القبر فقالوا لرجل من الحبشة فقال لا اله الا الله سيق من أرضه حتى دفن فى الارض التى خلق منها (أخرج) ابن ماجه مرفوعا اذا كان أجل العبد بارض أوثقته الحاجة اليها حتى اذا بلغ أقصى أثره فتوفاه الله بها فيبعثه الله فتقول الارض يوم القيامة يارب هذا ما استودعتنى ومن هنا قال العلماء رضى الله تعالى عنهم يستحب للعبد اذا سافر أن يخرج عن المظالم ويقضى جميع ديونه ويوصى بماله وعليه فانه لا يدرى هل يرجع من تلك السفرة أم لا . وأنشد سيدى عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى :

اذا ما ضاق صدرك من بلاد * ترحل طالبا بلدا سواها
فانك واجد أرضا بارض * ونفسك لم تجد أرضا سواها
مشيناها خطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت فى أرض سوها

ويقول الحافظ وأنا سمعت ويقول الآخر وأنا كتبت وتقول الارض وأنا نظرت فيقول الله عز وجل وأنا وعزتى وجلالى اطلعت وسترت ياملائكتى خذوه وفى عذابى ألقوه ومن سخطى أذيقوه فقد اشتد غضبى على من قل حياؤه فاستيقظ ياصاحب الزلل والعيوب . من يستغفر عنك بعد الموت ومن يتوب . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل يحب من عبده أن يراه متضرعا بين يديه راغبا بالدعاء اليه ان سأله أعطاه وان دعاه لباه ألا وان الله سبحانه وتعالى يقول أنا حبيب التوابين وأنا ملجأ المنقطعين وأنا غياث المستغيثين من هو الذى سألنى فخيبته ومن ذا الذى تاب الى وما قبلته ومن الذى قصدنى فما أعطيته أنا الكريم ومنى الكرم وأنا الجواد ومنى الجود أعطى من سألنى ومن لم يسألنى ماعن بابى مهرب للخاطئين ثم قرأ « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم

وروى أن رجلا دخل على سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال يانبي الله إن لي حاجة بأرض الهند وأسألك أن تأمر الريح فتحملني اليها هذه الساعة فرأى سليمان ملك الموت عنده وهو متبسم فقال له مم تبسمك فقال تعجبا اني أمرت بقبض روح هذا الرجل في بقية هذه الساعة بالهند وأنا أراه عندك فروي أن الريح حملته الى الهند في تلك الساعة فقبض بها والله أعلم * قال العلماء وفي الحديث السابق من قوله ﷺ «مامن مولود إلا وينثر على سرته من تراب حفرته» منقبة عظيمة لأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما لأن طينتهما من طينة رسول الله ﷺ وكان محمد بن سيرين رضي الله تعالى يقول لو أني حلفت لحلفت صادقا بارا غير شاك ان الله ماخلق محمدا نبيه ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما إلا من طينة واحدة ثم ردهم الى تلك الطينة انتهى (قال القرطبي) رحمه الله وممن خلق من تلك الطينة أيضا عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام لما صح في الحديث أنه يدفن عند قبر رسول الله ﷺ اذا نزل آخر الزمان والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما يتبع الميت الى القبر ومايرجع بعد دفنه وما يبقى معه في القبر ﴾

روى مسلم مرفوعا «يتبع الميت ثلاث يرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله» (وروى) الحافظ أبو نعيم وغيره مرفوعا «سبع يجري الله تعالى أجرهم للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أوغرس نخلا أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته» وفي رواية ولداً صالحا أي مسلما وروى الإمام محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه مرفوعا «مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته صدقة أخرجها من ماله في صحته» (وروى) مرفوعا «انك لتتصدق عن ميتك بصدقة فيجيء بها ملك من الملائكة في أطباق من نور فيجيء على رأس القبر فينادي ياصاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا اليك هذه الهدية فاقبلها قال فتدخل اليه في قبره ويفسح له وينور له فيه فيقول: الله يجزي عني أهلي خير الجزاء قال ويقول له جار ذلك القبر أنا لم أخلف ولداً ولا أحدا يذكرني بشيء فهو مهموم والآخر فرح بالصدقة» وبلغنا ان بعض الصالحين رأى رابعة العدوية بعد موتها وكان كثير الدعاء لها فقالت له ان هديتك تأتي لنا كل قليل في أطباق من نور عليها مناديل من الحرير وهكذا دعاء المؤمنين لإخوانهم الموتى فيقال لهم هذه هدية فلان (وقال) بعض الصالحين مررت على مقبرة كبيرة فقرأت الفاتحة وقل هو الله أحد والمعوذتين ثلاث مرات ثم أهديتها الى أموات المسلمين وقلت في نفسي هل يصل الى كل واحد منهم نصيب من ذلك فأخذتني سنة من نوم فرأيت نورا من السماء طبق الأرض وتقطع منه على كل قبر شيء وقائل يقول لي هذا ثواب قراءتك التي أهديتها لهم . والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء في هول المطلع ﴾

قد تقدم حديث «لاتتمنوا الموت فان هول المطلع شديد» ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له رجل اني لأرجو أن لاتمس جلدك النار ياأمير المؤمنين فنظر اليه عمر وقال ان من غررتموه لمغرور والله لو أن لي ماعلى الأرض جميعا لافتديت به من هول المطلع وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث أضحكني مؤمل دنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه وضاحك ملء فيه لايدري هل الله راض عنه أم ساخط وأبكاني فراق الأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه وهول المطلع عند غمرات الموت والوقوف بين يدي الله تعالى يوم تبدو السريرة علانية ثم لايدري العبد هل يؤمر به الى الجنة أو النار (وكان) أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه يقول ألا أحدثكم بيومين وليلتين لم يسمع الخلائق بمثلهن أول يوم يجيئك البشير من الله تعالى اما برضاه أو بسخطه ويوم تقف فيه على ربك فيقال

تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»

﴿ الباب الرابع في عقوبة اللواط ﴾

قال الله تعالى «أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ماخلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون» (وقال) عليه الصلاة والسلام من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حد اللواط أن يرمى صاحبه من سطح شاهق عال ثم يرمى بالحجارة حتى يموت لأن الله تعالى قد رجم قوم لوط بالحجارة من السماء ولو اغتسل الذي يفعل اللواطة بمياه الأرض جميعا لم يزل نجسا حتى يتوب لأن الشيطان اذا رأى الذكر على الذكر هرب خشية العذاب واذا ركب الذكر على الذكر اهتز العرش وتكاد السموات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطراف السموات ويقرأون «قل هو الله أحد» حتى يسكن غضب الجبار وروى عن عيسى عليه السلام أنه دخل على

خذ كتابك إما بيمينك وإما بشمالك وليلة يدخل فيها الميت القبر وليلة صبحها يوم القيامة انتهى نسأل الله من فضله أن يلطف بنا في كل شدة حتى نجاوز الصراط آمين .

﴿ باب ما جاء في أن القبر أول منازل الآخرة وفي البكاء عنده وفي الاستعداد له ﴾

روى ابن ماجه أن عثمان رضي الله عنه كان إذا وقف على قبر يبكي عليه حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا فقال ان رسول الله ﷺ قال « ان القبر أول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشر منه » وكان رسول الله ﷺ يقول ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه رواه الترمذي وكان عثمان رضي الله عنه إذا رأى أحدا يدلونه القبر أنشد :

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة * والا فاني لا اخالك ناجيا

وروى ابن ماجه عن أنس عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ في جنازة فجلس على شفير القبر وبكى وأبكى حتى بل الثرى وقال إخواني لمثل هذا فأعدوا * قال العلماء أول من سن الدفن في القبر الغراب حين قتل قابيل هابيل وقيل إن قابيل كان يعرف الدفن ولكنه ترك دفن أخيه استهانة بحقه * قالوا وتكره المباهاة في القبور ببنائها بالجص وتزويقها فليس في ذلك نفع للميت بوجه من الوجوه وإنما ينفع الميت عمله الصالح وأنشدوا :

يا صاحب القبر المنقش سطحه * ولعله من تحته مغلول

وكره العلماء المباهاة في القبور والتفاخر في بنائها بالحجارة المنحوتة لأن ذلك من أفعال الجاهلية كانوا يفعلون ذلك تعظيما لأمواتهم وأنشدوا :

أرى أهل القصور اذا أميتوا * بنوا فوق المقابر بالصخور * أبوا الا مباهاة وفخرا
على الفقراء حتى في القبور * لعمرك لو كشفت الترب عنهم * لما عرف الغني من الفقير
ولا الجلد المباشر ثوب صوف * ولا الجسد المنعم بالحرير
اذا أكل الثرى هذا وهذا * فما فضل الغني على الفقير

وكان يزيد الرقاشي يقول من مر على قبر ولم يعتبر به فهو من البهائم وكان رضي الله عنه اذا رأى قبرا صرخ كما يصرخ الثور وسيأتي قريبا إن شاء الله تعالى ذكر كلام القبر للعبد إذا نزل فيه وندم حيث لا ينفعه الندم على ما جمع من المال وفرط فيه من أعمال والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء في اختيار البقعة للدفن ﴾

روى الدارقطني رحمه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من زار قبري أو قال من زارني كنت له شهيدا أو شفيعا ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله يوم القيامة من الآمنين » (وفي رواية) « من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » أي لأنه ﷺ حي في قبره (وروى) البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال أرسل ملك الموت إلى موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال يارب أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت قال فرد الله عليه عينه وقال ارجع فقل له يضع يده على متن جلد ثور فله بكل شعرة غطت يده سنة قال يارب ثم مه قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر (وفي رواية) جاء ملك الموت الى موسى عليه الصلاة السلام فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها (وروى) الحكيم الترمذي مرفوعا أن ملك الموت كان يأتي الناس عيانا حتى جاء موسى فلطمه ففقأ عينه فصار يأتي الناس بعد ذلك خفية قال بعض العلماء واتفاقا فقأ موسى عين ملك الموت بإذن من ربه عزوجل لأنه معصوم ولذلك لم يعاتبه الله على ذلك والله أعلم (وروى) الترمذي

وغيره

نار توقدت على رجل في البرية فأخذ عيسى ماء ليطفئها عنه فانقلبت النار غلاما وانقلب الرجل نارا فبكى عيسى عليه السلام وقال يارب ردهما الى حالهما الأول حتى أرى ماذنبهما فانكشفت تلك النار عنهما فاذا هما رجل وغلام فقال الرجل ياعيسى أنا قد كنت في دار الدنيا مبتلى بحب هذا الغلام فحملتني الشهوة الى أن فعلت به ليلة الجمعة ثم فعلت به يوما آخر فدخل علينا رجل فقال لنا ياويلكم اتقوا الله فقلت له أنا لا أخاف ولا أتقي فلما مت ومات الغلام صيرنا الله عزوجل نارا فيحرقني مرة ومرة أصير نارا فأحرقه فهذا عذابنا الى يوم القيامة نعوذ بالله من النار ومن غضب الجبار (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يلعنهم الله سبحانه وتعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة ويقال لهم ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به في عمل قوم لوط وناكح الأم وبنتها والزاني بامرأة

وغيره باسناد صحيح مرفوعا من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فانى أشفع لمن مات بها وفى الموطأ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول فى دعائه اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ووفاة فى دار نبيك * وعهد سعد بن أبى وقاص وسعد بن زيد إلى أصحابهما إذا هما ماتا أن يحملا من العقيق إلى البقيع مقبرة المدينة فيدفنا بها (قال الامام القرطبى) وذلك والله أعلم لفضل علمه وهناك ولو لم يكن إلا مجاورة رسول الله ﷺ والصلحاء والشهداء وغيرهم لكفى (وروى) أن كعب الاحبار لما وفد عليه رجل من أهل مصر قال له الرجل هل لك من حاجة قال نعم تراب من تراب سفح المقطم يعنى جبل مصر قال الرجل يرحمك الله وما تريد به قال أضعه فى قبرى فقال له تقول هذا وأنت بالمدينة وقد قيل فى البقيع ما قيل قال انا نجد فى الكتاب الأول انه مقدس ما بين القصير إلى اليحموم قال العلماء هذا طولا وأما عرضا فمن الجبل إلى نهر النيل فدخل فى السفح كل ما قابله من مصر والله أعلم قال علماؤنا وانما طلب الأنبياء والصالحون الدفن فى البقاع المباركة زيادة فى التقديس الحاصل من أعمالهم الصالحة والا فالعصاة لا تقدسهم الأرض المقدسة وقد أرسل أبو الدرداء يقول لسلمان الفارسى فى مكاتبته هلم يا أخى إلى الأرض المقدسة فلعلك أن تدفن بها فأرسل سلمان الفارسى يقول له اعلم يا أخى أن الأرض المقدسة لا تقدس أحدا وانما يقدس كل انسان عمله انتهى (وروى) مالك عن هشام بن عروة عن أبيه قال ما أحب أن أدفن بالبقيع ولأن أدفن بغيره أحب إلى مخافة أن ينكسر لأجلى عظام رجل أو أجاور فاجرا (قال الامام القرطبى) وهذا يستوى فيه سائر البقاع التى يتزاحم الناس على الدفن بها ويدفن بها الميت على الميت وفيه دليل على أن طالب الدفن بالأرض المقدسة ليس مجمعا عليه فقد يستحسن الانسان أن يدفن موضع فراشه وبين اخوانه وجيرانه لا لفضل ولا لدرجة والله تعالى أعلم.

﴿باب يختار للميت قوم صالحون يكون معهم﴾

روى أبو سعيد الماليني وأبو بكر الخرائطى عن على رضى الله عنه قال أمرنا رسول الله ﷺ أن ندفن موتانا وسط قوم صالحين فان الميت يتأذى بالجار السوء كما يتأذى به الأحياء (وخرج) أبو نعيم مرفوعا «إذا مات لأحدكم ميت فحسنوا كفنه وعجلوا بانجاز وصيته وأعمقوا له فى قبره وجنبوه جار السوء قالوا يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح فى الآخرة قال هل ينفع فى الدنيا قالوا نعم قال كذلك ينفع فى الآخرة» ومن هنا استحب العلماء أن يقصد الانسان بميته القبر من قبور الصالحين وأهل الخير تبركا بهم وتوسلا إلى الله تعالى بقربهم (وقد حكى) أن امرأة دفنت بجوار شخص فاسق وكانت من الصالحات فجاءت إلى أهلها فى المنام وقالت ماوجدتم موضعا تدفنونى فيه الا فرن الجير فنبش أهلها الموضع وسألوا عنه فقالوا لعل المراد بفرن الجير هو قبر فلان الفاسق فأخرجوها من جواره ولم ينكر عليهم أحد من العلماء (ودفن) شخص من الأعراب فرآه ولده بعد موته فقال له ما فعل الله بك فقال خيرا غير أنى دفنت بازاء فلان وكان فاسقا فكل قليل يحصل عندى روع من شدة ما يعذب به من أنواع العقوبات نسأل الله العافية والموت على التوحيد آمين والحمد لله رب العالمين.

﴿باب ماجاء فى كلام القبر للعبد إذا وضع فيه﴾

روى الترمذى أن رسول الله ﷺ دخل مصلاه فرأى أناسا يكثرون الكلام فقال أما انكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات يعنى الموت لشغلكم عما أرى منكم فانه لم يأت على القبر يوم الا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة أنا بيت الوحدة أنا بيت العذاب أنا بيت الدود فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أما انك كنت لأحب من يمشى على ظهرى فاذ آويتك اليوم وصرت إلى فسترى صنعى معك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما انك كنت لأبغض من يمشى على ظهرى فاذ آويتك اليوم وصرت إلى فسترى صنعى بك قال فيلتئم عليه حتى يلتقى وتختلف أضلاعه وقال ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض قال ويقيض

جاره وناكح المرأة فى دبرها وناكح يده إلا أن يتوب ومؤذى جاره (قال) سليمان بن داود عليهما السلام لابليس لعنه الله أخبرنى أى الأعمال أحب إليك قال ابليس ليس لى شىء أحب إلى من اللواط ولا أبغض إلى الله عز وجل من أن يأتى الرجل الرجل والمرأة المرأة وليس شىء أحب إلى من ذلك قال سليمان لابليس ويلك ولم ذلك قال لأنه ليس أحد يعتاده ولا يكاد يصبر عنه ساعة لأن الله سبحانه وتعالى يغضب عليهم غضبا شديدا ومن اشتد غضب الله عليه يحجبه عن التوبة (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اللعب بالنرد من عمل قوم لوط والمسابقة بالحمير والمهارشة بين الكلاب والمناطحة بين الكباش والمناقرة بين الديوك ودخول الحمام بلا مئزر ونقص المكيال وبخس الميزان كل هذه أفعال قوم لوط ويل لمن فعلها وذنبهم الأكبرا كتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال فاما كشفوا الإزار الحياء

له تسع وتسعون تنينا لو أن تنينا واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فينهشه حتى يفضى به إلى الحساب ثم قال رسول الله ﷺ إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار (وكان) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول يجعل الله تعالى للقبر لسانا ينطق فيقول يا ابن آدم كيف نسيتني أما علمت أني بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة وفي رواية عنه ان القبر ليبكي ويقول أنا بيت الوحشة أنا بيت الوحدة أنا بيت الدود وفي رواية أخرى عنه ان القبر ليكلم العبد إذا وضع فيه فيقول يا ابن آدم ما غرك بي أما علمت أني بيت الظلمة ألم تعلم أني بيت الحق فان كان مفلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول أرأيت ان كان ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال فيقول القبر فاني أعود عليه خضراء ويعود جسده نورا وتصعد روحه إلى رب العالمين رواه أبو أحمد الحاكم رحمه الله (وكان) سفيان الثوري يقول من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان أحمد بن حرب رضي الله عنه يقول ان الأرض لتتعجب ممن يمهد مضجعه للنوم وتقول يا ابن آدم ألا تتفكر في طول رقادك في جوفي وما بيني وبينك فرش وقيل لبعض الزهاد ما أبلغ العظات فقال النظر إلى الأموات وكان بعضهم إذا وجد في قلبه قساوة يذهب إلى المقابر فيرى الموتى وقد هجعوا وانقطع عملهم فيرجع وقد رق قلبه (وقد حكى) الحسن البصري رضي الله عنه أنه صلى على جنازة وحضر دفنها فلما دنوا به إلى حفرته نادت امرأة بأعلى صوتها يا أهل القبور لو عرفتم من نقل إليكم لأكرمتموه وأعززتموه فسمع صوتا من الحفرة يقول أما والله لقد نقل إلينا بأوزار كالجبال وقد أذن للأرض أن تأكله حتى تصير ترابا كما كان ويقعده الملكان ويسألاه عما بطشته اليدان ومشت إليه القدمان ونطق به اللسان وعملته الجوارح والأركان فخر الحسن مغشيا عليه واضطرب الميت فوق النعش مما سمع وأنشدوا في ذلك:

أما والله لو علم الأنام * لما خلقوا لما غفلوا وناموا
لقد خلقوا ليوم لو رأته * عيون قلوبهم ساحوا وهاموا * ممات ثم نشر ثم حشر
وتوبيخ وأهوال عظام * ليوم الحشر قد عملت أناس * فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا * كأهل الكهف أيقاظ نيام

فاستيقظوا رحمكم الله من هذه الرقدة وأعدوا لها الأعمال الصالحة مع اعتمادكم على عفو الله ولا تتمنوا منازل الأبرار وأحدكم مقيم على الأوزار وأنشدوا:

تزود من حياتك للمعاد * وقم لله واعمل خير زاد * ولا تطلب من الدنيا كثيرا
فان المال يجمع للنفاد * أترضى أن تكون رفيق قوم * لهم زاد وأنت بغير زاد

وقال آخر: تزود من الدنيا فانك راحل * وسارع إلى الخيرات فيمن يسارع
فما المال والأهلون إلا وديعة * ولابد يوما أن ترد الودائع

وقال آخر: الموت بحر موجه طافح * يغرق فيه الرجل السابح
ما ينفع الانسان في قبره * إلا التقى والعمل الصالح

﴿باب ما جاء في ضغطة القبر وان كان صاحبه صالحا﴾

روى النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في سعد بن معاذ «لقد تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفا من الملائكة ولقد ضمه ضمة ثم فرج عنه» وفي رواية عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ (وروى) الحافظ أبو نعيم أن رسول الله ﷺ شيع جنازة فاطمة بنت أسد وكان مرة يحمل ومرة يتأخر ومرة يتقدم ثم نزل قبرها ونزع قميصه ﷺ وتمعك في لحدها ثم خرج فسألوه عن قميصه وتمعكه في لحدها فقال أردت أن لا تمسها

عن رءوسهم وبارزوا الله عز وجل بالمعاصي نكسهم الله عز وجل على رءوسهم وقلب مدائنهم أي جعل أعلاها أسفلها ورجمهم بالحجارة من السماء (وقال) جعفر بن محمد رضي الله عنهما أنه جاءه امرأتان قارئتان للقرآن فقالتا له هل في كتاب الله عز وجل غشيان المرأة للمرأة قال نعم كانوا على عهد تبع فأهلك الله سبحانه وتعالى قوم تبع بسبب ذلك فأخبر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه صنع لهن جلبابا من نار ودرعا من نار ونطاقا من نار وتاجا من نار وخفين من نار وفي خبر آخر أن المرأة إذا ركبت المرأة يأمر الله سبحانه وتعالى ملكا أن يصنع لهن جلبابا من نار ودرعا من نار وخفا من نار ومن فوق ذلك كله حق من نار ملىء عقارب. واتيان المرأة في دبرها أعظم اللواط لا يفعله إلا كافر (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم «لعن الله بيتا يدخله مخنث» (وقال) النبي صلى الله

النار أبدا ان شاء الله وأن يوسع عليها قبرها وقال ماعفي أحد من ضغطة القبر الا فاطمة بنت أسد فقيل يارسول الله ولا ابنك القاسم قال ولا ابراهيم الذي هو أصغرهما (وكان) يزيد بن عبد الله بن الشخير يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يضق عليه قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه على الصراط الى الجنة » (وفي رواية) من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في مرضه الحديث (وروي مرفوعا) ان العبد اذا وضع في قبره فقال أهله واسيداه واأميراه واشريفاه قال له الملك اسمع مايقولون أأكنت أميرا أكنت شريفا فيقول الميت ليتهم سكتوا عني قال فيضغط ضغطة فتختلف فيها أضلاعه (قال العلماء) ولا يعذب الميت ببكاء أهله عليه وندبهم الا ان أوصاهم أو رضي به وقال بعضهم يعذب ببكاء أهله عليه وان لم يوص به لحديث ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه اذا قالت النائحة واعضداه واناصراه واكاسياه جبذ الميت وقيل له أنت عضدها أنت ناصرها أنت كاسيها (وفي رواية) أن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه » فقال رجل يموت بخراسان ويناح عليه ههنا كيف يعذب فقال عمران صدق رسول الله ﷺ وكذبت . نسأل الله من فضله أن يحفظنا من القبر آمين والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب مايقال عند وضع الميت في القبر واللحد ﴾

روى ابن ماجه والترمذي باسناد حسن أن رسول الله ﷺ قال « اللحد لنا والشق لأعدائنا » وأنشدوا :

ضعوا خدي على لحدي ضموه * ومن عفر التراب فوسدوه * وشقوا عنه أكفانا رقاقا
وفي الرمس البعيد فغيبوه * فلو أبصرتموه اذا تقضت * صبيحة ثالث لتركتموه
وقد سالت نواظر مقلتيه * على وجناته وانفض فوه * وناداه البلى هذا فلان
هلموا فانظروا هل تعرفوه * حبيبكم وجاركم المفدى * تقادم عهده فنسيتموه

﴿ وقال آخر ﴾ :

وألحدوا محبوبهم وانثنوا * وهمهم تحصيل ماخلفا * وغادروه مسلما مفردا
في رمسه رهنا بما أسلفا * ولم ينله من جميع الذي * باع به أخراه الا اللحفا

أي كفنا يلتحف فيه (وكان) سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه يقول : اذا سئل الميت من ربك تزيا له الشيطان في صورته فيشير الى نفسه اني أنا ربك . انتهى * قال العلماء ومن هنا كان رسول الله ﷺ يدعو اذا أخذوا في تسوية اللحد على الميت اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر وثبت عند المسئلة منطقها وافتح أبواب السماء لروحها فلو لم يكن الشيطان هناك لما دعا رسول الله ﷺ للميت أن يجيره من الشيطان نسأل الله تعالى أن يجيرنا واخواننا المؤمنين من تعرض الشيطان آمين .

﴿ باب الوقوف عند القبر قليلا بعد الدفن والدعاء للميت بالتثبيت ﴾

روى مسلم وغيره أن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه لما حضرته الوفاة قال اذا دفنتموني فشنوا على التراب شنا ثم أقيموا حول قبري قدر ماينحر الجزور أي من الابل ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي عز وجل (وفي رواية) شنوا على التراب شنا فان جنبي الايمن ليس أحق بالتراب من جنبي الأيسر انتهى قال الحافظ أبو نعيم رحمه الله ويكون الدعاء للميت بعد الدفن بالتثبيت والانسان مستقبل وجه الميت يقول الداعي اللهم هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم به الا خيرا وقد أجلسته لتسأله فنسألك اللهم أن تثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته في الدنيا اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد ﷺ ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره (قال) أبو عبد الله الحكيم الترمذي رحمه الله وانما استحبوا الوقوف للدعاء للميت بعد الدفن مع أنهم دعوا له بالصلاة عليه بجماعة المسلمين لان الصلاة عليه كوقوف العسكر بباب الملك فيشفعون له أما الوقوف على القبر لسؤال التثبيت فهو ثمرة دعاء العسكر في الصلاة عليه وهي ساعة يشتغل فيها الميت

عليه وسلم « لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء » (وقال) صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعمل عمل قوم لوط لم يلبث في قبره أكثر من ساعة ويبعث الله عز وجل اليه ملكا هيئته كهيئة الخطاف فيخطفه برجله ويطرحه في بلاد قوم لوط فيقذف معهم في النار ويكتب على جبهته آيس من رحمة الله تعالى » (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى يوم القيامة بأطفال ليس لهم رءوس فيقول الله سبحانه وتعالى لهم وهو أعلم بهم من أنتم فيقولون نحن المظلومون فيقول الله عز وجل لهم وهو أعلم بهم من ظلمكم فيقولون ظلمنا آباؤنا لانهم كانوا يأتون الذكران من العالمين فألقونا في الأدبار فيقول الله سبحانه وتعالى سوقوهم الى النار واكتبوا على جباههم آيسين من رحمتي » فاجتنب رحمك الله الاياس من الرحمة وتب الى الله سبحانه وتعالى من الخطايا والعصيان

بهول المطلع وسؤال فتاني القبر فوقفوا على قبره حتى ينظروا هل قبلت شفاعتهم فيه وأجاب الملكين على الصواب أم لا انتهى وينبغي لأهل الميت أن يكون همهم على ميتهم ماقدم عليه من الاهوال أن الله تعالى يعينه عليه. وأما الصياح والبكاء وتمزيق الثياب واظهار الحزن والامتناع من الأكل والشرب فهو معدود من خفة العقل أو النفاق (وقد كان) حاتم الاصم يقول اذا رأيت صاحب المصيبة قد خرق ثوبه وأظهر حزنه وعزيته بعد ذلك فقد شاركته في الاثم وانما الواجب عليك أن تنكر عليه لانه صاحب منكر (وكان) أبو سعيد البلخي رضي الله تعالى عنه يقول من أصيب بمصيبة فمزق ثوبا أو ضرب صدرا فكأنما أخذ رمحا يقاتل به ملائكة ربه عز وجل وأنشدوا :

عجبت لجازع باك مصاب * بأهل أو حميم ذي اكتئاب * شقيق الجيب داعي الويل جهلا
كأن الموت كالشيء العجاب * وساوى الله فيه الخلق حتى * رسول الله منه لم يحاب
له ملك ينادي كل يوم * لدوا للموت وابنوا للخراب

﴿ باب ماجاء في تلقين الميت بعد موته شهادة الاخلاص في لحده ﴾

روى مرفوعا «اذا مات أحدكم وسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يافلان يا ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يافلان يا ابن فلانة الثانية فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يافلان يا ابن فلانة الثالثة فانه يقول نعم أرشدنا رحمك الله ولكنكم لا تسمعون فيقول اذكر ماخرجت عليه من الدنيا وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا وبالقرآن اماما وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فان منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا مايقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله تعالى حجيجهما دونه فقال رجل يارسول الله فان لم يعرف أمه قال ينسبه الى أمه حواء» (وكان) شيبة بن أبي شيبة يقول أوصتني أمي عند موتها أن أقوم عند قبرها بعد دفنها وأقول ياأم شيبة قولي لا إله إلا الله ثم انصرف فلما كان الليل رأيتها في المنام وهي تقول لي يابني كدت أهلك لولا تداركتني بلا إله إلا الله فاذا حضر أحدكم أيها الاخوان دفن أخيه المسلم فيقل له بعد تسوية التراب عليه يافلان ابن فلانة قل لا إله إلا الله محمد رسول الله أو ليقل قل الله ربي والاسلام ديني ومحمد ﷺ رسولي ولا يتعلل أحدكم بقوله لا أعرف ألقن الميت فان هذه ثلاث كلمات يسهل حفظها على كل بليد فضلا عن غيره والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء في نسيان أهل الميت ميتهم ﴾

روى مرفوعا أن الله تعالى قد وكل بمن يتبع الجنازة من أهل الميت ملكا اذا رجعوا من دفنها وخف همهم وحزنهم بميتهم أن يأخذ كفا من تراب ويرمي به في وجوههم ويقول لهم ارجعوا أنساكم الله موتاكم فينسون ميتهم ويأخذون في أكلهم وشربهم وضحكهم وبيعهم وشرائهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم الحديث بمعناه وروى أن الله تعالى لما مسح على ظهر آدم عليه الصلاة والسلام فاستخرج ذريته قال الملائكة يارب لاتسعهم الارض فقال تعالى اني جاعل موتا فقالت الملائكة يارب لايهنئهم العيش فقال اني جاعل أملا انتهى فكان طول الامل رحمة من الله تعالى للناس تنتظم به أسباب معايشهم وتستحكم لهم الأمور ويتقوى به الصانع على صنعته والعابد على عبادته فهذا أمل محمود ولولا ذلك لتفسخت عزائم الناس ولم يتم لهم عمل فعلم أن الأمل المذموم هو الذي ينسي العبد أمور آخرته ويقسي قلبه ويثبطه عن الاعمال الصالحة . وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول الغفلة والامل نعمتان عظيمتان على ابن آدم ولولاهما مامشى المسلمون في الطريق وتعطلت الاسباب على أهلها وأدى ذلك الى ضرر عظيم لعدم من يقوم بأمر معاشهم وكان مطرف بن عبد الله رضي الله عنه يقول لو علمت وقت أجلي لخشيت على

ذهاب

قبل أن تنطق الجوارح فيخرس اللسان ويناديكم بأسمائكم الملك الديان الذي لا يشغله شأن عن شأن فتضرع أيها العبد العاصي اليه وتب من الذنوب بين يديه فانه كريم حليم غفور رحيم

﴿ الباب الخامس في عقوبة آكل الربا نعوذ بالله من ذلك ﴾

قال الله سبحانه وتعالى يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا ان كنتم مؤمنين. فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله يعني المراد يحارب الله ورسوله والله يحاربه فويل لمن وقع الحرب بينه وبين الله عز وجل والحق غضبان عليه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي الى السماء سمعت فوق رأسي رعدا وصواعق وبرقا ورجالا بطونهم بين أيديهم كالبيوت تعلى حيات وعقارب تلوح الحياة في بطونهم فقلت ياأخي ياجبريل من هؤلاء قال أكلة

ذهاب عقلي ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت في بعض الأوقات ليهنأوا بالعيش ولولا ذلك ماتهنأوابه ولا قامت بينهم أسواقهم اه فالله يجعلنا من الذين يذكرون الموت ولا يلهيهم ذلك عن أعمال آخرتهم والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء في رحمة الله تعالى بعبده المؤمن اذا دخل في قبره ﴾

روى عن عطاء الخراساني رضي الله عنه أنه كان يقول أرحم ما يكون الرب جل وعلا بعبده اذا دخل في قبره وتفرق عنه أهله وجيرانه ومعارفه (وكان) لأبي امامة الباهلي جار بالشام وله ابن أخ مسرف على نفسه فحضرته الوفاة فصار عمه يقول له ياولدي أما نهيتك عن كذا وكذا فلم تسمع نصحي فقال له ياعم لو أن الله دفعني الى والدتي كيف كانت صانعة بي فقال تدخلك الجنة فقال الله تعالى أرحم بي من أمي فلما قبض ودفن نزل عمه في قبره ثم صاح وفزع فقيل له مالك صحت وفزعت فقال رأيت القبر قد اتسع وامتلأ نورا (وكان) من دعاء أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى: اللهم آنس في القبر وحدتي وغربتي. وأنشدوا :

أيها الواقف اعتبارا بقبري * استمع فيه قول عظمي الرميم

أودعوني بطن الصعيد وخافوا * من ذنوب باشرتها بأديمي

قلت لا تجزعوا على فاني * حسن الظن بالرءوف الرحيم

ودعوني بما اكتسبت رهينا * غلق الرهن عند مولى كريم

اللهم ارحمنا واعف عنا وإخواننا المسلمين والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب متى يرتفع ملك الموت عليه السلام ﴾

روى أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه مرفوعا « ان ابن آدم لفي غفلة عما خلقه الله له ان الله تعالى إذا أراد خلق عبد قال للملك اكتب رزقه وأثره وأجله وشقيا أو سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك فيبعث الله اليه ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله اليه ملكين كاتبين يكتبان حسناته وسيئاته حتى اذا جاءه ملك الموت ليقبض روحه كان معه حتى يدخل حفرته وترد الروح الى جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات وصار ما كتباه كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد فذلك قوله تعالى « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال في قوله تعالى « لتركبن طبقا عن طبق » حالا بعد حال ثم قال ﷺ « ان قدامكم أمرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم فيه » قال الإمام القرطبي رضي الله عنه وجدنا على قبر الأمير أبي عامر بن شهيد مكتوبا وقد دفن بجنب قبر صاحبه الوزير أبي مروان في البستان الذي كانا يجتمعان فيه للتنزه :

ياصاحبي قم فقد أطلنا * أنحن طول المدى هجود

فقال لي لن نقوم منها * مادام من فوقنا الصعيد

تذكرني ليلة نعمنا * في ظلها والزمان عيد * كل زمان لنا تقضى

وشؤميه حاضر عتيد * يارب غفرا فأنت مولى * قصر في حقه العبيد

انتهى والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب في سؤال الملكين للعبد وفي التعوذ من عذاب القبر ومن عذاب النار ﴾

روى البخاري عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وانه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا

الربا (وقال) صلى الله عليه وسلم « من أكل من الربا ولو درهما واحدا فكأنما زنا بأمه في الاسلام » (وقال) صلى الله عليه وسلم أكلة الربا تصرعهم الزبانية كما يصرع المحموم (وقال) صلى الله عليه وسلم « لعن الله آكل الربا ومطعمه لغيره وشاهده وكاتبه والواشمة والمستوشمة والمحلل والمحلل له ومانع الزكاة » (وقال) صلى الله عليه وسلم « يظهر في آخر الزمان خصال أربع أكل الربا والأيمان الكاذبة في البيع والشراء ونقص المكيال وبخس الميزان فاذا ظهر ذلك وقع فيهم الأمراض وابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالسيف قال الله تعالى عز وجل « يوم يقوم الناس لرب العالمين » إلا المرابي فإنه يقوم ويقع مجنونا متخبطا حتى تفرغ الخلائق من الحساب » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أكل الربا ملأ الله عز وجل بطنه نارا بعدد ما أكل منه وإن كسب مالا لم يقبل الله سبحانه وتعالى شيئا من عمله ولم يزل في سخط الله

في الجنة فيراهما جميعا. قال وأما المنافق أو الكافر فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول مثل ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين (وذكر) الغزالي رحمه الله أن عبد الله بن مسعود كان يقول سألت رسول الله ﷺ ما أول ما يلقى الميت إذا دخل قبره فقال يا ابن مسعود ما سألني عن ذلك أحد قبلك أول ما يناديه ملك اسمه رومان يجوس خلال المقابر فيقول يا عبد الله اكتب عملك فيقول ليس معي دواة ولا قرطاس فيقول هيهات كفنك قرطاسك ومدادك ريقك وقلمك أصبعك فيقطع له قطعة من كفنه ثم يجعل العبد يكتب وإن كان غير كاتب في دار الدنيا فيذكر حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد ثم يطوي الملك القطعة ويعلقها في عنقه ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه» أي عمله فإذا فرغ من ذلك دخل عليه فتانا القبر وهما ملكان أسودان يخرقان الأرض بأنيابهما لهما شعور مسدولة يجرانها على الأرض صوتهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف ونفسهما كالريح العاصف بيد كل واحد منهما مقمع من حديد لو اجتمع الثقلان ما رفعاه لو ضرب به أعظم جبل لجعله دكا فإذا أبصرتهما النفس ارتعدت وولت هاربة فتدخل في منخر الميت فيحيا الميت من الصدر ويكون كهيئته عند الغرغرة ولا يقدر على حراك غير أنه يسمع وينظر فيبتدئانه بعنف وينتهرانه بجفاء وقد صار التراب له كالماء حيثما تحرك انفسح ووجد فيه فرجة فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك وما قبلتك فمن وفقه الله تعالى وثبته بالقول الثابت قال فمن دلكما علي ومن أرسلكما إلي وهذا لا يقوله إلا العلماء الأخيار فيقول أحدهما للآخر صدق وكفي شرنا ثم يضربان على القبر كالقبة العظيمة ويفتحان له بابين إلى الجنة من تلقاء يمينه ثم يفرشان له من حريرها ويدخل عليه نسيمها وروحها وريحانها ويأتيه عمله في صورة أحب الأشخاص إليه فيؤنسه ويحدثه ويملأ قبره نورا ولا يزال في فرح وسرور ما بقيت الدنيا حتى تقوم الساعة. ويسأل متى تقوم الساعة فليس شيء أحب إليه من قيامها قال وإن كان الميت قليل العلم والعمل دخل عليه عمله الصالح القليل بعد رومان في أحسن صورة وأطيب ريح وأحسن ثياب على شاكلة عمله الصالح القليل فيقول له أما تعرفني فيقول من أنت الذي من الله عز وجل علي بك فيقول أنا عملك الصالح لا تحزن ولا توجل فعما قليل يدخل عليك منكر ونكير ويسألانك فلا تدهش ثم يلقنه حجته فبينما هو كذلك إذ دخلا عليه فينهرانه ويقعدانه مستندا فيقولان من ربك فيسبق الأول فيقول الله ربي ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي والقرآن إمامي والكعبة قبلتي وإبراهيم الخليل أبي وملته ملتي غير مستعجم فيقولان له صدقت وإن ارتاب ولم يقل ربي الله ولا محمد ﷺ نبيي ولا ملة إبراهيم ملتي قالا له كذبت ويفتحان له بابا إلى النار فينظر إلى جميع سلاسلها وحياتها وعقاربها وأغلالها وجميع ما فيها من صديد وزقوم فيفزع لذلك أشد الفزع ثم يقولان له انظر إلى مكانك من الجنة أبدلك الله مكانه موضعا من النار ثم يغلقون عليه باب النار. قال الإمام القرطبي رحمه الله ومن الناس من يتلجلج في مسئلته إذا كانت عقيدته في الله مخالفة فلا يقدر على النطق بقوله الله ربي ويأخذ في غيرها من الألفاظ فيضربانه ضربة يشتعل عليه بها قبره نارا ثم تطفأ عنه أياما ثم تشتعل هذا دأبه ما بقيت الدنيا. ومن الناس من يعسر عليه النطق بقوله والإسلام ديني لشك كان عنده أو فتنة حصلت له عند الموت فيضربانه ضربة واحدة فيشتعل عليه قبره نارا كالأول ومن الناس من يعسر عليه النطق بقوله والقرآن إمامي لأنه كان يتلوه ولا يتعظ به ولا يأتمر بأوامره ولا ينتهي بنواهيه فيفعل به ما يفعل بالأولين ومن الناس من يستحيل عمله جروا يعذب به في قبره على قدر جرمه ومن الناس من يستحيل عمله خنزيرا أي جرو خنزير، كما ورد ومن الناس من يعسر عليه أن يقول نبيي محمد لأنه كان ناسيا للسنة. ومن الناس من يعسر عليه أن يقول الكعبة قبلتي لقلة تحريه في الاجتهاد فيها للصلاة أو فساد

عزوجل ولعنته مادام عنده قيراط واحد» (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن والفضة بالفضة وزنا بوزن والزائد والمستزيد يكوى به في النار وان الربا يحبط الحسنات ويبطل الطاعات ويعظم الخطيئات فمن كان صائما وأفطر عليه لم يقبل الله صومه ومن صلى وهو في بطنه لم يقبل الله صلاته وان تصدق منه لم تقبل صدقته وما من ساعة تمضي على المرابي الا والحق يلعنه يوم القيامة فالحق عزوجل يحاربه ولا ينظر اليه ولا يكلمه * فانظر مع ضعفك عن محاربة الله سبحانه وتعالى من هو المغلوب الملقى في النار (وقال) رسول الله ﷺ ان في جهنم واديا تستغيث أهل النار من حره في كل يوم خمس مرات لو ألقيت فيه الجبال لذابت من حره يسجن فيه المتهاونون بالصلاة والمطففون في المكيال وأهل بخس الميزان فويل لمن باع الجنة التي

فى وضوئه أو التفات فى صلاته أو نقص فى ركوعه وسجوده ونحو ذلك ومن الناس من يعسر عليه النطق بقوله وابراهيم الخليل أبى لأنه سمع من بعض الكفار أن ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا فتوهم ذلك ونسى قول الله تعالى «ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين» فيفعل به كما فعل بالأولين من ضرب به ضربة يشتعل بها قبره عليه نارا . وأما الفاجر فيقولان له من ربك فيقول لا أدرى فيقولان له لا دريت ولا عرفت ثم يضربانه بتلك المقامع حتى يتجلجل فى الأرض ثم تنفضه الأرض فى قبره ثم يضربانه سبع مرات . قال ويختلف الناس فى السؤال فمنهم من يسأل عن بعض الأمور ومنهم من يسأل عن بعض آخر كما تختلف الأحوال على الناس فى العذاب فمنهم من يستحيل عمله كلبا ينهشه حتى تقوم الساعة وهم الخوارج ومنهم من يستحيل عمله خنزيرا يعذب به وهم المرتابون * قال العلماء وأصل ذلك أن كل انسان يعذب فى قبره بما كان يخافه فى دار الدنيا فمن الناس من كان يخاف من الجرو ومنهم من كان يخاف من الأسد وقس على ذلك . نسأل الله العافية لنا ولجميع المسلمين .

﴿ باب منه ﴾

روى الامام أحمد وأبو داود باسناد صحيح عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطير فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع بصره وينظر إلى السماء ويخفض بصره وينظر إلى القبر ثم قال أعوذ بالله من عذاب القبر قالها مرارا ثم قال ان العبد المؤمن إذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع عن الدنيا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول اخرجى أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج نفسه فتسيل كما يسيل قطر السقاء ثم ينزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حنوطها فيجلسون منها مد البصر فاذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفة عين قال فذلك قوله تعالى « توفته رسلنا وهم لا يفرطون » قال فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت فتعرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ما هذه الروح فيقال فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به إلى أبواب السماء الدنيا فيفتح له ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهى إلى السماء السابعة فيقال اكتبوا له كتابه فى عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون فيكتب كتابه فى عليين ثم يقال ردوه إلى الأرض فانى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى قال فيرد إلى الأرض وتعاد روحه فيأتيها ملكان شديدا الانتهار فينهرانه ويجلسانه فيقولان من ربك وما دينك فيقول ربى الله ودينى الاسلام فيقولان ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له ما يدريك فيقول جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت قال وذلك قوله تعالى « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » قال فينادى منادٍ من السماء صدق عبدى فألبسوه من الجنة وأروه منزله منها فيفسح له مد البصر ثم قال ويمثل له عمله فى صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول له أبشر بما أعد الله لك أبشر برضوان الله وجنات فيها نعيم مقيم فيقول بشرك الله بخير من أنت فوجهك الذى جاء بالخير فيقول هذا يومك الذى كنت توعد أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعا فى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا فيقول يارب أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى قال فان كان فاجرا وكان فى قبل من الدنيا وانقطاع عن الآخرة جاءه ملك فجلس عند رأسه فقال اخرجى أيتها النفس الخبيثة اخرجى بسخط الله وغضبه فتنزل ملائكة سود الوجوه معهم مسوح من النار فاذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها فى يده طرفة عين فتفرق فى جسده فيستخرجها وقد تقطع منها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب

عرضها السموات والأرض بحبة أو حبتين . وقال رسول الله ﷺ « الذى يبخس الميزان يجىء يوم القيامة أسود الوجه ألثغ اللسان أزرق العينين فى عنقه ميزان من نار يقال له زن هذا إلى هذا فيعذب بين الجبلين خمسين ألف سنة » (وقال) عياض انما تسود الوجوه يوم القيامة من تطفيف الكيل (وقال) ﷺ «أيها الناس اتقوا خمسا قبل خمس ما نقص قوم المكيال إلا ابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالغلاء ونقص الثمرات وما نكث قوم عهدهم إلا سلط الله عليهم عدوهم وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله سبحانه وتعالى عنهم قطر المطر ولولا البهائم لم يسقوا قطرة وما ظهرت الفاحشة فى قوم إلا سلط الله عليهم الطاعون وما حكم قوم بغير القرآن إلا أذاقهم الله عز وجل جورا وأذاق بعضهم بأس بعض » (وقال)

في الصوف المبلول فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن جيفة وجدت فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض
إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون هذا فلان بأسوأ أسمائه حتى ينتهوا به إلى سماء الدنيا فلا تفتح لها
فيقولون ردوها إلى الأرض إني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى قال فيرمى
به من السماء وتلا هذه الآية « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان
سحيق » قال فيعاد إلى الأرض فتعاد فيه روحه ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينهرانه ويجلسانه فيقولان
له من ربك وما دينك فيقول لا أدري فيقولان ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فلا يهتدي لاسمه
فيقال محمد فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك فقلته قال فيقال له لا دريت فيضيق عليه قبره حتى
تختلف أضلاعه ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول أبشر بعذاب الله
وسخطه فيقول من أنت فوجهك الذي جاء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئا
عن طاعة الله سريعا إلى معصية الله قال فيقيض الله له أصم أبكم ومعه مرزبة لو ضرب بها جبل لصار ترابا
فيضربه ضربة يسمعها الخلائق إلا الثقلين ثم تعاد روحه فيضرب ضربة أخرى زاد في رواية أبي داود
الطيالسي ثم يقال افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا إلى النار * فاعلموا أيها الاخوان أن عذاب
القبر ونعيمه حق كما صرحت به الأحاديث الصحيحة ولكن الله تعالى يأخذ بأبصار الخلائق وأسماعهم من
الجن والانس عن رؤية عذاب القبر ونعيمه لحكمة إلهية ومن شك في ذلك فهو ملحد. وإيضاح ذلك أن
أحوال أهل المقابر على خلاف أحوال أهل الدنيا فلا تقاس أحوال البرزخ وما بعده من أحوال الآخرة على
أحوال أهل الدنيا ولولا خبر الصادق المصدوق عن ذلك ما عرفنا شيئا من أحوال أهل القبور ولا عرفنا
المنعم والمعذب وقد أجمع أهل الكشف على أن الميت يحس بضغطة القبر ويحس باختلاف أضلاعه ولو كان
في بطون السباع والطيور أو كان قد حرق وذري في الريح فتحس كل ذرة بالألم ولو كانت متفرقة * قال
العلماء والطفل في ضغطة القبر وعذابه كالبالغ كما تقتضيه ظواهر الأحاديث ولذلك كان الصحابة إذا صلوا
على الطفل يدعون له بأن الله تعالى يعيذه من عذاب القبر (فان قال قائل) فلم يسمى فتانا القبر بمنكر
ونكير (فالجواب) أنهما سميا بذلك لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق
البهائم ولا خلق الهوام بل هما خلق بديع لا يأنس بهما أحد من الناظرين ولكن الله تعالى يخلق عندهما
اللطف والرحمة والستر للمؤمن فضلا منه تعالى فيتشكلان لكل انسان بشاكلة عمله وعلمه واعتقاده
(فان قال قائل) كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في جميع أقطار الأرض في وقت واحد (فالجواب) أن
الله تعالى جعل جسمهما كبيرا مثل جسم ملك الموت فتكون الدنيا كلها بين يديهما كالاناء الذي يؤكل منه
فاذا تكلما بكلام وصل إلى كل واحد من الموتى في سائر أقطار الأرض فيتخيل أن الخطاب له من منعم
ومعذب فيدخل في أذن كل واحد من ذلك الكلام ما يناسب حاله من لطف وشدة ونعيم وعذاب (فان
قال قائل) فكيف تنقلب الأعمال أشخاصا وهي في نفسها أعراض (فالجواب) أن الله تعالى يخلق من
ثواب الأعمال أشخاصا حسنة وقبيحة لأن العرض نفسه لا ينقلب جوهرا وقد ورد في الصحيح أنه يؤتى
بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف على الصراط فيذبح ومحال أن ينقلب الموت كبشا لأنه عرض
وإنما المعنى أن الله تعالى يخلق شخصا يسميه الموت فيذبح بين الجنة والنار * قال الامام القرطبي وهكذا
كل ما ورد في هذا الباب من الأمور التي لا تدركها العقول هو مؤول انتهى. ويجوز أن يقال إذا كان للحق
سبحانه وتعالى ايجاد الخلق من عدم فله تعالى ايجاد الجوهر من العرض بالأولى والله أعلم (فان قيل)
قد اختلفت الآثار في سعة القبر وضيقه من تسعين ذراعا أو سبعين ذراعا أو أربعين أو مد البصر فما الصحيح
من ذلك (فالجواب) هذا مختلف باختلاف الناس من أهل الخير فكل من زاد في الأعمال الصالحة كان

رسول الله ﷺ « ان على متن الصراط كلاليب من نار فمن تقلد درهما حراما تعلقت كلاليب النار في رجليه فلا يستطيع المرور على الصراط حتى يرد ما أخذه إلى أهله من حسناته فان لم يكن له حسنات حمل من ذنوبهم ووقع في النار » * فردوا المظالم إلى أهلها قبل أن تؤخذ من الحسنات (وقال) رسول الله ﷺ « من سرق شيئا جاء يوم القيامة وفي رقبته طوق من نار ومن أكل شيئا حراما أوقدت النار في بطنه ولها صوت يرعب الخلائق ساعة ما يقوم من قبره حتى يقضي الله بين الخلائق ما هو قاض » فداووا أيها المسكين أمراض عللك بالتوبة من ذلك واسأل مولاك أن يشفيك ولعله يرحمك وفي قربه يأويك قبل أن تقع في العذاب يخزيك ويحزنك ويخرس لسانك ويختم على قلبك . فتزود للرحيل فالقليل لا يكفيك (شعر)

قبره

قبره أوسع وأما الكافر فقبره ضيق على حالة واحدة لا يتسع أبدا نسأل الله العافية .

﴿ باب ماورد فى عذاب القبر وفى اختلاف عذاب الكافرين والعصاة من الموحدين فيه ﴾

روى عن أبى سعيد الخدرى وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما أنهما كانا يقولان فى قوله تعالى « فان له معيشة ضنكا » هو عذاب القبر وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال كان الناس فى شك من عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة « ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » فتعلمون الأول اشارة إلى عذاب القبر وتعلمون الثانى إشارة إلى عذاب الآخرة (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون فيمن أنزلت هذه الآية « فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى » قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر فى القبر والذى نفسى بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ماالتنين التنين تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة رؤوس تنفخ فى جسمه وتخدشه إلى يوم القيامة ويحشر من قبره إلى الموقف أعمى . وروى الحافظ الوائلى رحمه الله عن ابن عمر قال بينا نحن نسير بجبانات بدر اذ خرج رجل من الأرض فى عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود فقال يا عبد الله اسقنى فقال ابن عمر لا أدرى أعرف اسمى أو كما يقول الانسان لأخيه يا عبد الله فقال لى الأسود لا تسقه فانه كافر ثم اجتذبه فدخل الأرض قال ابن عمر فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال أو قد رأيته ذاك عدو الله أبو جهل بن هشام وهو عذابه إلى يوم القيامة * قال العلماء وتختلف أحوال العصاة فى العذاب باختلاف معاصيهم كثرة وقلة وكبرا وصغرا . وروى ابن أبى شيبة مرفوعا « أكثر عذاب القبر من البول » وروى الشيخان أن النبى ﷺ مرّ على قبرين فقال انهما ليعذبان ومايعذبان فى كبير بلى انه كبير أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرئ من البول ، وفى رواية لمسلم لا يستنزه من البول قال العلماء وفى هذا الحديث دليل على أن الاستبراء من البول والتنزه عنه واجب إذ لا يعذب الانسان إلا على ترك الواجب وكذلك ازالة جميع النجاسات قياسا على البول وكان الامام مالك رضى الله عنه يقول من صلى ولم يستبرئ من البول قد صلى بغير طهور . وروى البيهقى وغيره فى حديث الاسراء أنه ﷺ مر ليلة أسرى به على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شىء من ذلك فقال لجبريل من هؤلاء فقال الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة . ثم مرّ ﷺ على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام فى الضريع والزقوم ورضف جهنم يعنى الحجارة المحماة فقال ماهؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وماظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد . ثم مر ﷺ على قوم بين أيديهم اللحم فى قدر نضيج ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ياجبريل من هؤلاء فقال هؤلاء الذين يزنون وعندهم النساء الحلائل الطيبات فيأتى أحدهم المرأة الخبيثة فيبيت معها حتى يصبح . ثم مر ﷺ على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شىء فقال ياجبريل من هؤلاء قال خطباء الفتنة . ثم أتى ﷺ على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث يخرج فلا يستطيع فقال ياجبريل من هذا فقال الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها فيريد أن يردها فلا يستطيع . ثم مر . ﷺ على قوم بطونهم كأمثال البيوت كلما نهض أحدهم يقوم خر على وجهه والناس يطأونهم وهم يضجون إلى الله عز وجل قال ياجبريل من هؤلاء فقال هم الذين يأكلون الربا من أمتك لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس . ثم مر ﷺ على قوم مشافرهم كمشافر الإبل فتفتح أفواههم ويلقمون الجمر ثم يخرج من أسافلهم وهم يضجون إلى الله عز وجل فقال يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا . ثم مر ﷺ على نساء معلقات بثديهن وهن

من لقب أقام فيه الحريق
ان نفسى من الجوى لا تفيق
ان عينى تفيض بالدمع سكبا
ورثى لحالى الحميم الصديق
كثرت منى الذنوب وانى لقليل الحيا ووجهى صفيق
ماله غير راحم يرحم الخلـ
ـق تعالى نعم الشفيق الرفيق
وغدا تنصب الموازين بالقسـ
ـط ويغشى العباد كرب وضيق
نحن نلقى من حر نار تلظى
قعرها بالعذاب قعر عميق
يا أهيلى أين المفر بجرم
ثم انى بحمله لا أطيق

﴿ الباب السادس فى عقوبة النائحة ﴾

قال الله تعالى « وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون » فكما لا يحسن السخط للقصاب عند ذبح كبشه كذلك لا يحسن السخط عند اماتته لعبده . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا برىء ممن

يصحن إلى الله عز وجل فقال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الزناة من أمتك . ثم مر ﷺ على قوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال لأحدهم كل كما كنت تأكل لحم أخيك قال يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون وفى رواية لأبى داود . ثم مر يعنى ﷺ على قوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم انتهى ملفقا من عدة أحاديث .

﴿ باب ماجاء فى بشرى المؤمن فى قبره وفى التعوذ من عذاب القبر ﴾

روى عن كعب الأحبار أنه كان يقول إذا وضع العبد الصالح فى قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة اليكم عنه فقد أنصب جسمه فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام لاسبيل لكم عليه فقد كان يطول ظمؤه وعطشه فى دار الدنيا لله عز وجل فيأتونه من قبل جسمه فيقول الحج والجهاد اليكم عنه فقد أنصب جسمه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل لاسبيل لكم عليه فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبى فكم من صدقة قد خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله عز وجل ابتغاء وجهه لا سبيل لكم عليه قال فيقول الملك له ثم هنيئا طبت حيا وميتا (قال الامام القرطبى) رحمه الله هذا لمن أخلص لله تعالى فى أعماله وصدق الله فى قوله وفعله وأحسن نيته له تعالى فى علانيته وسره لأن مثل هذا هو الذى تكون أعماله حجة له وأما أمثالنا من المذنبين الخطائين فقد يفعل جميع هذه الأمور رياء وسمعة فلا تدفع عنه شيئا من العذاب نسأل الله العافية * وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « أوحى إلىّ أنكم تفتنون فى القبور فيؤتى أحدكم فى قبره فيقال له ماعلمك بهذا الرجل فأما المؤمن فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ثلاث مرات فيقال له قد علمنا أنك تؤمن به فنم صالحا . وأما المنافق أو قال المرتاب فيقول لاأدرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته » رواه مسلم والأحاديث فى ذلك كثيرة والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء أن البهائم تسمع عذاب القبر وأن الميت يسمع مايقال ﴾

روى مسلم أن النبى ﷺ بينما هو فى حائط لبنى النجار على بغلته ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا قبور فقال ﷺ من يعرف أصحاب هذه القبور فقال رجل أنا فقال فمتى مات هؤلاء فقالوا ماتوا فى الاشراك فقال ﷺ ان هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع انتهى (وكان) بعض العارفين يقول لايسمع عذاب الموتى إلا من اتصف بكتمان الاسرار كالبهائم فانها ليست من عالم التعبير عما ترى أما من يخبر الناس بما رأى فلا يسمع شيئا من ذلك فما كتم الله تعالى ذلك عن الانس والجن الا لحكمة إلهية كما أشار اليه الحديث لغلبة الخوف عند سماع عذاب القبر ومن يطيق سماع عذاب الله فى القبر من أمثالنا فى هذه الدار مع ضعفنا وقد بلغنا أنه مات خلق كثير من سماع الرعد القاصف والزلازل الهائلة وهى دون صيحة الملك على الميت بيقين . وفى الحديث « لو سمع أحدكم ضربة الملك للميت بمقامع من حديد لمات » نسأل الله تعالى العافية (وأما) سماع الميت مايقال فقد روى مسلم أن رسول الله ﷺ وقف على قتلى بدر من المشركين فقال يافلان ابن فلان يافلان ابن فلان هل وجدتم ماوعد الله ورسوله حقا فانى وجدت ماوعدنى ربى حقا . يعنى من معرفة مصارعهم . فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علىّ شيئا ثم أمر رسول الله ﷺ بهم فسحبوا فألقوا فى قليب بدر وفى حديث صححه عبد الحق مرفوعا « مامن أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى دار الدنيا فيسلم عليه الاعرفه ورد

حلق وسلق وخرق » أخرجه مسلم فى الصحيح (وقال) الله عز وجل والذين لايشهدون الزور قال هى النياحة (وقال) رسول الله ﷺ « تخرج النائحة من قبرها شعثاء غبراء عليها درع من جرب وجلباب من لعنة الله وسربال من قطران وهى واضعة يدها على صدرها وهى تنادى واويلاه والملك يقول آمين ثم تكون أجرتها على النياحة حظها من النار » (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله النائحة والمستمعة » قال بعض السادة سألت الحسن البصرى رضى الله عنه هل كن نساء المهاجرين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم يفعلن كهذا الفعل قال لا والله لقد عبرت امرأة على النبى صلى الله عليه وسلم وقد قتل أبوها وولدها وأخوها فى الغزاة وهى تبكى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ما الذى أصابك قالت فقدت رجالى قال لها اصبرى ولك الجنة قالت

عليه السلام. (قال) الامام القرطبي رحمه الله وأما قوله تعالى «انك لا تسمع الموتى» وقوله «وما أنت بمسمع من في القبور» فمحمول على أن ذلك في بعض الاوقات دون بعض. وقال بعضهم في بعض الاشخاص دون بعض جمعا بين الآيات والاخبار * فعلم أن عذاب القبر عام في حق الكافر والمنافق والمؤمن والعاصي نسأل الله العفو والعافية آمين والحمد لله رب العالمين.

﴿باب في ذكر أمور تنجي من عذاب القبر﴾

فمنها الرباط في سبيل الله عز وجل روى مسلم مرفوعا «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجرى عليه عمله وأمن من الفتانات» (ومنها) قراءة سورة «تبارك الذي بيده الملك» كل ليلة صح ذلك في عدة أحاديث وكذلك قراءة «قل هو الله أحد» في مرض الموت وقد تقدم ذلك بدليله (ومنها) من مات ببطنه لحديث أبي داود مرفوعا من قتله بطنه لم يعذب في قبره (ومنها) الموت يوم الجمعة أو ليلتها لحديث الترمذي مرفوعا «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة الا وقاه الله فتنة القبر» والاحاديث في ذلك كثيرة والله أعلم (ومنها) الموت في معركة الكفار لحديث ابن أبي شيبة وغيره مرفوعا «كل مؤمن يفتن في قبره الا الشهيد» يعني المقتول في سبيل الله وروى النسائي وابن ماجه مرفوعا للشهيد عند الله ست خصال فذكر منها ويجار من عذاب القبر وألحق بالشهيد في الاجر والثواب المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم وذات الجنب والطلق والحريق ومن قتل دون ماله أو دون دمه أو دون حريمه وغير ذلك مما وردت به الاخبار والآثار والله أعلم.

﴿باب ما جاء أن الانسان يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب وأجساد الأنبياء عليهم الصلاة السلام والشهداء﴾

روى مسلم وابن ماجه مرفوعا «ليس من الانسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة» وفي رواية منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة أي أول ما خلق من الانسان هذا العظم ثم ان الله تعالى يبقيه الى أن يركب الخلق منه تارة أخرى وقد قيل يا رسول الله ما هو فقال مثل حبة خردل ومنه ينبتون الحديث. قال العلماء وانما لم تأكل الارض أجساد الشهداء لكونهم أحياء عند ربهم يرزقون كما صرح به القرآن وثبت في الصحيح أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الانصاريين دفنا في قبر واحد يوم أحد فحسر السيل عن قبرهما فحفروا عليهما لينقلا الى مكان آخر فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فكانوا يرفعون يده عن الجرح فترجع الى ما كانت وذلك بعد ست وأربعين سنة من وقعة أحد (قال الامام القرطبي) ولا فرق في عدم البلى للشهيد بين شهدائنا وشهداء الامم السالفة الذين جاهدوا مع أنبيائهم وماتوا في القتال بدليل ما صح في الترمذي في قصة أصحاب الاخدود أن الغلام الذي قتله الملك ودفن وأصبعه على صدغه أخرج من قبره في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا اصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل. وكان أصحاب الاخدود بنجران في أيام الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم وروى نقلة الاخبار أن معاوية لما أجرى العين التي استنبطها بالمدينة في وسط المقبرة وأمر الناس بتحويل موتاهم وذلك في أيام خلافته وبعد أحد بنحو من خمسين سنة فوجدوا على حالهم حتى ان الناس رأوا المسحاة أصابت قدم حمزة بن عبد المطلب فسال الدم منها وان جابر بن عبد الله أخرج أباه عبد الله كأنه دفن بالامس. وحياة الشهداء أشهر من أن تذكر (وروى) كافة أهل المدينة أن جدار قبر النبي صلى الله عليه وسلم لما انهدم أيام خلافة الوليد بن عبد الملك ابن مروان وولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة بدت لهم قدم فخافوا أن تكون قدم النبي صلى الله عليه وسلم فجزع الناس حتى روى لهم سعيد بن المسيب أن جثث الأنبياء لا تقيم في الارض أكثر من

والله لا أبكي بعد هذا اليوم أبدا اذا كانت لي الجنة. وان نساء هذا الزمان خمشن الوجوه وشققن الجيوب ونتفن الشعور (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الاصوات الى الله سبحانه وتعالى صوتان قبيحان صوت النائحة عند المصيبة وصوت مزامير في فرح لعن الله الزامر والمستمع قال الله تعالى «وفي أموالهم حق للسائل والمحروم» وهؤلاء جعلوا أموالهم حقا للمغنية عند النعمة وحقا للنائحة عند المصيبة يموت الميت وعليه الدين وعنده الامانة وفي ذمته المظالم وقد لاقى الهول في جذب روحه والمصائب عند ربه يتمنى التخفيف من أوزاره وقد أتاه الشيطان الى قبره فيسمع الملائكة تهدده بذنوبه وتوعده بالعقوبة فيقول له يا فلان أتعرفني والله لأزيدنك عذابا وعقوبة فوق عذابك حيث تحاسب بغير ذنب جرى منك فيأتي أهله فيقول ما كان أهون ميتكم عليكم ومأتمه فكأنه زبالة فعلى مثل فلان يطول الحزن وعلى مثله يطول البكاء وعلى مثله

أربعين يوما ثم ترفع وجاء سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وعرف الناس أنها قدم جده عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وروى مرفوعا «المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه وان مات لم يدد فى قبره» أى لم يدود كما فى رواية أخرى وظاهر هذا أن المؤذن المحتسب لا تأكله الارض أيضا وفى الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا على من الصلاة فى يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة على فقالوا يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أى بليت فقال ان الله عز وجل حرم على الارض أن تأكل أجساد الأنبياء ففى هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حى فى قبره يرزق (قلت) وقوله فى الحديث السابق أن الأنبياء لا يقيمون فى قبورهم أكثر من أربعين يوما هو فى حق غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أو يحمل على رجوعهم بعد الرفع ورأيت فى كلام بعض الأئمة ان الله تعالى وعد محمدا صلى الله عليه وسلم أنه لا ينزل على أمته بلاء يستأصلهم مادام فى الارض قال والى ذلك الاشارة بقوله تعالى «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم» انتهى وهو كلام عليه حشمة ووقار فينبغى اعتماده ليصح الاستدلال والقول باستحباب زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وقبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والله أعلم.

﴿باب فى انقراض هذا الخلق وذكر النفخ والصعق وكم بين النفختين وذكر الحشر والنشر والنار﴾

روى مسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو ايمان الا قبضته حتى ان أحدكم لو دخل فى كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه ويبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا فأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس ثم ينزل الله تعالى أو قال يرسل الله مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلموا الى ربكم وقفوهم انهم مسئولون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق وفى رواية فذكر الحديث الى أن قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس شىء من الانسان الا يبلى الا عظما واحدا لا تأكله الارض أبدا وروى مرفوعا أن رسول الله ﷺ قال ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعين يوما قال أبيت قالوا أربعين شهرا قال أبيت قالوا أربعين عاما قال أبيت وقد جاء أن بين النفختين أربعين عاما والله أعلم

﴿باب فى قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله الآية﴾

قد اختلف الناس فى المستثنى من هو فقيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل الشهداء (قال الشيخ أبو العباس القرطبى) والصحيح أنه لم يرد فى تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل.

﴿باب يفنى العباد ويبقى الملك لله وحده﴾

روى الشيخان مرفوعا «يقبض الله تعالى الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض» وفى رواية لمسلم «يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيمينه ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون» وفى رواية أخرى «يأخذ الله سمواته وأرضه بيديه فيقول أنا الله أنا الملك

يصلح الندب والنوح اطلبوا لكم فلانة النائحة ورغبوها بالمال فعند ذلك يأتون أهل الميت النائحة مستأجرة تبكى بغير شجو تبيع عبرتها بالدراهم تفتن الاحياء فى دورهم وتعذب الموتى فى قبورهم تمنعهم أجرهم وتعظم عليهم وزرهم وتعدد على الميت فيغضب الله سبحانه وتعالى عليهم وعلى الميت فيفتح عليه فى قبره سبعون طاقة من نار تدخل عليه كلاب سود تنهشه وزبانية تدق رأسه وتضربه فيقول الميت ياويلاه من أين جاءنى هذا العذاب فتقول الملائكة هذه هدية أهلك اليك فيقول الميت لا جزاهم الله عنى خيرا اللهم عذبهم كما عذبونى فتقول الملائكة لابد لكل واحد مثل هذا فيقول هم ناحوا وعددوا ولطموا فانا أى شىء ذنبى فيقول الله له ذنبك انك ما عاهدتهم أن لا يحاربونى من بعدك فمن نسى المعاهدة على الوصية للاقارب أن لا يحاربوا ربهم عذبه الله عز وجل (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النائحة اذا لم تتب

لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول جوابا لنفسه «لله الواحد القهار» وكان ابن مسعود يقول ان العباد هم الذين يجيبونه سبحانه وتعالى حين يقول لمن الملك اليوم بقولهم لله الواحد القهار زاد بعد قوله تعالى أنا الملك أين ملوك الارض وذلك بعد أن أمر الله تعالى اسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق «فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله» فاذا اجتمعوا اموتى جاء ملك الموت الى الجبار فيقول يارب قدمات أهل السماء وأهل الارض الا من شئت فيقول سبحانه وتعالى فمن بقى وهو أعلم فيقول بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وبقى ميكائيل واسرافيل وبقيت أنا فيقول الله عز وجل ليمت جبريل وميكائيل وينطق الله تعالى العرش فيقول أى رب تموت جبريل وميكائيل فيقول الله عز وجل اسكت انى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى فيموتان ثم يأتى ملك الموت الى الجبار فيقول يارب قدمات جبريل وميكائيل وبقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول ليمت حملة عرشى فيموتون فيأمر الله عز وجل العرش فيقبض الصور من اسرافيل ثم يقول ليمت اسرافيل فيموت ثم يأتى ملك الموت فيقول يارب قدمات حملة عرشك ومات اسرافيل وبقيت أنا فيقول لى الله تعالى أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فمت فيموت ملك الموت فاذا لم يبق سوى الله الواحد القهار طوى السماء كطى السجل للكتاب ثم قال أنا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد ثم يقول لله الواحد القهار» ذكره الطبرى والثعلبى وغيرهما وفى حديث أبى داود الطيالسى عن لقيط بن عامر عن النبى ﷺ «ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث الصيحة فلعمر إلهك ما تدع من شىء على ظهرها الامات والملائكة الذين هم مع ربك فأصبح ربك يطوف فى البلاد وقد خلت عليه البلاد» انتهى (قال الامام القرطبى) وقوله فأصبح ربك يطوف الى آخره تفهيم وتقريب إلى أن جميع من فى الارض يموت وأن الارض تبقى خالية ليس فيها الا الله كما أشار تعالى الى ذلك بقوله «كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام» قال العلماء. وعند قوله «لمن الملك اليوم» هو انقطاع زمن الدنيا وهو المشار اليه بقوله تعالى «ومن ورائهم برزخ» لانه الحاجز بين الموت والبعث وبعده يكون البعث والنشر والحشر على ما يأتى بيانه ان شاء الله تعالى.

﴿باب فى ذكر النفخ الثانى فى الصور وهو نفخة البعث وكيفية البعث وغير ذلك وبيان أول من تنشق عنه الارض وأول من يحيا من الخلق وبيان السن الذى يخرجون عليه من قبورهم وغير ذلك﴾

وسيأتى أن الصور قرن من نور حاو لارواح الخلائق كلها وفيه ثقب على عدد أرواحهم فينفخ فيه النفخة الأولى فيموتون والنفخة الثانية فيبعثون ويحيون ويقومون كلهم أحياء حتى السقط الذى نفخ فيه الروح وتم خلقه وفى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول ما يخلق الله الانسان من قبل رأسه» أى من جهتها وفى الحديث أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ» فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل» وفى الحديث مرفوعا «ما أطرف صاحب الصور مذ وكل به مستعدا بحذاء العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتد طرفه» وفى الحديث أيضا مرفوعا «يقوم ملك الصور بين السماء والارض فينفخ فيه فلا يبقى لله خلق فى السموات والارض الامات الا من شاء الله وليس من بنى آدم خلق الا وفى الارض منه شىء يعنى عجب الذنب ثم يرسل الله تعالى ماء من تحت العرش منى كمنى الرجال فتنبت أجسامهم ولحومهم كما تنبت الارض من التراب ثم يقوم ملك الصور بين السماء والاض فينفخ فيه فتنطلق كل نفس الى جسدها حتى تدخل فيه ثم يقومون فيجيبون اجابة واحدة» وفى الحديث أيضا مرفوعا فى قوله تعالى «يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» ان الله يبسط الارض بسطا ثم يمدها مد الأديم العكاظى يعنى الجلد «لا ترى فيها عوجا ولا أمتا» ثم يزجر الله تعالى

قبل موتها بسنة لم تقبل توبتها لان ذنبها عظيم فان ماتت غير تائبة تقوم يوم القيامة وعليها ثياب من قطران ودرع من جرب ليس أحد يعذب بذنب أحد الا الميت فانه يعذب بقدر بكاء أهله عليه اذا قالوا من لنا بعدك ياعزنا وجاهنا فيقعد فى قبره فتضربه الزبانية على كل كلمة ضربة حتى تنقطع مفاصله وتقول له الزبانية أنت كما قال أهلك هل أنت كنت رازقهم أو أميرهم أو كفيلهم فيقول لا والله يارب إنى كنت ضعيفا وأنت سبحانك الذى ترزقنى وترزقهم فيقول الله سبحانه وتعالى انما عاقبتك لانك ما نهيتهم عن هذا (وعن) أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توقف النائحة يوم القيامة على طريق بين الجنة والنار وثيابها من قطران وعلى وجهها غشاء من نار وتجىء الملائكة بالميت وقدرد الله روحه الى جسده فيمد بين

الخلق زجرة واحدة فاذاهم بهذه الارض المبدلة وهى الساهرة ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش يقال له الحيوان فتمطر السماء عليكم أربعين سنة حتى يكون الماء فوقكم اثنى عشر ذراعا ثم يأمر الله تعالى الاجساد فتنبت كنبات البقل حتى اذا تكاملت أجسادكم وكانت كما كانت يعنى فى الدنيا يقول الله عزوجل ليحى حملة العرش فيحيون ثم يقول ليحى جبريل وميكائيل واسرافيل فيأمر الله عزوجل اسرافيل فيأخذ الصور ثم يدعو الله تعالى الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورا والأخرى مظلمة فيأخذها الله فيلقيها فى الصور ثم يقول لاسرافيل انفخ نفخة البعث فينفخ فتخرج الأرواح كأمثال النحل قد ملأت ما بين السماء والارض فيقول الله عزوجل وعزتى وجلالى لترجعن كل روح الى جسدها فتدخل الارواح فى الارض الى الاجساد ثم تدخل فى الخياشيم فتمشى فى الاجساد مشى السم فى اللديغ ثم تنشق عنكم الارض قال صلى الله عليه وسلم وأنا أول من تنشق عنه الارض فتخرجون منها شبابا كأنكم أبناء ثلاث وثلاثين واللسان يومئذ بالسريانية سراعا « الى ربهم ينسلون » « مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر » « ذلك يوم الخروج » « وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا » فتقفون فى موقف حفاة عراة غرلا أى غير مختونين مقدار سبعين عاما لا ينظر الله اليكم ولا يقضى بينكم فتبكى الخلائق حتى تنقطع الدموع ثم تدمع دما ويعرقون حتى يبلغ منهم الاذقان ويلجمهم فيضجون ويقولون من يشفع لنا الى ربنا » كما سيأتى بطوله فى حديث الشفاعة ان شاء الله تعالى وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أنا أول من تنشق عنه الارض فأجلس جالسا فى قبرى فيفتح لى باب من تحتى حتى أنظر الى الارض السابعة والى الثرى ثم يفتح لى باب عن يمينى حتى أنظر الى الجنة ومنازل أصحابى قال وتتحرك الارض من تحتى فأقول لها مالك أيتها الارض قالت ان ربى أمرنى أن ألقى ما فى جوفى وأتخلى كما كنت اذ لا شىء فذلك قوله تعالى « وألقت ما فيها وتخلت » وفى الحديث أن الله تعالى يجمع كل ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع وهبوب الرياح وحيتان الماء وبطن الارض وما أصاب النيران بالحرق والمياه بالغرق وما أبلته الشمس فاذا جمعها الله تعالى وأكمل كل بدن منها ولم يبق منها إلا الارواح جمع الله الارواح فى الصور وأمر اسرافيل عليه السلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح الى جسدها باذن الله تعالى وفى الحديث فى قوله تعالى « يأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية » ان ذلك خطاب للارواح بأن ترجع الى أجسادها الى ربك أى الى صاحبك كما تقول رب الغلام ورب الدار « فادخلى فى عبادى » أى فى أجسادهم من مناخرهم كما ورد فى الخبر نسأل الله اللطف بنا فى ذلك اليوم آمين .

باب يبعث كل عبد على ما مات عليه

روى مسلم مرفوعا « يبعث كل عبد على ما مات عليه » وروى البخارى وغيره مرفوعا « اذا أراد الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم » وروى أبو داود أن عبد الله بن عمرو قال يارسول الله أخبرنى عن الجهاد والغزو فقال ياعبد الله ان قتلت صابرا محتسبا بعثت صابرا محتسبا وان قتلت مرائيا مكاثرا بعثت مكاثرا مرائيا على أى حال قاتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحالة . وفى الحديث « من مات سكران فانه يعاين ملك الموت سكران ويعاين منكرا ونكيرا سكران ويبعث يوم القيامة سكران الى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران فيه عين تجرى ماء ودما لا يكون له طعام ولا شراب الا منها » وفى صحيح مسلم أن رجلا وقصته ناقة وهو محرم فمات فقال ﷺ « اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبه ولا تمسوه طيبا ولا تخمروا رأسه فانه يبعث يوم القيامة ملبيا » وصح عن جابر رضى الله عنه أنه كان يقول ان المؤذنين والملبين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبى الملبى . وفى الحديث مرفوعا « أخبرنى جبريل أن لا إله إلا الله أنس المؤمن عند موته وفى قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو تراهم حين يمرقون من قبورهم

يديها وتقول لها الزبانية نوحى كما نحت عليه فى الدنيا فتقول انى أستحى اليوم فتضربها الملائكة ويقولون لها ياملعونة لم لم تستحى من الله فى دار الدنيا أما علمت أن الله سبحانه وتعالى يسمعك فتقول النائحة كلمة أخرى فتنقطع رجلها فتقول كلمة أخرى فتنقطع يدها فتصيح وا ويلاه ويقول الميت ماذنبى فتقول الزبانية ذنبك أنك مانهيتها قبل موتك ثم تضربه الزبانية ضربة فلا يبقى معه عضو يلزم الآخر الا وهو طائر عن جسده وكلما ضربوه ضربة يصيح صيحة تبكى منها الخلائق فلا يبرح يصيح وهو يتقطع سبع مرات ثم ان كان من أهل الخير يبعثه الله تعالى الى الجنة وان كان من أهل الشر يبعثه الله تعالى الى النار ثم يعطى النائحة حربة من نار ويلبسها درعا من نار وخوذة من نار ونعلين من نار وتقول لها الزبانية ياملعونة حاربى ربك اليوم كما حاربتيه فى الدنيا

ينفضون عن رءوسهم التراب هذا يقول لا إله إلا الله وهذا يقول الحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادي يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله مسودة وجوههم» وفي الحديث أيضا مرفوعا « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا في قبورهم ولا في منشرهم كأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رءوسهم وهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن» (وروى) مسلم وابن ماجه مرفوعا « تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة الله ودرع من نار ويدها على رأسها تقول يا ويلاه - وفي رواية - وان النائحة إذا ماتت قطع الله لها ثيابا من نار ودرعا من لهب النار وفي رواية أخرى النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن الشمال ينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يؤمر بهن إلى النار» وكان ابن عباس ومجاهد وغيرهما يقولون في قوله تعالى « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس» المعنى لا يقومون من قبورهم إلا وأحدهم يجعل معه شيطان يخنقه . وقال بعض العلماء ان الربا يربو في بطونهم فيثقلهم اذا خرجوا من قبورهم فيقومون ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم فيجعل الله تعالى هذه العلامة لأكلة الربا يعرفون بها في المحشر نسأل الله العافية والسلام من كل إثم آمين اللهم آمين .

﴿ باب في بعث النبي صلى الله عليه وسلم من قبره ﴾

روى ابن المبارك عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكعب الأحبار حاضر فقال كعب الأحبار ما من فجر يطلع إلا وسبعون ألف ملك من الملائكة يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ حتى يمسوا فإذا عرجوا هبط سبعون ألف ملك يحفون كذلك بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ فلا يزالون كذلك سبعون ألفا بالنهار وسبعون ألفا بالليل فاذا انشقت الأرض عنه ﷺ خرج في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم . وفي الحديث عن ابن عمر قال، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ويده اليمنى على أبي بكر واليسار على عمر فقال هكذا نبعث يوم القيامة * فنسأل الله تعالى من فضله أن يحشرنا في زمرته يوم القيامة وجميع إخواننا والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء في بعث الأيام والليالي ويوم الجمعة ﴾

روى بإسناد صحيح مرفوعا « ان الله عز وجل يبعث الأيام والليالي على هيئتها ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة وأهلها يحفون بها كالعروس تهدى الى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها ألوانهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور وينظر اليهم الثقلان ما يطرفون تعجبا يدخلون الجنة لا يخالطهم إلا المؤذنون المحتسبون» (وروى) الحافظ أبو نعيم عن أبي عمران الجوني أنه كان يقول : ما من ليلة الا وهي تنادي اعملوا في ما استطعتم من خير فلن أرجع اليكم إلى يوم القيامة * نسأل الله أن يلهمنا وإخواننا الخير إلى الممات آمين .

﴿ باب ما جاء أن العبد إذا قام من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا وعمله ﴾

تقدم في حديث أبي نعيم مرفوعا « فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد» وكان ثابت البناني رضي الله عنه يقول بلغنا أن العبد المؤمن إذا بعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت توعد ثم يقرأ « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون» (وروى) عن عمرو بن قيس قال بلغنا أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله الصالح في أحسن صورة وأطيب ريح فيقول هل تعرفني فيقول لا ، إلا أن الله تعالى قد طيب

لتنظرى في هذا اليوم من هو المغلوب الذليل الخائف الملقى في النار فتقول النائحة وا ويلاه ثم تساق هي ومن حضرها ورضي بفعلها الى النار وهم يسحبون على وجوههم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من عددت من النياحة ولو سبع كلمات تبعث يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وجلباب من لعنة الله وهي واضعة يدها على رأسها وتقول وا ويلاه والملك الذي يسحبها يقول آمين حتى يسلمها إلى مالك خازن النار» (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجعل الله سبحانه وتعالى النوائح صفين في النار صفا عن يمين أهل النار وصفا عن شمائلهم ينبحن كما تنبح الكلاب على أهل النار » (وروى) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع امرأة تقول أبياتا فضربها بالدرة حتى انكشف خمارها فقيل يا أمير المؤمنين أمالها من

ريحك وحسن صورتك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك فى الدنيا فاركبنى اليوم ثم يتلو « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً » وإن الكافر يستقبله عمله فى أقبح صورة وأنتنها ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا إلا أن الله قد قبح صورتك وأنتن ريحك فيقول كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك السىء طالما ركبتنى فى الدنيا وأنا اليوم أركبك ثم يتلو « وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون » ✽ نسأل الله العافية واللطف بنا وبجميع إخواننا والحاضرين فى ذلك اليوم العظيم والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴾

روى مسلم أن حبرا من أحبار اليهود أتى النبى ﷺ فقال يا محمد أين يكون الناس « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » فقال رسول الله ﷺ فى الظلمة دون الجسر يعنى الصراط والله أعلم وفى رواية للترمذى سئل رسول الله ﷺ أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » فقال على الصراط نسأل الله اللطف بنا فى ذلك اليوم آمين .

﴿ باب فى الحشر ﴾

ومعناه الجمع والمراد به هنا حشر الناس الى أرض الشام كما أشار اليه قوله تعالى « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر » قاله ابن عباس قال وذلك أن النبى ﷺ قال لهم اخرجوا قالوا إلى أين قال إلى أرض المحشر وفى حديث مسلم مرفوعا « يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا » انتهى وهذا الحشر يكون فى الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطها كما قاله القاضى عياض (قال الإمام القرطبى) وهو الأظهر وقال ابن عباس هو فى الآخرة وتكون الأبعرة من نجائب الجنة والله أعلم ويؤيده حديث مسلم مرفوعا « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم » الحديث وفى الحديث أيضا « يحشر الناس أيضا يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأظمأ ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط وأنصب ما كانوا قط فمن أطعم لله أطعمه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله ومن عمل لله كفاه » وفى الحديث عن معاذ بن جبل قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى « يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً » فأرسل رسول الله ﷺ عينيه بالبكاء ثم قال يا معاذ لقد سألت عن أمر عظيم تحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله من جماعة المسلمين وبدل صورهم فمنهم من هو على صورة القردة ومنهم من هو على صورة الخنازير ومنهم منكسون أرجلهم أعلاهم يسحبون على وجوههم ومنهم من يحشر أعمى يقاد ومنهم من يحشر أصم أبكم لا يعقل ومنهم من يحشر يمضغ لسانه وهو مدلى على صدره يسيل القيح من فيه يقذره أهل الجمع ومنهم من يحشر مقطع اليدين والرجلين ومنهم من يحشر مصلوبا على جذوع النخل نخل من النار ومنهم من يحشر أشد نتنا من الجيف ومنهم من يحشر وهو لابس جلابيب من قطران فأما الذين على صورة القردة فهم النامون وأما الذين على صورة الخنازير فأكلة السحت والحرام وأما المنكسون رءوسهم ووجوههم فأكلة الربا . وأما العمى فهم الذين يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فهم الذين يعجبون بأعمالهم . وأما الذين يمضغون ألسنتهم وهى مدلاة على صدورهم فالقصاص الذين تخالف أقوالهم أفعالهم . وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم . وأما المصلوبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس الى السلطان الجائر . وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فهم الذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله من

حرمة قال لا والله لأن الله عز وجل يأمرنا بالصبر وهى تنهى عنه وينهانا عن الجزع وهى تأمر به وتأخذ الأجرة على عبرتها وقال صلى الله عليه وسلم « ثلاث من الكفر بالله شق الجيوب وحلق الشعور أو قال لطم الخدود والنياحة وان الملائكة لا تصلى على نائحة ولا مغنية لأنه سبحانه وتعالى لعن النائحة والمغنية والواشمة والمستوشمة ولعن اللاطمة خديها والصارخة بويلها ولعن النائحة والمستمعة » وقال « ليس للنساء فى اتباع الجنائز من أجر » وقال رسول الله ﷺ « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية وقال الله سبحانه وتعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » وقال « ان الصراط ينصب على متن جهنم كما ينصب الجسر على يمينه وشماله فان كان الانسان يصلى نصب له ستر عن يمينه وان كان صابرا على

أموالهم

أموالهم وأما الذين يلبسون الجلابيب من القطران فهم أهل الكبر والفخر والخيلاء انتهى حديث معاذ رضى الله تعالى عنه (وذكر) الامام الغزالى رحمه الله فى كتاب كشف علوم الآخرة أن الزناة واللوطية تعظم فروجهم يوم القيامة وتسيل صديدا حتى يتأذى بهم جيرانهم وذكر فى هذا الكتاب أيضا أن ضارب العود يحشر والعود معلق فى عنقه والزامر زامر وشارب الخمر يحشر والكوز معلق فى عنقه والقدح فى يده وهو أنتن من كل جيفة كما أنهم إذا خرجوا من قبورهم واستوى كل واحد جالسا يكونون على صورة ماماتوا عليه فمنهم العريان ومنهم المكشوف ومنهم الأسود ومنهم الأبيض ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف ومنهم من يكون كالشمس فلا يزال كل واحد منهم مطرقا رأسه ألف عام وأطال فى ذلك نسأل الله تعالى أن يلطف بنا وبجميع المسلمين فى ذلك اليوم العظيم آمين .

﴿ باب فى قوله تعالى لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾

روى مسلم وغيره عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يارسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال ياعائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه وتقدم فى الحديث الصحيح أن من كسا لله كساه الله يوم القيامة ومن سقى لله سقاه الله يوم القيامة فيحمل قوله هنا فى الحديث عراة على من لم يكس أحدا فى دار الدنيا بل رأيت فى كتاب كشف علوم الآخرة للامام الغزالى أنه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « بالغوا فى أكفان موتاكم فان أمتى تحشر بأكفانها وسائر الأمم عراة حفاة » انتهى والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء فى أن العبد إذا عمل المعاصى يقوم مع جميع أهلها نسأل الله أن يسترنا فى ذلك اليوم ﴾

روى الحافظ أبو نعيم عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج رضى الله عنه أنه كان يقول بلغنا أن من عمل المعاصى يقوم مع أهلها حين يقال يا أهل معصية كذا قوموا فلا يستطيع العبد أن يتخلف فيافضيحة أمثالنا فى ذلك اليوم والناس ينظرون الينا ونحن نقوم مع أصحاب كل معصية وقال أبو حازم دخلت يوما على الأعرج وهو يخاطب نفسه ويقول لها كيف حالك يوم التناد يوم ينادى المنادى ياأهل خطيئة كذا وكذا قوموا فتقومى معهم ثم ينادى ياأهل خطيئة كذا وكذا قوموا فتقومى معهم فأراك تريدين أن تقومى مع كل طائفة من أهل الخطايا * نسأل الله من فضله أن يسترفضائحنا يوم تبلى السرائر وتظهر المخبآت آمين .

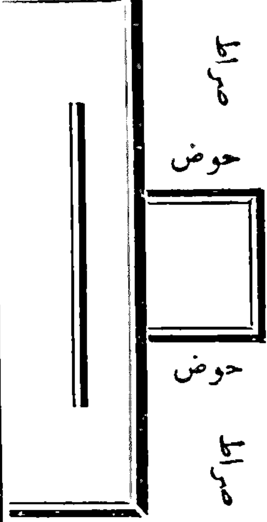
﴿ باب ذكر ما يلقى الناس فى الموقف من الأهوال والشدائد ﴾

روى فى الآثار أن الله تعالى يحشر الأمم من الجن والانس عراة أذلاء قد نزع الملك من ملوك أهل الأرض ولزمهم الذل والصغار بعد عزهم وتجبرهم على عباد الله فى أرضه ولم يعملوا بوصيته سبحانه وتعالى ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكسة رؤوسها بعد توحشها من الخلائق وانفرادها فى البرارى والقفار ذليلة خاضعة من هول ذلك اليوم مع أنها ليس عليها خطيئة ولا وقعت فى ريبة ثم وقفت من وراء الخلق كلهم ذليلة منكسرة لخالقها ثم أقبلت الشياطين بعد عتوها خاضعة ذليلة للعرض على الديان فاذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقها وطمست الشمس والقمر فأظلمت عليهم الدنيا وصارت سماء الدنيا من فوقهم فدارت بعظمها فوق رءوسهم والخلق كلهم ينظرون إلى تلك الأهوال فبيناهم كذلك إذا انشقت السماء بغلظها فوق رؤوسهم وهى مسيرة خمسمائة عام حتى يقطع سمكها فياشدة هول صوت انشقاقها فى أسماع الخلائق ثم تمزقت وانفطرت من هول ذلك اليوم ثم ذابت حتى صارت كالفضة المذابة كما أشار اليه قوله تعالى « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » وقوله تعالى « يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن » أى كالصوف المنفوش وهو

الشدائد ينصب له ستر عن يساره وان كان غير مصل ولا صابر يأكل لهب النار جنبيه وقت العبور على الصراط فاستعينوا بالصبر والصلاة ليدفع عنكم لهب النار (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة ينادى مناد من له على الله دين فتقول الخلائق ومن ذا الذى له على الله دين فتقول الملائكة من ابتلى بما يحزن قلبه ويبكى عينيه فصبر احتسابا لله سبحانه وتعالى فليقم يأخذ أجره من الله فى هذا اليوم فتقوم خلائق كثيرة من أهل البلاء فتقول الملائكة ليست الدعوى بلا بينة أرونا صحائفكم فينظرون فى صحائفهم فمن وجدوا فى صحيفته سخطا أو كلاما فاحشا يقولون اقعد فما أنت من الصابرين وكذلك إذا وجدوا فى صحيفة المرأة سخطا يردونها من بينهم وتأخذ الملائكة الصابرين من الرجال والنساء حتى يوصلوهم إلى تحت العرش فيقولون يا ربنا

أضعف الصوف ثم هبطت الملائكة من حافتها إلى الأرض بالتقديس لربها فتفزع جميع الخلائق من شدة
عظم أجسامهم وهول أصواتهم ومخافة من أن يكونوا أمروا بأخذ الخلائق إلى النار ثم يأخذون مصافهم
محدقين بالخلائق منكسين رؤوسهم لعظم هول ذلك اليوم ذليلين خاضعين لربهم وكذلك ملائكة السماء
الثانية وما بعدها إلى السماء السابعة قد أضعف أهل كل سماء على أهل السماء التي بعدها في العدد وكبر
الأجسام والأصوات فإذا حضروا كلهم الموقف واجتمع أهل السموات السبع وأهل الأرضين السبع
زاد حر الشمس مقدار حرها عشر سنين ثم أدنيت من الخلائق قاب قوس أو قوسين ولا ظل في ذلك
اليوم إلا ظل عرش الرحمن فمن الناس من يكون في ظل العرش ومنهم من يكون في ضح الشمس
أي حرها قد صهرته واشتد منها كربه وأقلقته مع شدة ازدحام الأمم وتضايقها ودفع بعضها بعضا وانقطاع
الأعناق من شدة العطش قد اجتمع عليهم في ذلك الموقف حر الشمس ووهج أنفاسهم وتزاحم أجسامهم
وفاض العرق منهم على وجه الأرض ثم على أقدامهم على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربهم من السعادة
والشقاء فمنهم من يبلغ العرق إلى منكبيه ومنهم من يبلغ إلى حقويه ومنهم من يبلغ شحمة أذنيه
ومنهم من ألجمه العرق وكاد أن يغيب فيه (وروى) عن الضحاك رضي الله عنه أنه قال إذا كان يوم القيامة
أمر الله سماء الدنيا فتشققت بأهلها فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرها الرب بالنزول
فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها ثم يأمر الله أهل السماء التي تليها فينزلون فيكونون
صفا خلف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة ثم ينزل الملك الأعلى في
بهائه وجماله وملكه وبجنبته اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأتون قطرا من أقطارها
إلا وجدوا صفوفا قياما من الملائكة فذلك قوله تعالى « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا
من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » فالسلطان هو العدل فبينماهم كذلك
إذ سمعوا المنادي للوقوف للحساب فأقبلوا إلى الحساب * نسأل الله تعالى اللطف (وذكر) الامام
الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة أن الخلائق إذا اجتمعوا في صعيد واحد من الأولين والآخرين
أمر الله تعالى بملائكة سماء الدنيا فأحدقت من وراء الخلائق حلقة واحدة فإذا هم مثلهم عشر مرات
ثم أمر بملائكة السماء الثانية أن يحدقوا بهم فإذاهم مثلهم عشرين مرة ثم أمر بملائكة السماء الثالثة
أن يحدقوا بهم فإذا هم مثل ملائكة السماء الثانية ثلاثين مرة ثم أمر بملائكة السماء الرابعة أن يحدقوا
بهم كذلك حلقة واحدة فإذا هم مثلهم أربعين مرة ثم أمر بملائكة السماء الخامسة فإذا هم مثل
ملائكة الرابعة خمسين مرة ثم بملائكة السماء السادسة فإذا هم مثل ملائكة السماء الخامسة ستين مرة
ثم بملائكة السماء السابعة فإذاهم مثل ملائكة السادسة سبعين مرة حلقة واحدة على جميع من تقدم من
خلق السموات والأرض وتزاحمت الخلائق فتدافعوا وعلا بعضهم بعضا حتى يكون فوق القدم ألف قدم حتى
يخوض الناس في العرق وفي الحديث لو أرسلت السفن في عرق الخلائق في ذلك اليوم لجرت كما جاءت به
الأخبار قال وربما يكون العرق على بعض المتقين يسيرا كالقاعد في الحمام وربما يكون عليه بلة كالعطشان
إذا شرب الماء وكان بعض التابعين رضي الله تعالى عنه يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلائق حتى لو
مد أحد يده لنالها ويضاعف حرها على قوم مقدار سبعين مرة من حرها الآن أيام الصيف وكان بعض
السلف الصالح يقول لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض وذابت الجبال
ونشفت الأنهار وصار الملوك في الصغار والذل كالذر من دوسهم بأقدام الناس فليس المراد أن خلقهم يكون
كهيئة الذر كما قد يتوهم انما هم كالذر في مذلتهم وانخفاض نفوسهم فعلى قدر ما تكبروا ذلوا وصغروا
(قال الامام الغزالي رحمه الله) وفي ذلك اليوم من كان من السعداء ومات له أولاد أطفال يخرجون له بكيزان

هؤلاء عبادك الصابرون فيقول الله عز وجل ردوهم إلى شجرة البلوى فيردونهم إلى شجرة أصلها ذهب وأوراقها حلل وظلها يسير الراكب فيه مائة عام فيجلسون تحت ظلها ويتجلى عليهم الحق سبحانه وتعالى واحدا بعد واحد



وواحدة بعد واحدة يعتذر إليهم كما يعتذر الرجل إلى صاحبه يقول لهم يا عبادي الصابرين انما ابتليتكم لا لهوانكم علي بل لكرامتكم عندي وقد أذنت أن أحط عنكم بالبلاء في دار الدنيا ذنوبكم وأوزاركم وأبلغكم درجات عالية ما كنتم تصلون إليها بأعمالكم فصبرتم لأجلي واستحييتم مني ولم

من كيزان الجنة فيسقونه ماء باردا عذبا صافيا * وقد رأى بعض الصالحين فى منامه أن القيامة قد قامت وكأنه فى الموقف عطشان والصبيان الصغار يسقون الناس قال فقلت لهم ناولونى شربة فقال لى واحد منهم ألك فينا ولد فقلت لا قال ليس لك عندنا نصيب فى هذا الماء (قال الغزالى رحمه الله) وأما أهل الصدقات فيكونون فى ذلك اليوم تحت ظل صدقاتهم لا يحسون بحر ذلك اليوم فلا يزالون كذلك ألف عام حتى اذا سمعوا نقر الناقور وجلت قلوب الخلائق وخشعت أبصارهم لعظيم نقرته وظنوا نزول العذاب بهم فبينما هم كذلك إذ برز لهم العرش العظيم تحمله ثمانية أملاك كما ذكر الله تعالى فى كتابه قدر كل ملك مسيرة عشرين ألف سنة ولهم زجل عظيم بالتسبيح لا تطيق العقول سماعه حتى يستقر العرش فى الأرض البيضاء التى خلقها الله تعالى تبدل الأرض غير الأرض والسموات لاستقرار العرش فيها اذا جاء وفى ذلك الوقت تطرق الناس رءوسهم وتشفق البرايا كلهم من الأهوال وترعب أجساد الأنبياء ويكثر خوف العلماء العاملين وتفزع الأولياء والصديقون والشهداء والصالحون من عذاب الله فبينما هم كذلك إذ غشيهم نور حتى يغلب على نور الشمس التى كانوا فى حرها فلا يزالون يموجون بعضهم فى بعض ألف عام هذا والجليل جل جلاله لا ينظر اليهم ولا يكلمهم كلمة واحدة فحينئذ يذهبون الى آدم عليه الصلاة والسلام ثم الى نبى بعد نبى يشفع لهم ويعتذر كل واحد عن عدم تقدمه للشفاعة فلا يزالون كذلك ألف عام حتى ينتهى الأمر إلى سيدنا محمد ﷺ فيقول أنا لها أنا لها كما سيأتى فى أبواب الشفاعة إن شاء الله تعالى وفى ذلك اليوم تكور الشمس وتنكدر النجوم وتمور السماء فوق الخلائق مورا وتنفطر انفطارا من عظيم هول ذلك اليوم ويتشقق بالغمام المنزل عليهم من فوقهم وتكشط السموات وتنزل الملائكة تنزيلا وتقوم الخلائق على أقدامهم من مقدار أربعين عاما إلى ثلثمائة عام فى الظلمة التى دون الصراط المسمى فى الحديث بالجسر * وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول تزدحم الخلائق يوم القيامة كازدحام النشاب فى الجعبة والسعيد فى ذلك اليوم هو من يجد لقدمه موضعا يضعه عليه فاذا دعى الخلائق الى الميزان كادت عقولهم تطير من الخوف فمن ثقلت موازينه نادى مناد ألا ان فلان بن فلان ثقلت موازينه وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ومن خفت موازينه نادى مناد ألا ان فلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا أى كسعادة من ثقلت موازينه فان المسلمين والمؤمنين من سائر الأمم فى الجنان متفاوتون فى المراتب والمنازل وأما الكفار فلا تقام لهم موازين مطلقا وفى حديث مسلم مرفوعا «ان العرق يوم القيامة ليذهب فى الأرض سبعين باعا وانه يبلغ إلى أفواه الناس» أى حتى يلجمهم كما فى رواية أخرى وعن ابن عباس فى قوله تعالى: يوم يقوم الناس لرب العالمين. قال يقومون فى العرق فى ذلك اليوم ألف عام (وروى) الوائلى أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوما: كيف بكم إذا جمعكم الله تعالى كالنشاب فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر اليكم . وذكر أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله أن جبريل عليه السلام خوف رسول الله ﷺ من يوم القيامة حتى أبكاه فقال يا جبريل ألم يغفر الله لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر فقال يا محمد لتشهدن من هول ذلك اليوم ما ينسيك المغفرة انتهى * قال العلماء واذا عرق الخلائق فى ذلك اليوم من شدة حر الشمس كان كل واحد غارقا فى عرقه لا يتعداه الى من هو بجانبه كما لا يمشى أحد فى نور أحد يوم القيامة إنما نور كل إنسان على قدر نفسه وهذا من القدرة التى تكون فى زمن الآيات يوم القيامة ونظير ذلك ما يقع فى الدنيا يكون المؤمن يمشى فى نور إيمانه والكافر بجانبه فى ظلمة كفره لا يناله من نور الإيمان شىء وكذلك البصير يمشى مع الأعمى ملاصقا لا يناله من نور بصره شىء فافهم (فان قال قائل) فمن أين يحصل ذلك العرق على كل من عرق فى ذلك اليوم (فالجواب) أنه يحصل عليه من عدم اخراجه فى دار الدنيا فى مرضاة الله عز وجل من جهاد وحج وصيام وقيام وتردد فى قضاء حوائج المسلمين وحفر الآبار والقبور لصالح العباد ونحو ذلك فاذا كان يوم القيامة استخرجه الله منه فى مواقف

تسخطوا قضائى فاليوم أستحى منكم أنصب لكم ميزانا ولا أنشر لكم ديوانا إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فلا أحاسبكم ثم يعتذر الله سبحانه وتعالى الى الفقراء ويقول ياعبادى الفقراء انى ما ابتليتكم بالفقر لهوانكم على ولا لعزة الدنيا عندى ولكن قضيت أن من ملك من ملك الدنيا شيئا أحاسبه عليه وأسأله من أين اكتسبه وفى أى شىء أخرجه فأحببت لكم الفقر ليخفف عنكم حسابكم وتستوفوا نصيبكم موفورا فمن كان قد سقاكم فى دار الدنيا شربة أو أطعمكم لقمة أو كساكم خرقة فهو فى شفاعتكم ثم يعتذر الله إلى امرأة فقدت ولدها وصبرت فيقول لها يا أمتى قضيت أجل ولدك فى اللوح المحفوظ كذا ثم قبضته إلى فما جزع لك قلب ولا ضاق لك صدر فأبشرى اليوم برضائى وجمع شملك بولدك فى دار حياة لا موت فيها ومقام لا رحيل منه

القيامة بواسطة مايقع له من الحياء والخجل أو من الخوف والوجل. وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما تعاظم الأهوال على العبد يوم القيامة لأجل تفريطه في عمل الخيرات هنا انتهى وكان الإمام الغزالي يقول من سلم من الجهل والغرور علم أن تعب العرق وتحمل مصائب الدنيا أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار يوم القيامة انتهى وكان الإمام أبو حازم رضي الله عنه يقول لو نادى مناد من السماء ألا إن فلان بن فلان أمن من أهوال يوم القيامة لكان الواجب عليه الخوف من دخول النار. فنسأل الله تعالى من فضله أن يلطف بنا في ذلك اليوم ويحنن علينا من يأخذ بيدنا في تلك الشدائد آمين والحمد لله رب العالمين

﴿ باب ما ينجي العبد من أهوال يوم القيامة ويخفف عنه كربه ﴾

ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه » وأخرج الترمذي في نوادر الأصول عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال إني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتي جاءه ملك ليقبض روحه فجاء بدواء يداويه فرده عنه ورأيت رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم وفي رواية من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فخلصته من أيديهم ورأيت رجلا من أمتي والنبيون حلقا حلقا كلما دنا من حلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة فأجلسه الى جنبي ورأيت رجلا من أمتي بين يديه ظلمة ومن تحته ظلمة وعن شماله ظلمة فبينما هو متحير فيها إذ جاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يامعشر المؤمنين كلموه فكلموه ورأيت رجلا من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على وجهه ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه بينه وبين ربه حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على ربه ورأيت رجلا من أمتي قد خفت ميزانه فجاءه أفراطه فثقلت موازينه ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه خوفه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمتي قد هوى للنار فجاءته دموعه التي كان يبكيها من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من أمتي قائما على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة انتهى وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال بينما رجل من أمتي على الصراط يمشي تارة ويعثر تارة ويزحف تارة ويحبو تارة إذ جاءته صلاته على فأخذت بيده حتى جاوزته على الصراط وفي رواية أخرى بينما رجل من أمتي عند الميزان قد خفت ميزانه إذ جاءته بطاقة من الله عز وجل ففتحها فاذا فيها صلاته على فثقلت بها ميزانه ودخل الجنة اه (وروى) مسلم مرفوعا « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه » وفي رواية لمسلم مرفوعا أيضا « من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله في ظله » وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول من أنظر مديونا فله بكل يوم عند الله وزن أحد مالم يطالبه وفي الحديث مرفوعا من كسا عاريا أو آوى مسافرا أعاذه الله من أهوال يوم القيامة » وخرج الطبراني مرفوعا « من لقم أخاه لقمة حلواء صرف الله عنه مرارة الموقف في القيامة » وروى الحافظ أبو نعيم مرفوعا « ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صلاة ولا صيام ولا حج ولا عمرة قالوا وما يكفرها يارسول الله قال الهموم في طلب

ولا هم ولا حزن ثم يعتذر الله سبحانه وتعالى لأهل العمى والبرص والجذام وسائر الأمراض فيفرحون غاية الفرح بما حصل لهم من الأجر ثم يعقد لهم رايات كرايات الصناجق والأمراء فمن صبر على بلية من البلايا نصبت له راية ومن ابتلي بنوعين من البلاء فصبر نصبت له رايتان ومن صبر على ثلاثة أنواع من البلاء نصبت له ثلاث رايات ومن ابتلي بأكثر نصب له أكثر ثم تأخذهم الملائكة ركبانا على النجائب والرايات بين أيديهم وهم سائرون الى الجنة فينظر الناس اليهم ويقولون هؤلاء هم الشهداء والأنبياء فتقول لهم الملائكة والله ليس هؤلاء شهداء ولا أنبياء ولكن هؤلاء قوم من عوام الناس قد صبروا على شدائد الدنيا فنجوا في هذا اليوم فيقول الناس ياليتنا قد وقعنا في أشد البلاء وقرضت لحومنا بالمقاريض فكان لنا

المعيشة » * فاعلموا ذلك أيها الاخوان وحصلوا الزاد قبل يوم المعاد وافعلوا هذه الخصال لتخفف عنكم الأهوال . والله يتولى هداكم وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين .

﴿باب ماجاء فى تطاير الصحف يوم القيامة عند العرض على الحساب وإعطاء الكتب باليمين أو بالشمال وفى أول من يأخذ كتابه بيمينه من هذه الأمة وما يقبل منهم من الاعمال وغير ذلك من دعائهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وبيان قوله تعالى « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » وماجاء فى تعظيم أجساد أهل الجنة وأهل النار وماجاء فى قوله صلى الله عليه وسلم « من نوقش الحساب عذب »﴾

روى الترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان يقول « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتهيأوا للعرض الأكبر وانما يخفف الحساب على من حاسب نفسه فى الدنيا » وكان عطاء الخراسانى رضى الله عنه يقول : بلغنا أن العبد الموحد يحاسب يوم القيامة بحضرة معارفه ليكون أشد عليه ، ذكره الحافظ أبو نعيم (وروى) الشيخان وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حوسب يوم القيامة عذب ، فقلت يارسول الله أليس قد قال الله تعالى : فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ليس ذلك الحساب انما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » (وروى) الترمذى مرفوعا يؤتى بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب مايتمنى معه أنه لم يقض بين اثنين فى عمره مرة قط . وروى الترمذى أيضا مرفوعا « تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير فعند ذلك تتطاير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وهى العرضة الثانية » كما فى رواية * قال العلماء والجدال خاص بأهل الاهواء فيجادل أحدهم حتى لايعرض على ربه ويظنون أنهم اذا جادلوا نجوا او قامت حجتهم . وأما المعاذير فهى لله تعالى ومن الله يعتذر الحق الى الله فيتقبل ممن شاء ويرد على من شاء ، ويعتذر الحق جل وعلا الى آدم عليه السلام والى نبينا وغيرهما من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويقيم حجته عندهم على الأعداء ثم يبعثهم الى النار فهو سبحانه وتعالى يحب أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهرا حتى لاتأخذهم الحيرة ولذلك ورد « لا أحد أحب اليه المدح من الله ولا أحد أحب اليه العذر من الله » وقال بعض العلماء ان العرضة الثالثة خاصة بالمؤمنين فيخلو ابهم ربهم ويعاتبهم فى تلك الخلوات حتى يذوب أحدهم من الحياء ويرفض عرقا بين يديه ثم يغفر لهم ويرضى عنهم انتهى * وبلغنا أن شخصا تاجرا وقفت عليه امرأة تشترى لها إزارا فكلمته فتحركت بشريته عليها فرأى فى منامه أن القيامة قد قامت وسأله الله عن ذلك فسقط لحم وجهه من الحياء (فان قيل) أين مقر هذه الكتب التى تتطاير قبل أن تتطاير (فالجواب) روى أبو جعفر العقيلى مرفوعا أن محلها تحت العرش فاذا كان يوم الموقف بعث الله تعالى ريحا فتطيرها بالأيمان والشمائل وقد خط فيها « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » (وروى) أبو داود أن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت يارسول الله هل تذكرون أهاليكم يوم القيامة فقال أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند تطاير الصحف حتى يعلم أيقع كتابه بيمينه أم فى شماله أم وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين يدى جهنم حتى يجوز (وروى) ابن ثابت الخطيب أن أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فأين أبو بكر يارسول الله قال هيهات زفته الملائكة الى الجنان (وروى) الحافظ عبد الرحمن بن منده مرفوعا « ان الله تبارك وتعالى ينادى يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع ياعبادى أنا الله لا اله الا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين ، ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أحضروا حجتكم ويسروا جوابا فأنتم اليوم مسؤلون محاسبون ياملائكتى أقيموا عبادى صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم

مع هؤلاء نصيب فاذا وصلوا الى باب الجنة قرعوا بابها فيجىء رضوان فيقول من هذا فتقول الملائكة لرضوان افتح فيقول لهم فى أى وقت حوسبوا هؤلاء وخلصوا وبعض الناس قيام من التراب والى الآن مانشر الحق عز وجل ديوانا ولا نصب ميزانا فتقول الملائكة هؤلاء الصابرون ليس عليهم حساب افتح لهم يارضوان أبواب الجنان ليقعدوا فى قصورهم آمنين فعند ذلك يفتح لهم رضوان الجنة فيدخلون الى منازلهم فتتلقاهم الخدم بالفرح والسرور والتهليل والتكبير فيجلسون على شرف الجنة خمسمائة عام يتفرجون على حساب الخلق حتى يفرغوا من الحساب فطوبى للصابرين قالوا يارسول الله ما الذى يثقل الميزان قال الصبر فكل من كان صبره أكثر كان صراطه أعرض (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كل الناس يجدون صراطا أرق من الشعرة

للحساب» وروى ابن عطية أنه يؤتى بالرجل يوم القيامة وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات فيقول له رب العزة جل وعلا صليت يوم كذا وكذا ليقال فلان صلى أنا الله لا اله الا أنا لي الدين الخالص، صمت يوم كذا وكذا ليقال فلان صائم أنا الله لا اله الا أنا لي الدين الخالص تصدقت يوم كذا وكذا ليقال فلان تصدق أنا الله لا اله الا أنا لي الدين الخالص فلا يزال الحق جل وعلا يجيء بشيء بعد شيء حتى لا يبقى في صحيفته شيء من الحسنات فيقول له ملكاه ألغير الله كنت تعمل (قال الامام القرطبي) رحمه الله تعالى ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي فهو مرفوع وقد رفع معناه الدارقطني في سننه فروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يجاء يوم القيامة بصحف مختومة فتنصب بين يدي الرب جل وعلا فيقول الله عز وجل ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا إلا خيرا فيقول الله عز وجل وهو أعلم ان هذا كان لغيري ولا أقبل اليوم من العمل الا ما ابتغي به وجهي» وأخرجه مسلم أيضا وروى الترمذي مرفوعا في قول الله عز وجل: يوم ندعوا كل أناس بامامهم: قال «يدعى أحدكم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستون ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق الى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى يأتيهم ويقول لهم أبشروا لكل واحد منكم مثل هذا، قال وأما الكافر فيسود وجهه ويمد في جسمه ستون ذراعا على صورة آدم ويلبس تاجا من نار فيراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا فيأتيهم فيقولون اللهم أخزه فيقول أبعدكم الله إن لكل واحد منكم مثل هذا» (وروى) أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر بقبر فوكزه برجله وقال ياصاحب القبر قم باذن الله فقام رجل من القبر وقال يا روح الله ما الذي أردت بي فاني لقائم في الحساب منذ سبعين سنة حتى سمعت الصيحة أن أجب روح الله فقال عيسى ياهذا لقد كنت كثير الذنوب والخطايا فما كان عملك فقال يا روح الله كنت حطابا أحمل الحطب على رأسي وآكل حلالا وأتصدق فقال عيسى سبحان الله حطاب يحمل الحطب على رأسه ويأكل حلالا ويتصدق وهو قائم في الحساب منذ سبعين عاما ثم سأله عيسى عما قال له ربه في الحساب فقال يا روح الله كان من توبيخ ربي لي أن قال أتذكر يوما أكراك عبدي فلان لتحمل له حزمة حطب فأخذت منه عودا وتخللت به وألقيته في غير مكانه من الحزمة استهانة منك بي وأنت تعلم أني أنا الله المطلع على فعلك ونيتك انتهى.

﴿باب منه في قوله تعالى «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه»﴾

وانما خص العنق اشارة لملازمة طائر كل انسان له كلزوم القلادة للعنق. وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول كل آدمي في عنقه قلادة يكتب فيها نسخة أعماله فاذا مات طويت فاذا بعث نشرت وقيل له «اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا» وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول طائر كل انسان عمله «ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا» وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: يقرأ الانسان كتابه سواء كان قارئا أو أميا وكان العدوي رحمه الله يقول اذا وقف الناس على أعمالهم من الصحيفة التي يؤتون بها بعد البعث حوسبوا بها ثم تلا «فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا» فدل على أن المحاسبة تكون بعد إيتاء الكتاب لان الناس اذا بعثوا لا يكونون ذاكرين شيئا من أعمالهم قال تعالى «يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه» فاذا بعثوا من قبورهم الى الموقف وقاموا فيه ما شاء الله جاء وقت الحساب وتطاير الصحف بالأيمان والشمائل ووراء الظهور فأما الأشقياء فيعطون كتابهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم واليمين لأهل السعادة فقط وأنشدوا:

مثل وقوفك يوم العرض عريانا * مستوحشا قلق الأحشاء حيرانا

وأحد من السيف ما يجد الصراط على هذه الحالة الا الهالكون انما الناس يجدون الصراط على قدر أعمالهم منهم من يجده على عرض جزيرة ومنهم من يجده عرض ذراع ومنهم من يجده عرض أربع أصابع على مقدار صبرهم على الشدائد وصبرهم على الطاعات ومنهم من يجده أرق من الشعرة وأحد من السيف وذلك الذي لا صبر له ومن لا صبر له لا دين له (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الولد وعرجت الملائكة بروحه يقول الله عز وجل ياملائكتي كيف تركتم أمتي وقد أخذتم ولدها وثمرة فؤادها وهو أعلم بذلك فيقولون يا ربنا راضية ببلائك شاكرة لنعمائك فيقول الله سبحانه وتعالى ابنوا لها بيتا من ذهب تحت عرشي وسموه بيت الصبر وفي حديث آخر سموه بيت الحمد (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقد واحدا من الولد وصبر

واقرأ كتابك ياعبدى على مهل * فهل ترى فيه حرفا غير ما كانا
لماقرأت ولم تنكر قراءته * اقرار من عرف الاشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه ياملائكتى * وامضوا به اذ عصى للنار عطشانا
المشركون غدوا فى النار والتهبوا * والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فتأملوا ياإخوانى فى نفوسكم اذا تطايرت كتبكم عن أيمانكم وعن شمائلكم ونصبت موازين أعمالكم ونودى أحدكم باسمه على رءوس الخلائق وقيل أين فلان بن فلان يذهب للعرض على الديان هذا الرب عز وجل فى ذلك اليوم غضبان على كل من خالف أمره من أهل العصيان فاذا جاء أحدكم للعرض أخذته الملائكة بشدة وانتهار وقالوا له أنت الذى كنت تخالف أمر الجبار ويسدل على معصيتك الأستار فهنالك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتتغير الألوان وتطير القلوب من هيبة الله عز وجل ويصير الملك العظيم من الملائكة يرعد كالقصبة فى الريح مع أنه لاذنب عليه ولو أنه أراد أن يبلع السموات والأرض لفعل وتأمل نفسك ياأخى وأنت محجوب وأهل الموقف محدقون اليك بأبصارهم لاسيما من كان يعتقد فيك الصلاح فى دار الدنيا ينظرون الى مايقع لك حين تعد عليك سيئاتك حين تكون أنت القارىء لصحيفة أعمالك فانها تخبر الناس بجميع ماعملته وأخفيته عن الناس لاتغادر صغيرة ولا كبيرة كتمتها وأخفيتها وأسررتها الا وهى فيها تقرؤها بلسان كليل وقلب منكسر حتى تقول الملائكة لك أف لك من عبد أبكل هذه القبائح كنت تجاهر ربك فكم من بلية كنت نسيتها ذكرتك الصحيفة بها وكم من سيئة قد كنت اخفيتها أظهرتها وكشفتها وكم من عمل صالح عندك ظننت فيه الاخلاص والقبول فبينت الصحيفة أنه رياء ونفاق فأحبط فياطول حزن أحدنا وبكائه فى ذلك اليوم على مافرطنا فى جنب الله (قال) الامام الغزالى رحمه الله: ومن الناس من مات على المعاصى والشرور والأذى للناس من الجيران والمعارف فيخرج له كتاب اسود بخط أسود عكس كتاب أهل الخير والمعروف فان صحيفة أحدهم بيضاء مكتوبة بخط أبيض قال فيقرأ هذا العاصى كتابه فيجد فى ظاهره الحسنات وباطنه السيئات فيبدأ بقراءة الحسنات ويظن أنه سينجو فاذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه أن حسناته ردت عليه لعدم الاخلاص فيها فيسود وجهه ويعلوه الحزن والخوف والقنوط من الخير ثم يرجع فيقرأ حسناته المردودة ثانيا فلا يزداد الا هما وغما ولا يزداد وجهه الا سوادا وبعضهم يجد سيئاته فى آخر كتابه مضاعفة العذاب عليه وهم الذين كانوا على خير أول أعمارهم ثم غيروا وبدلوا وارتكبوا الفواحش واستهانوا بنظر الله اليهم وقيل لأحدهم يافلان تب الى الله فقال ادخل الجنة وأقفل بابها وراءك. ومثل هذا من أشقياء الله يسود وجهه وتزرق عيناه ويكسى سرابيل القطران (وروى) عن ابن عباس أنه قال ان الذى يعطى كتابه بشماله فى ذلك اليوم ييأس من حصول السعادة وأما الذى يعطى كتابه من وراء ظهره فانه تخلع كتفه اليسرى وتجعل يده خلفه قال مجاهد انه يحول وجهه موضع قفاه فيقرأ كتابه كذلك فوالله لقد خلقنا لأمر عظيم ومايعرف أحدنا بماذا يختم له، نسأل الله تعالى ببركة سيدنا محمد ﷺ أن يلطف بنا فى جميع ماقدر علينا وأن يميتنا على الاسلام آمين (وروى) مرفوعا فى قوله تعالى «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه» أنها نزلت فى حق أهل السنة وأهل البدعة فتبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقال الامام مالك أهل البدعة هم أهل الأهواء المخالفة لما عليه الأئمة انتهى فعليكم أيها الاخوان بملازمة السنة وجالسوا العلماء والصالحين ليعرفوكم ميزان أعمالكم وتطهروا من ذنوبكم بالتوبة قبل الموت وتوسلوا الى الله تعالى بأنبيائه وأصفيائه أن يبيض وجوهكم باتباع السنة فى الدنيا لتكون بيضاء فى الآخرة والحمد لله رب العالمين.

على فقده كتب الله له عزوجل فى ميزانه من الأجر كوزن جبل أحد ومن فقد اثنين وصبر على فقدهما أعطاه الله نورا يسعى بين يديه ينورله فى ظلمة الموقف ومن فقد ثلاثة من الأولاد وصبر على فقدهم غلقت عنه أبواب النار اذا عبر عليها ومن صبر على فقد احدى عينيه كان أول من ينظر الى وجه الحق تبارك وتعالى ويخلق الله الخلع على أهل العمى وتنصب راياتهم قبل أهل البلاء جميعهم ومن صبر على فقد عينيه جميعا بنى الله له بيوتا تحت العرش فيها من الملك مالا يصفه الواصفون ومن صبر على الغسل والوضوء احتراسا على الصلاة كتب الله له بكل شعرة على جسده حسنة ويخلق الله عز وجل من كل قطرة تقطر منه ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة وأجر تسبيحه له ومن صبر على أذى الناس كف الله عنه أذى جهنم ودخانها وان جهنم بابا اسمه باب التشفى لايدخله

﴿باب منه فى قوله تعالى « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه » الآية﴾

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الأحبار حدثنى بشىء من حديث الآخرة فقال نعم يا أمير المؤمنين اذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق الا وهو ينظر الى أعماله مسطورة فيه ثم يؤتى بالصحف التى فيها أعمال العباد فتنشر حول العرش فذلك قوله تعالى «ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها» قال كعب الأحبار ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه ويحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا (وكان) الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى اذا قرأ هذه الآية بكى وقال ياويلتنا ضجوا من الصغائر قبل الكبائر وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول الصغيرة هى التبسم والكبيرة هى الضحك انتهى. وفى الحديث الصحيح مرفوعا «اياكم ومحقرات الذنوب فانه متى يؤاخذ بها صاحبها تهلكه» وقال جماعة من العلماء ان الذنوب كلها كبائر اذا نظرنا الى عظمة من عصينا أمره وانما جاء فى الكتاب والسنة ذكر الصغائر بالنسبة الى قلوب العبيد من عظمتها تارة وتحقيرها أخرى وقالوا لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر الى عظمة من عصيت أمره سبحانه وتعالى. فاعلموا ذلك أيها الاخوان وأمسوا تائبين وأصبحوا تائبين والحمد لله رب العالمين

﴿باب بيان مايسئل عنه العبد يوم القيامة وكيفية السؤال﴾

قال الله عز وجل «ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا» وقال تعالى «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» (وروى) الترمذى مرفوعا «أول مايسئل عنه العبد يوم القيامة أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد» وفى رواية ان النعيم هو الاسودان التمر والماء (وروى) أبو نعيم مرفوعا «مامن عبد خطا خطوة الا يسئل عنها ماأراد بها» (وروى) مسلم مرفوعا «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن جسده فيم أبلاه وعن علمه فيم عمل به وعن ماله من أين اكتسبه» زاد فى رواية وفيم أنفقه (وروى) عن عمر رضى الله عنه مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اذا كان يوم القيامة يأتى الله تعالى بعبد من عبيده فيوقفه بين يديه ويسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله وعلمه (وروى) مسلم مرفوعا «يدنى الله تعالى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه أى ستره وكرمه وملاطفته فيقرره بذنوبه فيقول أتعرف ذنب كذا فى يوم كذا فيقول أعرف ويقول الله عز وجل أنا سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته وأما الكافر والمنافق فينادى عليهم على رءوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين» (وكان) على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول: اذا كان يوم القيامة يختلى الله عز وجل بعبده المؤمن فيوقفه على ذنوبه ذنبا ذنبا ثم يغفرله لا يطلع على ذلك ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ويستر عليه من ذنوبه مايكره أن يوقف عليه ثم يقول لسيئاته كونى حسنات ويقول على رضى الله عنه سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم ذلك بمعناه * وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول: يدنى الله تعالى العبد منه يوم القيامة ويضع عليه كنفه ويستره عن الخلائق كلها ويدفع اليه كتابه فى ذلك الستر يقول له يا ابن آدم اقرأ كتابك قال فيمر بالحسنة فيبيض بها وجهه ويمر بالسيئة فيسود بها وجهه فيقول الله عز وجل أنا أعرف بها منك قد غفرتها لك فلا يزال يسجد بين يدى الله تعالى اذا قلبت له حسنة أو غفرت له سيئة ولا يرى الخلائق منه الا ذلك السجود حتى ان الخلائق ينادى بعضهم بعضا طوبى لهذا العبد الذى لم يعص ربه قط ولا يدرون ماذا لقى فيما بينه وبين الله عز وجل حين أوقفه بين يديه انتهى ومثل هذا لا يقال من قبل الرأى فهو فى حكم المرفوع ان شاء الله تعالى (وروى) الحافظ أبو نعيم عن الامام عبد الرحمن الاوزاعى رحمه الله تعالى أنه كان يقول قد يغفر الله تعالى الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقف العبد عليها يوم القيامة وان تاب منها. وقال غيره انما ذلك فى ذنوب تاب منها قبل موته والله أعلم (وروى) مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مرفوعا أنه قال « ماستر الله على عبد ذنوبا

إلا كل من شقى غضبه ومن لم يشف غضبه وترك حقه لله سبحانه وتعالى يغلق الله عنه ذلك الباب اذا عبر على الصراط وينقل الله سبحانه وتعالى حسنات من آذاه الى كتابه وينقل ذنوبه الى كتاب من آذاه ونعم الحاكم. ومن صبر على فقد الأولاد الصغار وقال فى سبيل الله إنا لله وانا اليه راجعون لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم تصلى عليه الملائكة ويرضى عنه الجبار جل جلاله ويجعل الله ذلك الولد الصغير ذخرا له على الحوض يسقيه يوم القيامة يوم العطش الأكبر (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الناس يوم القيامة من القبور جياعا عطاشا فمن كان له صيام تطوع فى أيام الحر فى الدنيا يبعث الله تعالى له موائد الطعام وشرابا من الجنة ويأتى صومه فيزاحم له الناس على الحوض ويملأ ويسقيه ومن كان له ولد وقدمات وهو دون البلوغ فيزاحم ويسقيه

في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة ورواه غيره أيضا وفي صحيح مسلم مرفوعا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من ستر على مسلم عورته في الدنيا ستر الله عورته يوم القيامة * نسأل الله أن يلطف بنا ويلهمنا فعل الخيرات وترك المنكرات حتى نلقاه آمنين .

﴿ باب ما جاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان ﴾

وذلك لأنه كان يناجي ربه في الدنيا بحكم الايمان فأكرمه الله تعالى بمناجاته في الآخرة على الكشف والشهود فيا سرور أهل الخير بذلك ويا حزن أهل الشر حين يقع لهم التوبيخ والتقريع (وروى) البخاري والترمذي مرفوعا « مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر عن يمينه فلا يرى إلا ماقدم وينظر عن شماله فلا يرى إلا ماقدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة » وفي رواية « ولو بكلمة طيبة » * قال العلماء وقوله ﷺ ما منكم من أحد خطاب للمؤمنين فان الكافرين لا يكلمهم الله تعالى ولا ينظر إليهم كما وردت به السنة فهو مخصوص بالمؤمنين والله أعلم فتفكروا أيها الاخوان في عظيم جناياتكم إذا ذكرتم ذنوبكم شفاها جوابا لسؤال ربكم إذا قال لأحدكم يا عبدي أما استحيت مني حين بارزتني بالقبائح فليتك جعلتني كآحاد العباد الذين كنت تستحي منهم حال عصيانك ألم أكن رقيبا على عينيك حين تنظر بهما إلى مالا يحل لك ألم أكن رقيبا على أذنيك حين سمعت بهما مالا يحل لك ألم أكن رقيبا على لسانك حين تكلمت به مالا يحل لك ألم أكن رقيبا على فرجك حين زنيت به وهكذا في جميع جوارحك الظاهرة والباطنة لا بد من سؤال العبد إذا حصلت المناقشة فان اعترف ذاب لحم وجهه من الخجل والحياء من الله وان أنكر وشهدت عليه الجوارح بما فعلت اشتد عليه الحال أكثر وأكثر فنعوذ بالله من الفضيحة على رؤوس الاشهاد والعاقل من أكثر في هذه الدار من الاستغفار فانه يطفئ غضب الجبار بل لو استغفر العبد بقية عمره من ذنب واحد كان قليلا فكيف بمن لا يحصر ذنوبه ديوان مباشر فاعلموا ذلك أيها الاخوان وتداركوا أنفسكم بالاستغفار فقد قال الله تعالى « وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء في القصاص يوم القيامة لمن استطال في حقوق الناس وفي حبسه لهم حتى ينتصفوا منه ﴾

روى مسلم مرفوعا « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » وروى البخاري مرفوعا « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو مال فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذت من سيئات صاحبه فتحمل عليه » (وروى) مسلم مرفوعا « أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » (وروى) مرفوعا « من مات وعليه دينار أو درهم قضى من حسناته يوم القيامة ليس ثم دينار ولا درهم » (وروى) مرفوعا « يحشر الله العباد وأومأ بيده إلى الشام فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ومن قرب أنا الملك الديان فلا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى اللطمة ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عليه مظلمة حتى اللطمة فقالوا يا رسول الله انما نأتي لله حفاة عراة فقال بالحسنات والسيئات » وكان الربيع بن خثيم رضي الله عنه يقول ان أهل الدين يوم القيامة أشد تقاضيا له منكم في الدنيا يحبس أحدكم لهم حتى يأخذوا منه حقوقهم فيقول المديون يا رب ألست تراني عريانا حافيا فيقول تعالى خذوا من حسناته بقدر الذي لكم فان لم تكن له حسنات قال زيدوا عليه من سيئاتكم . وفي الحديث مرفوعا « صاحب الدين

ان صبر على فقده ولم يسخط على الله عز وجل ويحاربه فان أطفال المسلمين كلهم حول الحوض مع الجواري والغلمان وعليهم أقبية الديباج ومناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأقداح من ذهب وهم يسقون آباءهم وأمهاتهم إلا من حارب الله عز وجل في فقدهم لم يأذن الله لهم أن يسقوهم (وقد) ورد في الخبر الآخر أن أطفال المسلمين يجتمعون في مواقف القيامة فيقول الله تعالى للملائكة اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فتقول الخزنة مرحبا بذراري المسلمين ادخلوا الجنة لا حساب عليكم فيقولون أين آباؤنا وأمهاتنا فتقول لهم الخزنة ان آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم لأن عليهم ذنوبا ومطالبة وسيئات فهم يحاسبون ويطالبون بها فيقولون قد صبروا على فقدنا رجاء للثواب عند ذلك اليوم فما ترد عليهم الخزنة جوابا قال فيقفون على باب الجنة

مأسور يوم القيامة بالدين » وفي الحديث يقول الله عز وجل للملائكة خذوا من أعمال المديون الصالحة وأعطوا لكل انسان بقدر مظلمته فان كان المديون وليا لله عز وجل وفضل من حسناته مثقال حبة من خردل ضاعفها الحق تعالى له حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ﷺ « ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما » وان كان المديون عبدا شقيا قالت الملائكة يارب قد فنيت حسناته وبقي عليه مطالبون فيقول الله عز وجل للملائكة خذوا من أعمالهم فأضيفوها إلى سيئاته وصكوا له صكا إلى النار . وفي الحديث أيضا مرفوعا انه ليكون للوالدين على ولدهما دين فاذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول أنا ولدكما فيودان ويتمنيان لو كان أكثر من ذلك . وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : بلغنا أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول مالك وما بيني وبينك معرفة ولا معاملة فيقول انك كنت تراني على المنكر والخطايا فلا تنهاني (فان قال) أحد من ضعفاء العقول كيف توضع سيئات العبد على ظهر من لم يعملها وقد قال تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى (فالجواب) ان الله تعالى هو صاحب الأحكام الشرعية فله أن يضعها حيث شاء وقد قال الله تعالى في آية أخرى « وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم » فاياكم والاعتراض على شيء من أحكام ربكم التي حكم بها والحمد لله رب العالمين . وتقدم قول السيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أيها الناس حاسبوا أنفسكم على أعمالكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزن عليكم (قال) العلماء رضي الله عنهم : حساب العبد نفسه أن يتوب من كل معصية فعلها قبل موته ويرد جميع المظالم إلى أهلها ويستحل كل من وقع في عرضه حتى تطيب نفسه فاذا حاسب نفسه كذلك دخل الجنة بغير حساب ان شاء الله تعالى إذ الحساب لا يكون يوم القيامة الا على ما فرط العبد فيه بترك المحاسبة وكان الامام الغزالي رحمه الله يقول كم من متعلق بأخيه يوم القيامة يقول يارب قد ذكرني في غيبتي بما يسوءني وكم ممن يقول يارب قد جاورني فأساء جواري وآذاني بلسانه وآذى أولادي بشم رائحة طعامه ولم يطعمهم منه شيئا وكم ممن يتعلق بأخيه يقول قد عاملني فغشني وأخفيت عني عيب متاعك حين بعتني وكم ممن يتعاق بأخيه ويقول انك رأيتني في اليوم الفلاني محتاجا وأنت غني فلم تعطني حاجتي وكم ممن يتعلق بأخيه يقول يارب قد استحقرني ورأى نفسه خيرا مني وكم ممن يقول لأخيه قد رأيتني مظلوما وكنت قادرا على رفع الظلم عني فلم تفعل فلا يزال المظلومون يتعلقون بمن ظلمهم من اخوانهم والظالم بين أيديهم ذليل خاضع من هول ذلك اليوم مبهوت متحير من كثرة أرباب الحقوق عليه محبوس عن دخول الجنة حتى ينتصفوا كلهم منه وهناك ينادي المنادي « اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب » وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول العاقل من أكثر من الأعمال الصالحة في هذه الدار وأخلص فيها ليصل إلى الدار الآخرة ويعطيها لأصحاب الحقوق التي عليه حتى يرضوا وإلا فلا بد من طرح سيئات المظلومين على ظهر الظالم كما ثبت في الأحاديث وكان يقول ربما أكثر العبد من الأعمال الصالحة حتى صارت في عينه كالجبال وظن النجاة بها فنوقش فيها فطلعت كلها مخلوطة بالرياء فأحبطت فكان حكمه حكم من فتح مطلبا وأخذ منه جرابا يعتقده ذهبا ثم أتى به إلى داره ففتحه فاذا هو كله خنفس أو عذرة نسأل الله العافية * وذكر الامام القشيري رحمه الله في شرحه للاسم المقسط الجامع أنه لو كان على العبد دانق وله عمل سبعين نبيا ما دخل الجنة حتى يؤدي ذلك الدانق وذكر أنه يعطى لصاحب الدانق في دانقه يوم القيامة سبعمائة صلاة مقبولة فلا يرضيه ذلك (وكان) الامام الغزالي رحمه الله تعالى يقول لو تأمل العبد الصائم القائم في عبادته طول الليل والنهار ورآها بعين الانصاف دون عين الاغترار لوجد ثوابها كلها قد لا يرضى به واحد يوم القيامة في مرور غيبة على خاطره إذا حكمه الله تعالى فيه لا سيما الأعداء والحاسدون وكان رحمه الله يقول ربما أتى العبد الصائم القائم في عبادته طول الليل

والنهار

ويصيحون صيحة واحدة فيقول الله سبحانه وتعالى للملائكة وهو أعلم ما هذه الصيحة فيقولون يا ربنا هذه أطفال المسلمين قد قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا وأمهاتنا فيقول الله سبحانه وتعالى ليدخلن الجميع فتأخذ الأطفال بأيدي آبائهم وأمهاتهم فيدخلون الجنة فطوبى للصابرين ويا خيبة للجازعين القايلين الصبر على ما يفوتهم من الأجر وفقنا الله واياكم لما يرضيه وجنبنا واياكم التسخط مما يقضيه وجعلنا واياكم ممن يحبه ويواليه بفضله وامتنانه ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

﴿ الباب السابع في عقوبة مانع الزكاة ﴾

قال الله تعالى « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » وقال الله عز وجل « الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق

والنهار العالم العامل يوم القيامة فلا يجد في صحيفته حسنة واحدة فيقول يارب أين ثواب أعمالي فيقول له نقلت الى صحائف خصمائك كل يوم بيومه وربما يأتي العبد يوم القيامة فيعطى صحيفته فيجدها كلها سيئات فيقول يارب اني لا أعلم أني وقعت في هذه السيئات فيقال له هذه سيئات خصومك الذين وقعت في أعراضهم واحتقرتهم ورأيت نفسك أفضل منهم وظلمتهم في المعاملة والمبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملات * وكان الامام القشيري رحمه الله يقول بلغنا أن الملائكة تقول للبهائم والوحوش اذا حشروا ان الله تعالى لم يحشركم لثواب ولا لعقاب وانما حشركم لتشهدوا فضائح بني آدم التي كانوا يخفونها عن الناس انتهى نسأل الله تعالى أن يستر فضائحنا في ذلك اليوم آمين اللهم آمين (وكان) الامام أبو بكر بن العربي رحمه الله يقول تؤخذ المظالم من جميع الأعمال الا الصوم لقوله تعالى « الصوم لي وأنا أجزي به » لكن بشرط أن يكون غير معلوم لأحد من الخلق ولا مكتوبا في الصحف فان هذا هو الذي يستره الله عن العباد ويخبؤه للعبد حتى يكون عليه جنة من العذاب فاذا طرح المظلومون سيئاتهم على هذا الظالم الصائم الذي لم يعلم أحد بصيامه وجدوا الصوم جنة عليه ولا تضره تلك السيئات (قال الامام القرطبي) وهو تأويل حسن وجمع بين الآيات والاخبار والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب منه ﴾

قد ورد في الصحيح أن الله تعالى يصلح بين عباده في الآخرة ويرضى عنهم خصماءهم كما ورد أن الله تعالى يقول لمن شدد في استقضاء حقه ولم يبق للظالم حسنة ارفع بصرك وانظر فينظر فاذا قصر من ذهب وبساتين فيقول يارب لمن هذا فيقول الحق جل وعلا لمن أعطى ثمنه فيقول ومن يقدر على ذلك فيقول له الحق تعالى أنت قال بماذا فيقول بعفوك عن أخيك قال يارب فاني قد عفوت عنه فيقول خذ بيد أخيك وأدخله الجنة انتهى * قال العلماء ويجب حمل هذا على من لم يرد الله أن يعذبه وأراد أن يعفو عنه ويرضى عنه خصماءه جمعا بين الاحاديث والله أعلم .

﴿ باب بيان أول من يحاسب وبيان أول ما يحاسب العبد عليه من عمله وأول ما يقضى بين الناس وأول من يدعى للخصومة ﴾

روى ابن ماجه مرفوعا أول الأمم حشرا وحسابا أمتي فيقال أين الأمة الأمية ونبيها فنحن الآخرون الأولون وفي رواية لأبي داود الطيالسي فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضي غرا محجلين من آثار الوضوء فتقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء (وروى) الشيخان وغيرهما مرفوعا « أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء » وفي رواية أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء وروى البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال « أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمن للخصومة » يريد مبارزته لصاحبيه من كفار قريش قال أبو ذر وفيه نزلت هذه الآية « هذان خصمان اختصموا في ربهم » وفي الحديث مرفوعا يأتي كل قتيل قتل في سبيل الله حاملا رأسه تشخب أوداجه دما فيقول يارب سل هذا فيم قتلني فيقول الله تعالى له وهو أعلم فيم قتلته فيقول يارب قتلته لتكون العزة لك فيقول الله تعالى له صدقت ويجعل الله وجهه مثل نور الشمس وتشيعه الملائكة الى الجنان ثم يأتي من قتل على غير ذلك وهو حامل رأسه تشخب أوداجه دما فيقولون يارب سل هذا فيم قتلني فيقول الله له وهو أعلم فيم قتلته فيقول يارب قتلته لتكون العزة لي فيقول الله تعالى تعست ثم لا تبقى قتلة الا قتل بها ولا مظلمة ظلمها الا أخذ بها وكان في مشيئة الله عز وجل ان شاء عذبه وان شاء رحمه » وفي الحديث « أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فان قبلت منه نظر فيما بقي من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله » وروى أبو داود والترمذي مرفوعا: أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة يقول الله عز وجل للملائكة انظروا في صلاة عبدي أتمها

كريم » (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلم اذا ملك نصابا وهو عشرون مثقالا من الذهب لزمه ان يزكيه بنصف مثقال ومن ملك من الفضة مائتي درهم يلزمه زكاتها حيث تبقى سنة في يده فاذا دار عليها الحول وجبت عليه الزكاة فان لم يزكها صارت كلها مسامير من نار قال الله تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (وقال) رسول الله ﷺ من ملك نصابا ولم يزكه جاءه يوم القيامة في صفة ثعبان عيناه تتقدان نارا وأسنانه من حديد فيجري خلف مانع الزكاة فيقول له أعطني عينك البخيلة حتى أقطعها فيهرب مانع الزكاة فيقول له أين المهرب من الذنوب

أم نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فأتموا له فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذلك وكان بعض العارفين يقول اذا كملت الفرائض من النوافل كمل كل نوع من نوعه فيكمل الركن من الركن والسنة من السنة فتكمل قراءة الفاتحة في الفريضة بقراءة الفاتحة في النافلة والسورة بعد الفاتحة بالسورة بعد الفاتحة وقس على ذلك والله أعلم .

﴿ باب في شهادة أعضاء العبد عليه ﴾

قال الله تعالى « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » وقال تعالى « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » وقال تعالى « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء » الآية وفي الحديث مرفوعا « اذا ختم على الافواه يوم القيامة ظن الناس أن على أفواههم العذاب » (وروى) مسلم عن أنس رضي الله عنه قال « كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك فقال أتدرون مم أضحك فقلنا الله ورسوله أعلم فقال من مخاصمة العبد ربه فيقول يارب ألم تجرني من الظلم قال فيقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال للاركان انطقي فتنطق بأعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول يعني لأعضائه بعدا وسحقا لكن فعنكن كنت اجادل » انتهى . وهذا وان ورد في الكفار فيخاف أن يقع مثله للمسلم نسأل الله العافية * ومن هنا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدال في العلم شفقة على أمته أن يستصحبهم ذلك الجدال الى الموت فيستمر معهم الى يوم القيامة فسلموا أيها الاخوان وانقادوا لعلمائكم تفلحوا والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء في شهادة الارض والليالي والأيام بما عمل عليها وفيها وفي شهادة المال على صاحبه وقوله تعالى « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » ﴾

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها أتدرون أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا قال فهذه أخبارها » وروى الحافظ أبو نعيم مرفوعا « مامن يوم يأتي على ابن آدم الا ينادى فيه يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليه شهيد فاعمل خيرا أشهد لك به غدا فاني لو مضيت لن تراني أبدا ويقول الليل مثل ذلك » وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول من سجد في موضع عند حجر أو مدر شهد له يوم القيامة عند الله تعالى وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول في قوله تعالى « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » قال سائق يسوقها الى أمر الله وشاهد يشهد عليها بما عملت . وروى مسلم مرفوعا في حديث أبي سعيد الخدري أن من يأخذ المال بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويكون ماله شاهدا عليه يوم القيامة وفي رواية للامام مالك وغيره ان هذا المال خضر حلو ونعم هو لمن أعطى منه اليتيم والمسكين وابن السبيل وانه ليشهد يوم القيامة على من منع منه حقه * فاعلموا ذلك أيها الاخوان وراقبوا ربكم فانه تعالى هو الشاهد الأعظم ولو أنكم عقلتم لاستحييتم منه وتركتم كل قبيح ولم تحتاجوا الى شاهد يشهد عليكم غيره سبحانه وتعالى ولكنه سبحانه وتعالى يحب لعباده المعاذير ولذلك أرسل الرسل والملائكة اليكم من الحفظة على أعمالكم رحمة بكم واعتناء بشأنكم ليعرفكم ماأنعم به عليكم ثم يغفر لكم ان شاء الله تعالى ان متم على التوحيد والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء في سؤال الله عز وجل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي شهادة هذه الأمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأنهم بلغوا رسالات ربهم الى أممهم ﴾

قال الله تعالى « فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين » وقال تعالى « فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » وقال تعالى « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا

فيلحقه ويقطع يمينه بأسنانه ويلمها ثم تعود كما كانت ثم يقطع اليسرى وكلما قطع بأسنانه صاح صيحة من الوجع فيرتعد منه أهل الموقف ثم لايبرح يأكل يده ويقطعها وهي تعود حتى يقف بين يدي ربه مقطوع اليدين فيحاسبه حسابا شديدا ثم يأمر به الى النار فيقول من أنت فيقول أنا مالك الذي بخلت بزكاتي صرت عدوك اليوم فأنا أعذبك الى الأبد الى أن يعفو الله عنك ويسامحك الفقراء فيكبه على رأسه في النار (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده مامن أحد ملك غنما أو بقرا أو إبلا لم يزكها الا جاءت يوم القيامة أقوى ماكانت في دار الدنيا لها قرون من نار فتنطحه بقرونها وتدوسه بأظفارها حتى تشق بطنه وتقصف ظهره وهو يستغيث فلايغاث ثم تصير سباعا وذئابا تعاقبه في النار » (وقال) بعض السادة كنت في شبابي جاهلا

لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب قال بعض العلماء وإنما وقع ذلك من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لشدة الهول وعظم الخطب وصعوبة الأمر لذلك قالوا «لاعلم لنا إنك أنت علام الغيوب» فأخذت الهيبة بجميع قلوبهم فذهلوا عن الجواب فاذا حصل لهم الأمان على تلك الشدائد نبأهم الله تعالى وأحدث لهم ذكر ما كانوا نسوه فشهدوا بعد ذلك بما أجابتهم به أممهم (وروى) ابن ماجه مرفوعا يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل الواحد ويجيء النبي ومعه الرجلان ويجيء النبي ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيدعى قومه فيقال هل بلغكم فيقولون لا فيقال من يشهد لك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فتدعى أمة محمد ﷺ فيقال هل بلغ هذا فيقولون نعم فيقال وما علمكم بذلك فيقولون أخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بذلك أن الرسل بلغوا رسالات ربهم فصدقناهم فذلك قوله تعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اذا جمع الله عباده يوم القيامة كان أول من يدعى اسرافيل عليه السلام فيقول له ربه عز وجل مافعلت في عهدي فيقول يارب قد بلغت جبريل فيدعى جبريل فيقال له هل بلغك إسرافيل عهدي فيقول جبريل نعم يارب قد بلغني فيخلى عن إسرافيل ويقال لجبريل هل بلغت عهدي فيقول جبريل نعم يارب قد بلغت الرسل فتدعى الرسل فيقال لهم هل بلغكم جبريل عهدي فيقولون نعم فيخلى عن جبريل ثم يقال للرسل هل بلغتم عهدي فيقولون نعم قد بلغنا أممنا فتدعى الأمم فيقال لهم هل بلغكم الرسل عهدي فمنهم المصدق ومنهم المكذب فيقول الرسل عليهم الصلاة والسلام لنا عليهم شهداء يشهدون لنا أنا قد بلغنا مع شهادتك يارب فيقول وهو أعلم من يشهد لكم فيقولون أحمد صلى الله عليه وسلم وأمته فتدعى أمة أحمد فيقول لهم الرب جل وعلا تشهدون أن رسلي هؤلاء بلغوا عهدي إلى من أرسلوا اليه فيقولون نعم شهدنا أن قد بلغوا فتقول تلك الأمم كيف تشهدون علينا وأنتم لم تدركونا فيقولون يا ربنا إنك قد بعثت إلينا رسولا وأنزلت الينا عهدا وكتابا قص علينا أنهم قد بلغوا فشهدنا بما عهدت الينا فيقول الرب جل وعلا صدقوا فذلك قوله تعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» وكان بعض العلماء يقول بلغنا أن جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم تشهد يومئذ الا من كانت بينه وبين أخيه شحناء أوحبة من غل وذكر الإمام الغزالي رحمه الله تعالى أن هذه الأمور تكون بعد ما يحكم الله تعالى بين البهائم ويقتص للجماء من القرناء ويفصل بين الوحوش والطيور ثم يقال لهم كونوا ترابا فتسوى بهم الأرض فحينئذ «يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض» «ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا» ثم يخرج النداء من قبل الله تعالى أين اللوح المحفوظ فيؤتى به له هرج عظيم فيقول الله تعالى أين ماسطرت فيك من توراة وإنجيل وزبور وفرقان فيقول يارب نقله مني الروح الأمين فيؤتى بجبريل يرعد وتصطك ركبتاه فيقول الله تعالى له ياجبريل هذا اللوح يزعم أنك نقلت منه كلامي ووحيي أصدق ذلك فيقول نعم يارب قال فما فعلت فيه قال أنهيت التوراة لموسى وأنهيت الزبور إلى داود وأنهيت الإنجيل الى عيسى وأنهيت الفرقان الى محمد ﷺ وأنهيت الى كل رسول رسالته والى أهل الصحف صحائفهم واذا بالنداء يانوح فيؤتى به يرعد وتصطك ركبتاه وفرائصه فيقول يانوح يزعم جبريل أنك من المرسلين قال صدق يارب فيقول له مافعلت مع قومك قال «دعوتهم ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا» فاذا بالنداء ياقوم نوح فيؤتى بهم زمرة واحدة فيقال هذا أخوكم نوح يزعم أنه قد بلغكم الرسالة فيقولون يا ربنا كذب ما بلغنا من شيء وينكرون الرسالة فيقول الله تعالى يانوح ألك بينة فيقول نعم يارب بينتي عليهم محمد ﷺ وأمته فيقولون كيف ونحن أول الأمم وهم آخر الأمم فيؤتى بالنبي صلى الله عليه وسلم فيقول يامحمد هذا نوح يستشهدك أتشهد له بتبليغ الرسالة

أمنع الزكاة فكانت لي غنم ما كنت أخرج زكاتها فجاءلي ذات يوم فقير فشكالي من الحاجة والضرورة فأعطيته منها كبشا فنمت الليلة فرأيت في النام كأن الغنم جميعها قد أقبلت تهم علي وتنطحني وأنا أبكي ولا أقدر على الهرب ولا أجد مغيثا فجاء ذلك الكبش الذي تصدقت به على الفقير فبقي يردهم عني كلما جاء كبش منهم يريد أن ينطحني يقوم ذلك الكبش وينطحه ويرده عني فغلبوه لكثرتهم وهو بمفرده وكادوا أن يهلكوني فانتبهت وقد انقطع قلبي من الفزع فقلت والله لأجعلن أتباعك كثيرة فتصدقت بثلثي غنمي وتبت من منع الزكاة ولقد رأيت عجبا من الذي تصدقت به ومن عداوة الباقي معي (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب على باب الجنة أنت حرام على البخيل ومانع الزكاة والديوث قيل يارسول الله وما الديوث قال الذي يعلم القبيح على أهله ويسكت

فيقرأ صلى الله عليه وسلم «إنا أرسلنا نوحاً الى قومه أن أنذر قومك» الى آخر السورة فيقول الله عز وجل قد وجب عليكم الحق وحقت كلمة العذاب على الكافرين فيؤمر بهم زمرة واحدة الى النار ثم ينادى المنادى كل نبي وأمته كذلك ولا تزال تخرج أمة بعد أمة ومحمد ﷺ وأمته يشهدون لهم وعليهم وذكر الحديث الى أن قال ثم يخرج النداء من قبل سرادقات الجلال وامتازوا اليوم أيها المجرمون فيحصل للناس روع عظيم وتمتزج الملائكة بالجن والإنس أي تختلط ثم يخرج النداء ثانيا يا آدم ابعث بعث النار فيقول يارب كم فيقال له من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة فلا يزال يستخرج بعثا بعد بعث من الملحدين والفاسقين والغافلين حتى لا يبقى الا مقدار حفنتي الرب كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه نحن كحفنتي الرب سبحانه وتعالى على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى انتهى فنسأل الله تعالى من فضله أن يلطف بنا في ذلك اليوم انه لطيف خبير آمين .

﴿ باب ماجاء في الشهداء عند الحساب ﴾

قال علماؤنا رضي الله عنهم ان الله تعالى يحاسب النبيين والشهداء أخذا من قوله تعالى «وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون» وقال تعالى «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» ومعلوم أن شهيد كل أمة نبيها وقال بعضهم المراد بالشهيد كتبة الأعمال والله أعلم بالحال * قال العلماء واذا حضرت الأمم مع رسلها يقال لهم «ماذا أجبتم المرسلين» ويقال للرسل ماذا أجبتم فتقول الرسل «لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب» كما مر في الباب قبله ثم ينادى كل واحد على الانفراد فيحاسب كل واحد بحيث لا يعلم به الآخر في هذا الموقف بخلاف المواقف السابقة فإن أهل الموقف يعلمون بحسابه وفي هذا الموقف يشهد اللسان واليدان والرجلان وهو قوله تعالى «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون» وقال الإمام الغزالي رحمه الله وبلغنا أن من الناس من يوقف بين يدي الله عز وجل فيقول الله تعالى يا عبد السوء كنت مجرما عاصيا فيقول قد كذبوا علي يعني الملكان فتشهد جوارحه عليه بما فعل ثم يؤمر به الى النار * نسأل الله العافية بمنه وكرمه آمين .

﴿ باب ماجاء في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته ﴾

كان سعيد بن المسيب رضي الله عنه يقول ليس من يوم إلا تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أعمال أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم ولذلك يشهد عليهم كما قال تعالى «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» والله تعالى أعلم .

﴿ باب ماجاء في حوض النبي صلى الله عليه وسلم وبيان أول الناس ورودا عليه وبيان من يطرد عنه وبيان أن لكل نبي حوضا ﴾

قال الإمام القرطبي رحمه الله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضان وكلاهما يسمى كوثراً أي خيرا كثيرا زاد بعضهم فأما أحدهما فيكون اذا خرج الناس من قبورهم وأما الثاني فيكون بعد الصراط حين يشتد حر جهنم على الماشين على الصراط (وروى) البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينما أنا قائم على الحوض اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلموا فقلت الى أين قال الى النار فقلت ما شأنهم قال انهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ثم اذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلموا فقلت الى أين فقال الى النار والله فقلت ما شأنهم فقال انهم ارتدوا على أدبارهم فلا أرى يخلص منهم الا مثل همل النعم والهمل الطويل من الإبل والمعنى أن الناجي منهم قليل (وروى) ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الموقف بين يدي رب العالمين هل فيه ماء فقال أي والذي نفسي بيده ان فيه لماء وان أولياء الله

(وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أدى زكاة ماله تاما وافيا بطيب نفس سمي في سماء الدنيا كريما وفي الثانية جوادا وفي الثالثة مطيعا وفي الرابعة سخيا وفي الخامسة مقبولا وفي السادسة محفوظا وفي السابعة مغفورا له ذنوبه وعلى العرش حبيب الله فمن لم يؤد زكاة ماله يسمى في سماء الدنيا بخيلا وفي الثانية شحيحاً وفي الثالثة ممسكا وفي الرابعة مفتوناً وفي الخامسة عاصيا وفي السادسة ممنوعا منزوع البركة لا حظ له في مال ولا في بر وفي السابعة مطرودا وصلاته مردودة لا تقبل بل يضرب بها وجهه» (وروى) أن شابا حسن الوجه دخل على داود عليه السلام وهو عروس ليلة عرسه وملك الموت جالس عند سيدنا داود ليسلم عليه فقال أتعرف هذا يا داود فقال نعم انه شاب مؤمن يحبني وما يحب أن يدخل بيته الان جاء ينظرني ويسلم علي فقال ملك الموت يا داود قد بقي من عمره

عز وجل

عزوجل ليردون حياض الأنبياء ويبعث الله سبحانه سبعين ألف ملك بأيديهم عصى من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء (قال الامام القرطبي) وفى هذا الحديث والذى قبله أن الحوض قبل الصراط والميزان وكذلك حيضان الأنبياء كلهم خلاف ماقاله بعضهم انتهى وعلى ماقلناه عن بعضهم أن لنبينا ﷺ حوضين يصح حمل كلام من قال ان الحوض بعد الميزان والصراط أيضا فلا خلاف وكذلك القول فى حيضان الأنبياء منها ماهو قبل الصراط والميزان ومنها ماهو بعدهما وذهب بعض أهل الكشف إلى أن الحوض فى وسط الصراط هكذا كما على الهامش وهو حوض عظيم متسع جدا كما نبه على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقوم ان حوضى ما بين الكعبة وبيت المقدس وقال لقوم ما بين عدن إلى ايليا وقال لقوم من صنعاء إلى عدن وقال لقوم هو مسيرة شهر فكان خطابه صلى الله عليه وسلم لكل قوم بما يعرفون من المسافات فليس فى ذلك اختلاف فى المعنى * قال العلماء وربما خطر فى بال أحدهم أن ماء الحوض يكون على وجه الأرض بحسب مافهموه من ظاهر الأحاديث وهو وهم إنما هو أخدود فى بطن الأرض على عادة الأنهار فى الدنيا وقال بعضهم ان الحوض الأول يكون على الأرض التى بدلت والثانى يكون بعد الصراط انتهى ولعل ذلك بحسب ما كشف لكل واحد وان الحيضان ربما تعددت وتفرعت من الحوض الأعظم كما فى دار الدنيا فيكون فى كل قطر بعد عن الآخر حوض يشرب منه الناس كلما عطشوا ولم يصلوا إلى الحوض الأعظم من شدة الزحمة مثلا انتهى (قلت) ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف فالله أعلم بحقيقة الحال (روى) صاحب الغيلانيات عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضى أربعة أركان فأول ركن منها فى يد أبى بكر والركن الثانى فى يد عمر والركن الثالث فى يد عثمان والركن الرابع فى يد على فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه على الحديث (وروى) أبو داود الطيالسى عن زيد بن أرقم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما أنتم بجزء من مائة ألف وسبعين ألف جزء ممن يرد علىّ الحوض قال زيد بن أرقم وكانوا يومئذ ثمانمائة أو تسعمائة (وروى) ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول من يرد علىّ الحوض فقراء المهاجرين الدنس ثيابا الشعث رؤوسا الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد يعنى الأبواب وفى رواية أول من يرد على الحوض الذابلون الناحلون السائحون الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بالحزن (وروى) البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علىّ الحوض رهط من أصحابى فيجلون عن الحوض أى يطردون عنه فأقول يارب أصحابى فيقال انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أدبارهم * قال العلماء فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه مالا يرضاه الله تعالى ولم يأذن به فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين قالوا وأشدهم طردا من خالف أهل السنة والجماعة وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون (قال الامام القرطبى) رحمه الله تعالى وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور والظلم وطمس الحق ثم ان كان التبديل فى الأعمال فقد يقربون من الحوض ويغفر الله لهم وان كان فى أصل الدين فهم مطرودون إلى النار مخلدون فيها وأطال فى ذلك (وروى) الترمذى وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ان لكل نبى حوضا وانهم يتباهون أيهم أكثر واردا. وقال ابن الواسطى رحمه الله تعالى ان لكل نبى حوضا إلا صالحا فان حوضه ضرع ناقته والله تعالى أعلم * فنسأل الله تعالى من فضله أن يميتنا على الاسلام وأن يسقينا من حوض نبينا شربة لا نظمأ بعدها أبدا آمين والحمد لله رب العالمين.

ستة أيام فاغتم داود لذلك فبقى الشاب سبعة أشهر بعد ذلك اليوم ولم يمت فجاء ملك الموت إلى داود عليه السلام فقال لملك الموت أنت قلت انه مابقى من عمر ذلك الشاب إلا ستة أيام قال نعم ولكنه لما انقضت الستة أيام مددت يدى لأقبض روحه قال الله سبحانه وتعالى يا ملك الموت خل عبدى فلانا فانه خرج فوجد فقيرا مضطرا فأعطاه زكاته ففرح بها فدعا له بطول العمر وأن يجعل رفيق داود عليه السلام فى الجنة فرضيت عنه وإنى قد كتبت له تلك الستة أيام ستين سنة وزدتها عشرة سنين فلا تقبض روحه إلى انقضاء المدة وقد كتبته رفيق داود فى الجنة فسبحان الكريم الوهاب (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل من السماء كل يوم اثنتان وسبعون لعنة منها واحدة على اليهود وأخرى على النصارى وسبعون على مانع الزكاة وكل مال يؤدى زكاته فصاحبه حبيب الرحمن وإذا مات

﴿ أبواب الميزان ﴾ ﴿ باب ما جاء في الميزان وأنه حق ﴾

قال الله تعالى « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا » الآية وقال تعالى « فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية . وأما من خفت موازينه فأمه هاوية » ✽قال العلماء رضي الله عنهم وإنما توزن الأعمال إذا انقضى الحساب لأن الوزن للجزاء فلذلك كان بعد المحاسبة لأن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال تعالى « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا » ونحوها من الآيات كقوله تعالى « ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون » ففي هذه الآية اخبار بوزن الأعمال أي للكفار لأنهم هم الذين تخف موازينهم لتكذيبهم بالآيات في نحو قوله « فكنتم بها تكذبون » في سورة المؤمنون وفي قوله تعالى في الأعراف « بما كانوا بآياتنا يظلمون » وفي قوله تعالى « فأمه هاوية » ومثل هذا الوعيد لايكون اطلاقه الا على الكفار فاذا جمع بينه وبين قوله تعالى « وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » ثبت أن الكفار يسئلون عما خالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه قال تعالى « وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة » فتوعدهم على منعهم الزكاة وأخبر تعالى عن المجرمين أنه يقال لهم « ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين » الآية فبين تعالى بهذا أن المشركين مخاطبون بالايمان بالبعث واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأنهم مسئولون عن ذلك محاسبون عليه (وروى) البخاري أن رسول الله ﷺ قال: انه ليؤتى بالرجل السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة واقرأوا ان شئتم « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا » وفي الحديث أن الكافر نفسه يوزن✽وقال بعض العلماء ان معنى الحديث أنه لاثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لاحسنة له فهو من أهل النار وكان أبو سعيد رضي الله تعالى عنه يقول يؤتى بأعمال كالجبال فلا تزن شيئا (قال) الامام القرطبي رحمه الله وفي الحديث السابق في الرجل السمين دليل على تحريم كثرة الأكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ان أبغض الرجال إلى الله الحبر السمين انتهى أي لأن الحبر الذي هو العالم العظيم لو سلك طريق الورع والايثار ما وجد شيئا يسمن به بل كان جسمه كالسوط أو الشن البالي والله تعالى أعلم .

﴿ باب منه في بيان كيفية الميزان ووزنا لأعمال فيه ﴾

روى الترمذي وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لايارب فيقول بلى لك عندنا حسنة وانه لاظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله تعالى شيء أي مع اسمه عز وجل (وذكر) الامام القشيري رحمه الله تعالى في تفسيره أنه إذا خفت حسنات المؤمن يوم القيامة يخرج له رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالأنملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت فيقول أنا نبيك محمد هذه صلاتك التي كنت تصليها علي قد وفيتك اياها أحوج ماتكون اليها وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قضى لأخيه المؤمن حاجة كنت عند ميزانه فان رجح وإلا شفعت فيه . وكان الامام الغزالي رحمه الله تعالى يقول ان السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب كما ورد في الصحيح لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا وإنما هي براءة مكتوبة لا إله إلا الله محمد رسول الله هذه براءة فلان ابن فلان قد عز وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا فما مر علي مقام أسر عندي من ذلك

صاحبه ووقع في يد الورثة زكوه أو لم يزكوه لم تزل الملائكة يكتبون حسناته لصاحبه إلى يوم القيامة وكان ناجيا من عذاب القبر ومن عذاب النيران داخلا إلى الجنان وكل مال لاتؤدى زكاته فهو خبيث وصاحبه خبيث ولا يزال وزره يجري على صاحبه إلى يوم القيامة ولو وقع عند من يزكيه من بعده وما من عبد أدى زكاة ماله بطيب نفس إلا جاء عقد من نور في رقبته يشرق ذلك النور على المؤمنين يوم القيامة حتى يمشي في نوره على الصراط ويدخل به إلى الجنة وما من عبد منع زكاته إلا جاء ماله طوقا من نار في عنقه لو أن ذلك الطوق وضع في الدنيا لاحترقت الدنيا كلها وتقطعت جبالها ويبست بحارها نعوذ بالله من سخط الرحمن ونسأل الله القبول والغفران والنجاة من النار آمين

﴿ الباب الثامن في عقوبة قاتل النفس وقاتل الرحم ﴾

المقام (قال الامام القرطبي) وكذلك ورد أن الموازين تنصب يوم القيامة لأهل الصلاة ولأهل الصيام ولأهل الزكاة ولأهل الحج فتوزن أعمالهم ويوفون أجورهم بالموازين وأما أهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر والثواب بغير حساب زاد في رواية حتى ان أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسامهم قرضت بالمقاريض لما يرون من حسن ثواب الله عزوجل أخرجه أبو نعيم وكان الحسن بن علي رضى الله عنهما يقول قال لي جدى صلى الله عليه وسلم يا بني عليك بالقناعة تكن من أغنى الناس وأداء الفرائض تكن من أعبد الناس يا بني ان في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلايا فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فيصب عليهم الأجر صبا وقرأ صلى الله عليه وسلم إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. ذكره أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله. وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول إذا أراد الله وزن أعمال العباد قلبها أجساما فيزنها يوم القيامة. وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما توزن صحائف الأعمال التي هي أجسام فيرجح الله تعالى بها احدى كفتى الميزان انتهى وإنما أنكرت المعتزلة وزن الأعمال لكونها أعراضا والأعراض يستحيل وزنها عندهم إذ لا تقوم بأنفسها ولو تأملوا في الآيات والأخبار لجزموا بأن الميزان حق ووزن الأعمال حق فقد انعقد اجماع أهل السنة والجماعة على أن وزن الأعمال حق وأوجبوا الايمان بذلك وفي الحديث أن كفة الحسنات تكون من نور وكفة السيئات تكون من ظلام (وروى) الحكيم الترمذى في نوادر الأصول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش وكفة الحسنات عن يمين العرش وكفة السيئات عن يسار العرش فتكون الجنة مقابلة الحسنات والنار مقابلة السيئات. وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول توزن الحسنات والسيئات في ميزان له كفتان ولسان وكان أحمد بن حرب التابعي الجليل رضى الله عنه يقول تبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة وفرقة فقراء من الأعمال الصالحة وفرقة أغنياء ثم يصيرون مفلسين من جهة تبعات الخلائق وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لأن يلقى العبد ربه بسبعين ذنبا فيما بينه وبين الله عزوجل أهون عليه من أن يلقى الله تعالى بذنب واحد فيما بينه وبين الناس يعني التبعات (قال الامام القرطبي) وهو صحيح لأن الله غني كريم رءوف رحيم وابن آدم فقير مسكين يحتاج في ذلك إلى حسنة واحدة ترجح بها ميزانه وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة (وروى) الحكيم الترمذى في نوادر الأصول أن رسول الله ﷺ قال: ماشيء يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن. وتقدم في الكتاب حديث أن الصلاة على النبي ﷺ مما يثقل به الميزان (وحكى) أن بعضهم قال رأيت بعض أصحابي في المنام بعد موته فقلت له مافعل الله بك فقال وزنت حسناتي وسيئاتي فرجحت السيئات على الحسنات فجاءت صرة من السماء وسقطت في كفة الحسنات فرجحت فحلت الصرة فاذا فيها كف تراب كنت حثيته في قبر مسلم * وكان وهب بن منبه رضى الله عنه يقول: مدار وزن الأعمال التي ترجح بها الميزان ويسعد بها صاحبه على العمل الذي يختم للعبد به فاذا أراد الله تعالى بعبد خيرا ختم له بخير وإذا أراد به سوءا ختم له بسوء انتهى ويؤيد ذلك ماثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: وإنما الأعمال بالخواتيم * فنسأل الله تعالى من فضله أن يمن علينا وعلى جميع اخواننا بالموت على التوحيد والعمل الصالح آمين والحمد لله رب العالمين.

﴿ باب في ذكر أصحاب الأعراف ﴾

روى خيثمة بن سليمان في مسنده عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال نواة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال نواة دخل النار فقيل يارسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته قال أولئك

قال الله تعالى « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعظم الكبائر قتل النفس فمن قتل نفسه بسكين لم تزل الملائكة تطعنه بتلك السكين في أودية جهنم إلى أبد الأبد وهو خالد في النار وهو آيس من شفاعتي وان ألقى نفسه من مكان عال حتى يموت فلا تبرح الملائكة تلقيه من شاهق عال إلى واد في النار إلى أبد الأبد والقاتلون محبوسون في أبيار من نار وان علق نفسه بحبل فمات فلا يزال معلقا في جذوع من نار إلى أبد الأبد آيسا من رحمته عز وجل وان قتل نفسه بغير حق فذلك هو الضلال المبين لا تبرح الملائكة تذبحه بسكاكين من نار كلما ذبحوه يسيل من حلقه دم أسود من قطران ثم يعود كما كان ثم يذبح هكذا تكون عقوبته إلى أبد الأبد والقاتلون محبوسون

أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون . وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم يقرأ «فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون. ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون» ثم يقول ان الميزان تخف بمثقال حبة أو ترجح قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف. وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول ان الرجلين إذا كانا صديقين في الدنيا يمر أحدهما بصاحبه وهو يجر إلى النار فيقول له أخوه والله ما بقي لي إلا حسنة واحدة أنجو بها خذها أنت يا أخي لتنجو بها ويبقى هو وأخوه من أصحاب الأعراف قال فيأمر الله عز وجل بهما جميعا فيدخلان الجنة . وذكر الامام الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة أنه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد حسنة ترجح بها ميزانه فيقول الله تعالى له برحمة منه اذهب في الناس فالتمس أحدا يعطيك حسنة أدخلك بها الجنة قال فيصير يجوس خلال العالمين فما يجد أحدا يكلمه في ذلك الأمر إلا يقول له خفت أن تخف ميزاني فأنا أحوج منك اليها فييأس فيقول له رجل ما الذي تطلب فيقول حسنة واحدة فلقد مررت بقوم معهم من الحسنات آلاف فبخلوا علي فيقول الرجل اني قد لقيت الله تعالى وما في صحيفتي إلا حسنة واحدة وما أظنها تغني عني شيئا خذها هبة مني إليك فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله تعالى له ما بالك وهو أعلم فيحكي له ماجرى فينادي سبحانه وتعالى ذلك الرجل الذي وهبه الحسنة فيقول الله تعالى له كرمي أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنة (قال) الامام الغزالي رحمه الله تعالى وكذلك بلغنا أنه يؤتى برجل يوم القيامة قد تساوت حسناته وسيئاته فيقول الله تعالى له لست من أهل الجنة ولا من أهل النار فيأتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان مكتوب فيها أف فترجح بها ميزان سيئاته لأنها كلمة عقوق ترجح على جبال الدنيا فيؤمر به إلى النار فيقول يارب قد كنت أرجو عفوك عن مثل هذه الكلمة فيأمر الله به إلى الجنة ويقول له خذ بيد أبيك وانطلقا إلى الجنة . وكان حذيفة رضي الله عنه يقول صاحب الميزان الموكل بها يوم القيامة هو جبريل عليه السلام فمن رجح ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق كلها الا أن فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خفت نادى ألا ان فلانا شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا. وقال هناد بن السري رضي الله تعالى عنه وأهل الاعراف يسمون بمساكين أهل الجنة يوم القيامة (وكان) عبد الله بن الحرث يقول أصحاب الأعراف ينتهى بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة فيغتسلون منه اغتسالة فيبدو في نحورهم شامة ثم يعودون فيغتسلون فكلما اغتسلوا ازدادت بياضا فيقال لهم تمنوا فيتمنون ماشاء الله تعالى فيقال لهم لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا فيعرفون بمساكين أهل الجنة فاذا دخلوا الجنة وفي نحورهم تلك الشامة البيضاء عرفوا بها من بين الناس (قال الامام القرطبي) رحمه الله تعالى واختلف العلماء في تعيين أهل الأعراف على اثني عشر قولا * الأول أنهم من تساوت حسناتهم وسيئاتهم قاله ابن مسعود وكعب الأحبار وابن عباس * الثاني هم قوم صالحون فقهاء علماء قاله مجاهد * الثالث هم الشهداء ذكره المهدوي * الرابع هم فضلاء المؤمنين والشهداء فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالع أحوال الناس ذكره أبو نصر عبد الرحيم ابن عبد الكريم القشيري * الخامس المستشهدون في سبيل الله الذين خرجوا عصاة لوالديهم قاله شرحبيل ابن سعد ويدل له أنه صلى الله عليه وسلم قال يعادل عقوقهم استشهادهم رواه الطبراني * السادس هم العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه ذكره الثعلبي عن ابن عباس * السابع هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم ذكره الزهراوي واختاره النحاس * الثامن هم قوم أنبياء قاله الزجاج * التاسع هم قوم كانت لهم صغائر حكاه ابن عطية في تفسيره * العاشر هم أصحاب الذنوب من أهل القبلة ذكره ابن وهب عن

في أبيار من نار خالدين فيها إلى أبد الأبد نعوذ بالله من ذلك وكذلك المرأة إذا طرحت نفسها قال الله سبحانه وتعالى «وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت» (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأتي المطروح يوم القيامة وله صوت مثل صوت الرعد وهو يستغيث أنا المظلوم ثم يتعلق بأمه ويقول يا رب اسأل هذه لم قتلتني فيقول الله سبحانه وتعالى لأم المطروح لم قتلتيه أتظنين أني ما أرزقه فاني قد حرمت قتل النفس إلا بالحق يا ملائكتي سلموا هذه المرأة إلى مالك خازن النار يحبسها في جب الأحزان فتستلمها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فيضعون الطوق والسلسلة في عنقها ويسحبونها على وجهها إلى النار فيرميها مالك في جب الأحزان وهو جب عميق فيه نار تسمى نار الانيار إذا خمدت جهنم يفتح ذلك

ابن عباس قال وهم آخر الناس دخولا الجنة . وكان بعض الصحابة يقول أود أني كنت من أهل الأعراف أليس يدخلون الجنة * الحادي عشر أنهم أولاد الزنا روى ذلك عن ابن عباس * الثاني عشر أنهم الملائكة الموكلون بهذا السور يميزون المؤمنين من الكافرين قبل ادخالهم الجنة والنار انتهى وسئل ابن حميد عن قوله تعالى «وعلى الأعراف رجال» الآية ولا يقال للملائكة رجال فقال رحمه الله انهم ليسوا ذكورا وليسوا باناث فلا يبعد ايقاع لفظ الرجال عليهم كما وقع على الجن في قوله تعالى «وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن» والاعراف سور بين الجنة والنار والله تعالى أعلم * فنسأل الله تعالى من فضله أن يتفضل علينا وعلى جميع اخواننا برجحان ميزان حسناتنا ويلطف بنا في تلك الأهوال انه سميع مجيب آمين والحمد لله رب العالمين

﴿ باب اذا كان يوم القيامة تتبع كل أمة ما كانت تعبد فاذا بقي من هذه الأمة منافقوها امتحنوا بضرب الصراط ﴾

روى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يجمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول ألا ليتبع كل انسان ما كان يعبد فيتمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون وذكر الحديث بطوله وفي رواية لمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل اذا جمع الناس يوم القيامة من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ومن كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ومن كان يعبد المسيح شيطان المسيح وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوز ولا يتكلم يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجازى حتى ينجو وسيأتي الحديث (وقال الامام القرطبي) رحمه الله تعالى وقوله وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها الاشبه أن يكون المراد بالمنافقين هنا المرائين بأعمالهم بقرينة الرواية الأخرى وهي قوله فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن له بالسجود ولا يبقى الا من كان يسجد رياء واتقاء فيجعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه الحديث * نسأل الله السلامة من الزيغ عن الاسلام لنا ولجميع اخواننا والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب كيف الجواز على الصراط وصفته ومن يحبس عليه ويزل وفي شفقة النبي ﷺ على أمته وغير ذلك وفي ذكر القناطر قبله والسؤال عليها وبيان قوله تعالى «وان منكم الا واردها» ﴾

قال الامام الغزالي وغيره رحمهم الله لن يجوز أحد الصراط حتى يسئل في سبع قناطر فأما القنطرة الأولى فيسئل عن الإيمان بالله وهي شهادة أن لا إله إلا الله فان جاء بها مخلصا جاز والاخلاص قول وعمل ثم يسئل في القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل في القنطرة الثالثة عن صوم رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسئل عن الزكاة في القنطرة الرابعة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل في الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز ثم يسئل في القنطرة السادسة عن الغسل من الجنابة والوضوء فان جاء بهما تامين جاز ثم يسئل في القنطرة السابعة وهي أصعب القناطر عن ظلامات الناس وذكر الامام الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة أنه اذا لم يبق في الموقف الا المؤمنون والمسلمون والمحسنون والعارفون والصديقون والشهداء والصالحون والمرسلون ليس فيهم مرتاب ولا منافق ولا زنديق فيقول الله تعالى يا أهل الموقف

الجب فتتقد جهنم من حره فيه سباع وذئاب وحيات وعقارب تنهش المعذبين وزبانية بأيديهم حراب من نار تطعن القاتلين فتبقى في ذلك الجب خمسين ألف سنة تعذبها حتى يقضي الله فيها بما يشاء. نعوذ بالله من غضبه وعقابه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكبر الكبائر عند الله قتل النفس التي حرم الله قتلها بغير حق ولا يحل تعذيب النفس بغير حق وان العصفور اذا لعب به انسان حتى مات ولم يذبحه بغير حاجة يأتي يوم القيامة وله دوى مثل الرعد القاصف فيقول يارب اسأل هذا لم عذبني بغير حاجة ولم قتلني فيقول الله سبحانه وتعالى أنا آخذ حقك وعزتي وجلالي اذهب لايجاوزني ظلم ظالم لأعذبن كل من عذب روحا بغير حق والا فأنا الظالم اذا لم أستوف للمظلوم من الظالم ثم يقول الله سبحانه وتعالى أنا الملك الديان لأأظلم اليوم أحدا

من ربكم فيقولون الله فيقول أتعرفونه فيقولون نعم فيتجلى لهم ملك عن يسار العرش لو جعلت البحار السبعة فى نقرة ابهامه لماظهرت فيقول لهم بأمر الله أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك فيتجلى لهم ملك آخر عن يمين العرش لو جعلت البحار الأربعة عشر فى نقرة ابهامة لماظهرت فيقول لهم أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك فيتجلى لهم الرب سبحانه وتعالى فى الصورة التى كان يعرفونه فيها وهى صورة اعتقادهم فى الحق فى دار الدنيا يتصور لهم كما قاله بعض المحققين لا حقيقة الذات المقدس عن الجهات والاقطار فيسجدون له تعالى جميعهم فيقول تعالى أهلا بكم ثم ينطلق بهم سبحانه الى الجنة فيتبعونه فيمر بهم على الصراط أفواجا أفواجا المرسلون ثم النبيون ثم الصديقون ثم المحسنون ثم الشهداء ثم المؤمنون العارفون وتبقى المسلمون فمنهم المكبوب على وجهه ومنهم المحبوس فى الأعراف ومنهم قوم قصروا عن تمام الايمان فمنهم من يجوز على الصراط فى مقدار مائة عام ومنهم من يجوزه فى مقدار ألف عام ومع ذلك كله لم تحرق النار من رأى ربه عيانا الايضام فى رؤيته أى لا يشق فيها انتهى. فمثل نفسك يا أخى وأنت على الصراط وجهنم من تحتك سوداء مظلمة وشر رسعيرها يتطاير على المارين على الصراط أو على من يمشى تارة ويزحف أخرى والناس يتهافتون وتر تعد فرائصهم ويقعون أمثال الذر ولا تكاد ترى ماشيا ولا زاحفا الا قليلا نسأل الله تعالى اللطف بنا وبجميع اخواننا آمين. وفى حديث مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول الناس مرورا على الصراط من يمر كالبرق أى يمر ويرجع فى طرفة عين كما فى رواية ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم أشد الرجال أى جريهم تجرى بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا الحديث وفى رواية أخرى لمسلم فذكر الحديث الى أن قال ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فقيل يارسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك الحديث . وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول بلغنى أن الجسر أرق من الشعر وأحد من السيف وفيه كلاليب وخطاطيف وأنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر وكان سعيد بن أبى هلال رضى الله عنه يقول بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على المتقين مثل الوادى الواسع بحسب كثرة أعمالهم الصالحة وكذلك سرعة المرور على الصراط تكون بحسب قوة الهمة والنشاط للعبادة فاذا قال يارب لم جعلتنى بطيئا على الصراط فيقول له بحسب بطئك عن عبادتى فى أول وقتها. وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول تجوزون الصراط بعفو الله وتدخلون الجنة برحمة الله وتقتسمون المنازل بأعمالكم (وفى الحديث) الزالون على الصراط كثير وأكثر من يزل منه النساء ذكره أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله. وفى الحديث أيضا أن رسول الله ﷺ قال اذا صار الناس على طرف الصراط نادى ملك من تحت العرش يافطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل من عصاه منكم وكل ظالم فيالها من ساعة (وفى الحديث الصحيح) أنه يحبس على الصراط كل من تكلم فى عرض أخيه بما لا يعلم ويقال له أثبت هنا ماقلته فى حق أخيك فان لم يثبته تزل قدمه فى النار وفى الحديث أيضا اذا عسف الصراط بأمتى نادوا وامحمداه وامحمداه فأبادر من شدة اشفاقى عليهم وجبريل آخذ بحجزتى فأنادى رافعا صوتى رب أمتى أمتى لا أسألك اليوم نفسى ولا فاطمة ابنتى والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون رب سلم سلم انتهى. هذا وقد عظمت الاهوال واشتدت الاحوال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والاغلال وتناديهم الملائكة أما نهيتم عن كسب الاوزار أما خوفكم نبيكم من عذاب النار أما أنذركم كل الانذار أما جاءكم النبى المختار وذكره أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله تعالى. ففكر يا أخى فيما يحل بك من الفزع اذا رأيت الصراط ودقته وهو منصوب على جهنم وهى سوداء مظلمة وشررها يتطاير على العباد ولها زفير وشهيق وغيظ على كل

وعزتى وجلالى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم ولو لطمة بكف أو ضربة بكف أو يد على يد لأقتصن من القرناء للجماء ولأسألن العود لم خدش العود ولأسألن الحجر لم خدش الحجر ولا يدخل الجنة من عليه مظلمة حتى يؤديها من حسناته فان لم تكن له حسنات حمل من ذنوب المظلومين ومضى الى النار. (وقال) صلى الله عليه وسلم: أكبر الكبائر الشرك بالله وقتل النفس بغير حق فكما لا أشفع فى الشرك بالله عز وجل كذلك لا أشفع فى قاتل النفس وكما أن المشرك مخلد فى النار كذلك قاتل النفس مخلد فى النار وكما أن غضب الله سبحانه وتعالى على المشركين شديد كذلك غضبه على قاتل النفس شديد وكما يلعن الله سبحانه وتعالى المشرك يوم القيامة كذلك يلعن قاتل النفس واذا وقعت على القاتل لعنة الحق يقتل على طبقات جهنم حتى تنخسف به الى الدرك الاسفل من

من عصى الله عزوجل ولو مرة فى عمره ومات ولم يقبل الله له توبة . هذا وأوزارك على ظهرك قد أثقلتك وعجزت أن تمشى بها على الأرض فكيف تقدر أن تمشى بها على الصراط مع تزلزله وارتعاده بأهله حتى تكاد مفاصلهم تنحل من بعضها فمن له ركب يحمله هناك . وكيف بك يا أخى اذا وضعت احدى قدميك على الصراط فارتعد بك وأنت واقف على رجل واحدة لم تقدر أن تضع الأخرى من شدة دقته وانتفاضه بأهله والخلائق يتساقطون فى النار كالذر . ومنهم من يزل فتمسكه الخطاطيف وتأكل جوانبه النار فلا يزال كذلك مقدار سنين عديدة حتى تدركه الشفاعة ويتذكره رسول الله ﷺ . فالعاقل من أكثر من الصلاة والتسليم عليه فى دار الدنيا وجعل له وردا فى كل يوم وليلة من الصلاة على رسول الله ﷺ أقلها عشرة آلاف صلاة فى اليوم والليلة فامله صلى الله عليه وسلم يتذكره بعد مدة شهر مثلا فإن الذى هو ممسوك بالكلاليب والخطاطيف حكمه حكم المشكل فى دار الدنيا ومن يقدر يتحمل ألم الشكاة شهرا وهو معلق ووالله لو أن الشخص جعل على نفسه فى اليوم والليلة مائة ألف صلاة لتخفيف هول ذلك اليوم كان ذلك قليلا فى مقابلة سرعة شفاعته ﷺ فيمن أخذته كلاليب الصراط فالله يجعلنا وإخواننا ممن يكثر الصلاة عليه ﷺ إلى الممات آمين (وكان) أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله تعالى يقول فى مجالس وعظه : كيف بكم أيها الإخوان إذا أخذتكم خطاطيف الصراط وكلاليبه وجعلتكم معلقين منكسين الرءوس أرجلكم للصراط ووجوهكم للنار فياله من حال ما أشده ومن طريق ما أصعبه ومن منظر ما أفظعه وأهوله . فأكثروا من الاستغفار بقية أعماركم فلعل الله تعالى يقبل استغفاركم فيخفف عنكم تلك الشدائد والأهوال انتهى . وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول أصبحوا تائبين مستغفرين وأمسوا كذلك فقد بلغنا أن النار تقول للمؤمن على الصراط جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى انتهى ومعلوم أنه لا يكون له هذا المقام الا ان أطفأ غضب الجبار بكثرة الاستغفار فى دار الدنيا انتهى . ورأى الحسن البصرى رجلا يضحك بصوت جهورى فقال له يا أخى هل بلغك أنك تردالنار قال نعم قال فهل بلغك أنك تخرج منها قال لا قال له ففيم هذا الضحك فما رؤى بعد ذلك الرجل ضاحكا حتى مات والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء فى شعار المؤمنين على الصراط ومن لا يوقف على الصراط طرفة عين ﴾

روى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شعار المؤمنين على الصراط سلم سلم » وتقدم حديث مسلم وقوله فيه ونبيكم محمد ﷺ قائم على الصراط يقول سلم سلم . وروى الوائلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى هريرة رضى الله عنه « علم الناس سنتى وان كرهوا ذلك وان أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث فى دين الله حدثا برأيك » وهو حديث حسن كما رواه القرطبي رحمه الله تعالى (وروى) الحافظ أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قال « من أحسن الصدقة فى الدنيا جاز على الصراط » (وروى) الختلى رحمه الله تعالى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال لابنه يا بنى لا يكن بيتك الا المسجد فان المساجد بيوت المتقين سمعت رسول الله ﷺ يقول « من يكن المسجد بيته ضمن الله له الروح والرحمة والجواز على الصراط » انتهى . وذلك لأنه لا يجعل المسجد بيته إلا من ترك الدنيا وأقبل على الآخرة وعمل لها (وكان) الشيخ أبو جعفر رحمه الله تعالى يقول : رأيت فى المنام كأنى واقف على قناطر جهنم فنظرت الى هول عظيم فجعلت أفكر فى نفسى كيف العبور على هذه الأهوال فاذا قائل يقول من خلفى يا عبد الله ضع حملك واعبر فقلت له وما حملى فقال ضع الدنيا واعبر انتهى (قلت) ومما وقع لى أنى رأيت القيامة قامت والصراط قد نصب والناس يتساقطون منه كالذر فأردت الصعود عليه فلم أقدر وزلقت قدماى فقال لى ملك هناك أما تصعد فقلت له لا أقدر فقال لعل معك شيئا من الدنيا فقلت له ما معى

النار وكما أعد الله للمشركين عذابا عظيما أعد الله لقاتل النفس عذابا عظيما لأن الله عزوجل قال « ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » إلا من تاب فقد قال الله عزوجل « والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما - إلى قوله - إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما » فاذا تعمدت المرأة وأسقطت نفسها ثم اعترفت بذنبها وتضرعت الى الله عز وجل قبلها لقوله تعالى « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده » ودية الجنين ان كان مصورا ستمائة درهم للورثة أبيه وإخوته وتستوهب منهم ديته أو تعتق لله سبحانه

منهاشىء فقال لى افتح كفك الشمال ففتحته فأخرج لى مقدار السقاية من بين أصبعى الخنصر والبنصر وقال هذه الدنيا فاستيقظت من غير صعود على الصراط انتهى (ورأيت) مرة أخرى الصراط قد نصب والشيخ نور الدين الشونى رحمه الله تعالى شيخ مجلس الصلاة على رسول الله ﷺ فى الجامع الأزهر واقف مشمر على الصراط شاد وسطه وعليه مضربة من البعلبكى الأبيض وهو يأخذ بيد أصحابه المصلين على رسول الله ﷺ فلا يزال يأخذ واحدا بعد واحد يحاذيه حتى يجاوز به الصراط ثم يرجع فيأخذ آخر وهكذا حتى جاوز الصراط بأصحابه كلهم انتهى * فأكثروا أيها الإخوان من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فقد كان سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله عنه يحث أصحابه على ذلك ويقول بلغنى أنها تجيز صاحبها على الصراط بسرعة والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ثلاثة مواطن لا يخطئها النبى صلى الله عليه وسلم لعظم الأمر فيها وشدته ﴾

روى الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة قال أنا فاعل إن شاء الله تعالى قلت فأين أطلبك قال أول ما تطلبنى على الصراط قلت فاذا لم ألقك هناك قال فاطلبنى عند الميزان قلت فان لم ألقك قال فاطلبنى عند الحوض فانى لا أخطىء هذه الثلاثة مواطن انتهى وفى حديث عائشة رضى الله عنها أما ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان وعند تطاير الصحف وعند الصراط نسأل الله العافية بمنه وكرمه لنا ولجميع إخواننا المسلمين آمين والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء فى تلقى الملائكة الأنبياء عليهم السلام وأممهم بعد الصراط وهلاك أعدائهم ﴾

كان عبد الله بن سلام رضى الله عنه يقول : اذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبياً نبياً وأمة أمة حتى يكون آخرهم مركزاً محمد ﷺ وعليهم أجمعين وأمته ويضرب الجسر على جهنم وينادى مناد أين أحمد وأمته فيقوم نبى الله ﷺ وتتبعه أمته برها وفاجرها فاذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا يميناً وشمالا ويمضى النبى ﷺ والصالحون معه فتتلقاهم ملائكة ربنا فيدلونهم على طريق الجنة على يمينك على شمالك حتى ينتهى الى ربه فيوضع له كرسى عن يمين الرحمن ثم يتبعه عيسى عليه السلام على مثل سبيله ويتبعه برأمته وفاجرها حتى اذا كانوا على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا فى النار يميناً وشمالا فيمضى عيسى والصالحون معه فتتلقاهم ملائكة يدلونهم على طريق الجنة على يمينك على شمالك حتى ينتهى الى ربه فيوضع له كرسى من الجانب الآخر ثم يدعى نبى بعد نبى وأمة بعد أمة حتى يكون آخرهم نوح صلى الله عليه وسلم رحم الله نوحا انتهى فنسأل الله من فضله أن يميتنا على ملة سيدنا محمد ﷺ حتى يجاوزنا الصراط معه آمين .

﴿ باب ذكر الصراط الثانى وهو القنطرة التى بين الجنة والنار ﴾

اعلم رحمك الله أن فى الآخرة صراطين أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو يلتقطه عنق النار الذى يخرج منها فاذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذى ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله تعالى منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص بهم ولا يرجع الى النار أحد من هؤلاء إن شاء الله تعالى لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على ظهر جهنم الذى يسقط فيه من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه (وروى) البخارى أن رسول الله ﷺ قال « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى فى الجنة بمنزله كان فى دار الدنيا (قال) الإمام القرطبى رحمه الله تعالى ومعنى يخلص المؤمنون من النار انهم يخلصون من الصراط المضروب على النار فاذا أرادوا دخول الجنة تلقاهم رضوان

وتعالى رقبة مؤمنة «فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما » قال الله تعالى « أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » يعنى لو اشترك ألف نفس فى قتل واحد كان على كل واحد منهم القتل ويكون عليهم وزر من قتل الناس جميعاً . ومن أحسن الى نفس مضطرة بكسرة أو طعمة أو سقاها شربة ماء فى وقت عطش أو كربة فرجها على أخيه المسلم فكأنما أحيا الناس جميعاً وكأنما أحسن الى خلق الله سبحانه وتعالى (وقال) رسول الله ﷺ : « خيركم خيركم لنسائه وأولاده وما ملكت يمينه » (وقال) رسول الله ﷺ « المحسن الى نسائه وعياله وأولاده يعطى

وأصحابه وقالوا لهم « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » نسأل الله تعالى اللطف بنا وبجميع اخواننا فى ذلك اليوم آمين .

﴿ باب من يدخل النار من الموحدين يموت ويحترق ثم يخرج بالشفاعة ﴾

روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم الله حتى اذا كانوا فحما أذن لهم فى الشفاعة فجىء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فقيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء فينبتون نبات الحبة فى حميل السيل فقال رجل من القوم كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يرعى بالبادية (قال العلماء) رحمهم الله وهذه الموتة موتة حقيقية للعصاة من الموحدين حتى لا يحسوا بألم العذاب بعد الاحتراق اكراما لنبيهم ﷺ بخلاف الكفار فانهم لا يموتون فى النار ولا يحيون بل « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » نسأل الله العافية .

﴿ باب ترتيب الشفعاء وفيمن يشفع لهم قبل دخول النار من أجل أعمالهم الصالحة والشافع فى هؤلاء الصالحون وأهل المعروف ﴾

روى أن رسول الله ﷺ قال تصفد أهل النار فيقرنون فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان أما تذكر رجلا سقاك شربة ماء يوم كذا وكذا فيقول انك أنت هو فيقول نعم قال فيشفع فيه فيشفع ويقول الرجل منهم يا فلان لرجل من أهل الجنة أما تذكر رجلا وهب لك وضوء يوم كذا وكذا فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه انتهى وخرجه ابن ماجه فى سننه بمعناه (وروى) ابن ماجه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » (وكان) عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : يشفع نبيكم محمد ﷺ رابع أربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم فى جهنم فيقال لهم « ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ـ الى قوله ـ فما تنفعهم شفاعة الشافعين » قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فهؤلاء هم الذين يبقون فى جهنم (وروى) الترمذى أن رسول الله ﷺ قال « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم قالوا يا رسول الله سواك قال سواى » وفى رواية البيهقى يدخل بشفاعة رجل من أمتى الجنة مثل أحد الحيين ربيعة ومضر قال رجل يا رسول الله ما ربيعة من مضر قال انما أقول ما أقول (وروى) الترمذى أن رسول الله ﷺ قال « إن من أمتى من يشفع للقوم ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخل الجنة » (وفى) رواية للبزار أن رسول الله ﷺ قال « ان الرجل ليشفع للرجلين وللثلاثة » وذكر القاضى عياض عن كعب رضى الله عنه أنه قال لكل رجل من الصحابة رضى الله عنهم شفاعة (وروى) عن عبد الرحمن بن زيد بن جابر أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون من أمتى رجل يقال له صلة بن أشيم يدخل بشفاعته كذا وكذا انتهى (قلت) ولعل صلة هذا هو أحد الأربعة الذين كان الخليفة عينهم للقضاء وقيل له ان فاتك هؤلاء الأربعة فما بقى أحد يصلح للقضاء وكان من أكابر صالحى العلماء وهم أبو حنيفة وسفيان وصلة بن أبى أشيم وشريك فلما بلغ ذلك الامام أبا حنيفة رضى الله عنه قال أنا أخمن لكم تخمينا أما أنا فأحبس ولا أبالى وأما سفيان فيهرب وأما شريك فيقع وأما صلة فيتحامق ويتخاص وكان من تحامقه رضى الله عنه أنه لما دخل على الخليفة لم يسلم عليه وقال له ايش طبخت اليوم وكم لك من حمار فقال له الخليفة أخرجوه هذا لا يصلح للقضاء انتهى والله أعلم . فنسأل الله من فضله واحسانه أن يلهم أحدا من الشافعين فى ذلك اليوم أن يشفع فينا انه غفور رحيم .

درجة المجاهد فى سبيل الله » (وقال) رسول الله ﷺ « أفضل الصدقة بعد الزكاة درهم تنفقه على نفسك تصونها عن مسئلة الخلق ودرهم تنفقه على ولدك وما ملكت يمينك تصونهم عن الحاجة الى الناس يكتب الله لك أجره مضاعفا سبعين ضعفا » (وقال) صلى الله عليه وسلم « من أمسى تعبا من طلب الحلال ليصون نفسه عن مسئلة الناس أمسى مغفورا له » (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحاطت يده على شىء فليحسن اليه فقال رجل يا رسول الله اننى ليس لى زوجة ولا ولد ولا عائلة سوى دجاجة فقال صلى الله عليه وسلم لو أنت قصرت فى علفها يوما واحدا لم يكتبك الله من المحسنين » (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالاطف

﴿ باب فى الشافعين وذكر الجهنميين ﴾

روى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام رب منعته الطعام والشراب بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن يارب أسهرته ليلا فشفعني فيه فيشفعان » (وروى) ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال « ان المؤمنين الذين لم يدخلوا النار يشفعون فى اخوانهم الذين دخلوا النار فيقولون ربنا اخواننا كانوا معنا فى دار الدنيا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا منهم من أخذته النار الى ساقه ومنهم من أخذته الى ركبتيه فيقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا باخراجه فيقول لهم ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا وفى رواية مثقال حبة من خردل فأخرجوه الحديث فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من نار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر على باب الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل وفى رواية فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم تعرفهم أهل الجنة ويقولون هؤلاء الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول لهم ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندى أفضل من هذا فيقولون ربنا وأى شىء أفضل من هذا فيقول رضائى فلا أسخط عليكم بعده أبدا (وفى الحديث) أن الله تعالى قال « وعزتى وجلالى لأخرجن يعنى من النار من قال لا اله الا الله مرة فى عمره ومات على ذلك (وروى) الترمذى وصححه غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى » زاد فى رواية لأبى داود الطيالسى فمن لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة (وفى رواية) انما تكون شفاعتى للمذنبين الخاطئين الملوثين وفى رواية نعم أنا لشرار من أمتى قالوا فكيف أنت لخيارهم يارسول الله فقال خيارهم يدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتى انتهى فنسأل الله تعالى من فضله أن يميتنا على التوحيد بمنه وكرمه آمين .

﴿ باب يعرف المشفوع فيهم بأثر السجود وبياض الوجوه ﴾

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ وفيه بعد قوله ومنهم المجازى يعنى بعمله حتى ينجو حتى اذا فرغ الله تعالى من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا فمن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول لا اله الا الله فيعرفونهم فى النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم الا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة فى حميل السيل الحديث (وفى رواية) أن رسول الله ﷺ قال « ان قوما يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارة وجوههم حتى يدخلوا الجنة » وفى هذا الحديث دليل على أن أهل الكبائر من الموحدين لا يسود لهم وجه ولا تزرق لهم عين ولا يغلون بخلاف الكفار ويؤيده حديث الحكيم الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « انما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتى ثم ماتوا عليها فهم فى الباب الأول من جهنم لا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بالأغلال ولا يقرنون بالشياطين ولا يضربون بالمقامع ولا يطرحون فى الأدراك منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها يوما ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج وأطولهم مكثا فيها من يمكث مثل الدنيا

والرفق بنسائكم لا تظلموهن ولا تضيقوا عليهن فان الله عز وجل يغضب للمرأة اذا ظلمت كما يغضب لليتيم . وقال صلى الله عليه وسلم « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى ما أكرم النساء الا كريم ولا أهانهن الا لئيم » (وقال) رسول الله ﷺ « أول ما يحاسب الرجل على صلاته ثم بعد ذلك على نسائه وما ملكت يمينه ان أحسن عشرتهن أحسن الله اليه وأول ما تحاسب المرأة على صلاتها ثم عن حق زوجها وجيرانها » (وجاء) رجل فقال يارسول الله انى سىء الخلق أوذى زوجتى وأهل بيتى بلسانى فقال صلى الله عليه وسلم المؤذى لأهل بيته لا يقبل الله عز وجل عذره ولا حسنة من حسناته ولو صام الدهر وأعتق الرقاب وكان أول من يدخل

منذ خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة الحديث (وذكر) الامام الغزالي رحمه الله تعالى في كتابه كشف علوم الآخرة أنه يؤتى بأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ شيوخا وعجائز وكهولا ونساء وشبابا فاذا نظر اليهم مالك خازن النار وقال من أنتم معاشر الأشقياء فاني أرى أيديكم لم تغل ولم توضع عليكم الأغلال والسلاسل ولم تسود وجوهكم وما ورد على أحسن منكم فيقولون يا مالك نحن أشقياء أمة محمد ﷺ دعنا نبكي على ذنوبنا فيقول لهم ابكوا فلن ينفعكم البكاء فكم من شيخ وضع يده على لحيته ويقول واشيبتاه واطول حسرتاه واطول مقاماه واضعف قوتاه وكم من كهل ينادي وامصيبتاه واطول مقاماه وكم من شاب ينادي وا أسفاه واشباباه على تغير حسناه وكم من امرأة قد قبضت على ناصيتها وشعرها وهي تنادي واسوأتاه واهتك ستراه فيبكون ألف عام فاذا النداء من قبل الله تعالى يا مالك أدخلهم النار الباب الأول منها فاذا همت النار أن تأخذهم يقولون بأجمعهم لا إله إلا الله فتفر النار عنهم خمسمائة عام ثم يأخذون في البكاء فتشتد أصواتهم وإذا النداء من قبل الله تعالى يا نار خذيهم يا مالك أدخلهم الباب الأول من النار فعند ذلك يسمع لها صلصلة كالرعد القاصف فاذا همت النار أن تحرق القلوب زجرها مالك وجعل يقول لا تحرقي قلبا فيه القرآن وكان وعاء للايمان فاذا الزبانية قد جاءوا بالحميم ليصبوه في بطونهم فيزجرهم مالك فيقول لا تدخلوا الحميم بطونا أخمصها رمضان ولا تحرق النار جباها سجدت لله تبارك وتعالى فيعودون فيها حمما كالغاسق الحلولك أي الأسود والايمان يتلألأ في قلوبهم فنسأل الله تعالى من فضله أن لا يسلبنا التوحيد والايمان انه كريم منان آمين .

﴿ باب ما يرجى من رحمة الله تعالى وعفوه يوم القيامة ﴾

كان الحسن البصري رضى الله عنه يقول : يقول الله عز وجل لعباده المخلصين جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم (وفي الحديث) ينادي منادٍ من تحت العرش يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها فيما بينكم وادخلوا الجنة برحمتي ويروى أن ابن عباس رضى الله عنهما قرأ قوله تعالى « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » فقال له اعرابي والله ما كان الله لينقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فقيه . وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار . وروى مسلم أيضا أن رسول الله ﷺ قال ان الله تعالى « خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة واحدة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة (وكان) عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول لا تزال رحمة الله تعالى بالناس يوم القيامة حتى ان ابليس لعنه الله ليهتز صدره ويترجى أن تناله رحمة الله وفي رواية حتى ان ابليس ليتطاول اليها رجاء أن ينال منها شيئا (وروى) البخاري والترمذي وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها » (وروى) مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « قدم على رسول الله ﷺ سبي فاذا امرأة من السبي تأخذ صبيا فتلصقه ببطنها وترضعه فقال لنا رسول الله ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله يا رسول الله وهي تقدر أن لا تطرحه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أرحم بعباده من هذه بولدها » ورواه البخاري أيضا (وروى) عن أبي امامة رضى الله عنه أنه قال دخلت على جار لي مريض فرأيته يجود بنفسه وعنده عم له وهو يقول له يا عدو الله ألم آمرك بكذا ألم أنهك عن كذا فقال الشاب يا عم لو رفعني الله تعالى لوالدتي ما كانت صانعة بي هل تدخلني الجنة أو النار فقال تدخلك الجنة فقال الشاب والله ان الله تعالى أرحم بي من والدتي ثم قبض . قال عمه فدخلت معه القبر

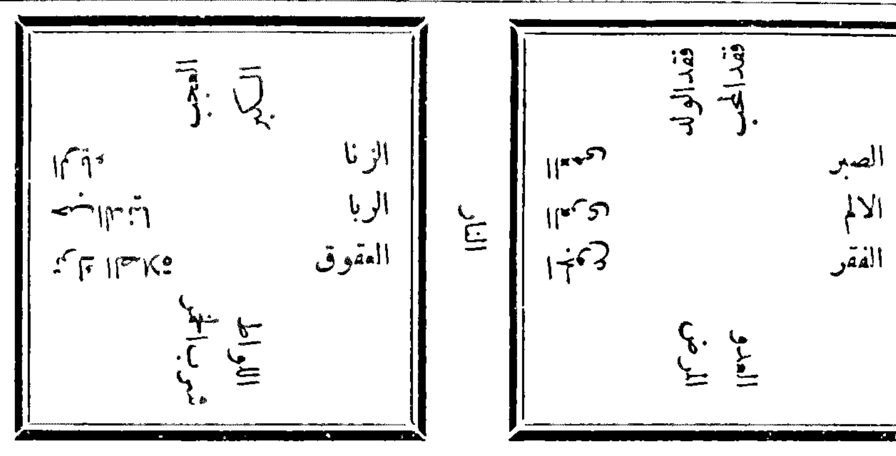
النار وكذلك المرأة إذا آذت زوجها لا تقبل صلاتها ولا حسنة من حسناتها حتى ترضيه وتعاشره بالمعروف فان الله سبحانه وتعالى يسألكم عن بعضكم بعضا يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يجب على الرجل أن يأمر أهل بيته بالصلاة ويضربهن على تركها » (وقال) صلى الله عليه وسلم « اتقوا الله في النساء فانهن أسرى في أيديكم أخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فأوسعوا عليهن الكسوة والنفقة يوسع الله عليكم في الأرزاق ويفسح لكم في الأعمار كما تكونون يكون الله لكم » (روى) أن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام شكا إلى الله خالق سارة فأوحى الله اليه انى خلقتها من ضلع أعوج فان جميع النساء

فوجدته قد اتسع مد البصر وامتلأ القبر نورا انتهى (وروى) الترمذى وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما فى النار فأمر الله تعالى باخراجهما وقال لهما لأى شىء اشتد صياحكما فقالا فعلنا ذلك لترحمنا يارب فقال ان رحمتى لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما فى النار حيث كنتما فينطلقان فيلقى أحدهما نفسه فيجدها بردا وسلاما ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه فيقول الله تعالى له لم تلق نفسك كما فعل صاحبك فيقول يارب انى ظننت بك أن لا تردنى اليها بعد إذ أخرجتنى منها فيقول الله تبارك وتعالى لك رجاؤك فيدخلان الجنة برحمة الله عزوجل (وفى الحديث) يقول الله عزوجل أخرجوا من النار من ذكرنى يوما أو خافنى فى مقام وروى عن مسلم بن يسار رضى الله عنه أنه قال يأمر الله تعالى بعبد إلى النار لم يعمل حسنة وله سيئات كثيرة فاذا أخذته الزبانية يصير يلتفت إلى ورائه فيقول الله عزوجل قفوا به فيوقف فيقول الله تعالى له مالك تلتفت فيقول والله يا رب ما كان هذا ظنى فيك فيقول الله تعالى له صدقت فيؤمر به إلى الجنة (وفى رواية) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إذا فرغ الله تعالى من حساب الخلائق يوم القيامة يبقى رجلان فيؤمر بهما إلى النار فيلتفت أحدهما فيقول له الرب جل وعلا مالك تلتفت فيقول يارب كنت أرجو أن تدخلنى الجنة فيؤمر به إلى الجنة قال عبادة رضى الله عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر هذا الحديث يرى السرور فى وجهه انتهى (وفى الحديث) أن الله تعالى يقول للمؤمنين يوم القيامة هل أحببتم لقائى فيقولون نعم فيقول وما حملكم على ذلك فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم رحمتى ورضائى (وروى) الحافظ أبو نعيم أن رجلا فى الأمم الماضية كان يشدد على نفسه فى العبادة ويبالغ فى الاجتهاد فيها ويقنط الناس من رحمة الله تعالى عز وجل فمات فقال يارب مالى عندك فقال النار قال يارب فأين عبادتى واجتهادى فقال له الرب جل وعلا انك كنت تقنط الناس من رحمتى فى الدنيا وأنا أقنطك اليوم من رحمتى انتهى وكان الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : الفقيه هو من لم يؤيس الناس من رحمة الله تعالى ولم يرخص لهم فى معصية الله . والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ﴾

روى الشيخان وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » (وفى رواية للترمذى) أن رسول الله ﷺ قال لما خلق الله الجنة أرسل جبريل إلى الجنة فقال انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها وقال فجاء جبريل عليه السلام ونظر اليها وإلى ما أعد الله تعالى لأهلها فيها قال فرجع اليه وقال فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فأمر بها فحفت بالمكاره وقال ارجع إليها فانظر ما أعددت لأهلها فيها قال فرجع اليها فاذا هى قد حفت بالمكاره فرجع إليه تعالى وقال فوعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد ثم قال له اذهب إلى النار فانظر اليها وإلى ما أعددت لأهلها فاذا هى يركب بعضها بعضا فرجع اليه فقال وعزتك لقد خفت أن لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع اليها فرجع اليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها انتهى ＊ قال العلماء والمكاره كل ما يشق على النفس فعله ويصعب عليها عمله كالطهارة فى شدة البرد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على ما يقاسيه من أهل المنكر والصبر على المصائب وجميع المكروهات وأما الشهوات فهو كل ما يوافق هوى النفس ويلائمها وتدعو اليه ويوافقها كترك الطهارة عند النوم فى البرد وترك قيام الليل وترك التورع فى المأكل والمنطق ونحو ذلك . وأصل الحفاف هو الدائر بالشىء المحيط به الذى لا يتوصل اليه إلا بعد أن يتخطى وقد مثل النبى ﷺ المكاره والشهوات المحيطة بالجنة والنار بما هذه صورته .

خلقن من ضلع آدم عليه الصلاة والسلام الأقصر اليسار وان الضلع الأعوج ان قومته كسرته فاصبر عليها وتحملها على ما فيها إلا ان ترى نقصا فى دينها. ومما جاء فى حق المرأة على زوجها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزم الرجل تعليمه لأهله وما ملكت يمينه الوضوء ونيته والتيمم والغسل من الحيض والغسل من الجنابة والغسل من النفاس وحكم الاستحاضة وفرائض الوضوء والصلاة وسننها واعتقاد أهل السنة وترك الغيبة والنميمة وتوقى النجاسة والصمت عما لا يعنى وملازمة الذكر والآداب واجتناب الاثم والسوء فان قصر علمه عن تعليمهن سأل وأخبرهن وإلا تركهن يسألن عن ذلك باذنه ولا يحل للرجل أن يمنع أهل



قلت أجمع القوم على أنه لا بد لمن يريد ترك الشهوات وارتكاب الشدائد من السلوك على يد شيخ صادق يلطف كثافته ويرق حجابه حتى يشهد الجنة والنار كأنهما رأي عين وإلا فصاحب الحجاب لا يقدر على ترك الشهوات ولا ارتكاب المكروهات والله تعالى أعلم .

﴿ باب احتجاج الجنة والنار وصفة أهلهما ﴾

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجت النار والجنة فقالت النار يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله عز وجل للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء وقال للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما على ملؤها. قال العلماء والمراد بالضعفاء هو كل من تبرأ من حول نفسه وقوتها في كل يوم عشرين مرة أو خمسين مرة كما جاء في رواية . وأما المساكين فالمراد بهم المتواضعون وهم المشار إليهم في قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم احيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين » (وروى) مسلم عن عياض بن حماد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبة أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم عفيف متعفف ذو عيال (وفي الحديث) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتو جواظ جعظري مستكبر » وفي رواية « كل زنيم مستكبر » والزنيم هو الشخص المعروف بالشر وقيل هو اللئيم وأما الزنيم المذكور في القرآن العظيم فهو رجل معين كان له زنمة كزنمة التيس والعتل هو الجافي الشديد الخصومة والجواظ هو الجموع المنوع وقيل هو الأكول الشروب الظلوم وقيل الجواظ هو الكثير اللحم المختال وقيل الجافي الغليظ القلب والفظ الغليظ الذي لا ينقاد لخير وكذلك الجعظري وقيل هو الذي لا يحصل له صداع في رأسه وفي الحديث « أنتم شهداء الله تعالى في الأرض فمن أثنيتم عليه شرا اوجبت له النار » وفي الحديث أيضا وأهل النار كل بخيل كذاب وفي الحديث أيضا أهل النار كل فحاش خائن وفي رواية أهل النار كل شنظير أي سيء الخلق وفي رواية أهل النار كل ضعيف العقل خداع لا يعبأ بأمر دينه (وكان) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول من علامات أهل الجنة كثرة محبة الناس لهم حتى كأنه اذا مرت عليه جنازة يرسل شخصا ينظر من يصلي عليها هل هم كثير أو قليل فان كانوا كثيرا قال من أهل الجنة ورب الكعبة فقيل له في ذلك فقال ان الله تعالى يقول « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » أي في قلوب المؤمنين في حياتهم وبعد مماتهم انتهى . وفي الحديث « اذا أحب الله تعالى عبدا قال لجبريل عليه الصلاة والسلام اني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه قال فتحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض » وذكر في البغضاء مثل ذلك رواه الشيخان (وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى) والحس يصدق ذلك فلم يزل العلماء

بيته عن مقام يسمعن فيه المواعظ من قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم ليعرفن بذلك أمور دينهن ويحذروهن دخول النار ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة يعني علم فرائض الدين .

(فصل) ويلزم الرجل أيضا حسن القيام على زوجته وأولاده وما ملكت يمينه فيلزمه اطعامهم وكسوتهم وتعليمهم أمور دينهم ويكون ذلك كله من وجه حلال ولا يحل له التفريط في شيء من ذلك بوجه من الوجوه كما قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » وقد أمر الله عز وجل

والصالحون فى كل عصر يعكف الناس على اعتقادهم والمحبة لهم ولا تكاد ترى أحدا يكرههم الا وفى قلبه نفاق وعلى وجهه ظلمة وقترة وقد يكون المحبون للعلماء والصالحين من طوائف الجن أكثر من طوائف الإنس فيتبع جنازة أحدهم آلاف من الجن كما وقع فى جنازة عمر بن قيس الفاسى فروى انه اجتمع فى جنازته خلائق لا يحصون فلما دفن نظر الناس فلم يروا أحدا من أولئك الناس الذين صلوا فقالوا انهم كانوا من الجن . وكان عمر بن قيس هذا من الصالحين الذين كان سفيان الثورى وأضرابه يتبركون به وبالنظر الى وجهه * ولما مات الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه صلى عليه أهل بغداد فحزروهم نحوا من سبعمائة ألف وسمعوا امرأتى الجن فيه وأسلم من اليهود والنصارى فى ذلك اليوم نحو من ثلاثين ألفا لما رأوا من كثرة بكاء الناس على جنازته . وبلغنا أن الخليفة المتوكل أمر أن تمسح الأرض التى وقف المصلون على الجنازة فيها فوجدوها وقف ألفى ألف وثلثمائة ألف أو نحوها ولما انتشر خبر موته رضى الله عنه أقبل الناس من البلاد والقرى يصلون على قبره فصلى عليه خلائق لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل (ولما) مات سهل بن عبد الله التسترى رضى الله تعالى عنه صلى عليه خلائق لا يحصى عددهم إلا الله ورأى يهودى كان قد طعن فى السن الملائكة ينزلون من السماء أفواجا أفواجا يتمسحون بالجنازة فأسلم وحسن إسلامه ويقال ان الكعبة لم تخل من طائف يطوف بها الا يوم مات المغيرة بن حكيم رضى الله عنه فازدحم الناس على جنازته يتبركون بها وتركوا كلهم الطواف حتى شيعوه وواروه فى قبره (قال) الإمام القرطبى رحمه الله تعالى وقد شوهد جنائز كثير من الصالحين يشيعها الطير وتسير معها حيث سارت حتى تدفن منهم أبو الفيض ذو النون المصرى والإمام إبراهيم المزنى صاحب الإمام الشافعى وتحدث بذلك الثقات * فعليكم أيها الإخوان بالاقتداء بالعلماء والصالحين فى زهدهم وورعهم وخوفهم من الله تعالى ليحبكم الله تعالى كما أحبهم وينادى جبريل فى السماء بمحبتكم ويوضع لكم القبول فى الأرض فلا يكرهكم إلا منافق واجتنبوا الصفات التى أخبر نبيكم ﷺ انها من صفات أهل النار كما فى حديث مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من كذا وكذا » وكان بعض السلف الصالح يقولون : من علامة أهل الجنة صفاء القلوب من سوء الظن بالمسلمين وكثرة الخوف من الله تعالى كما أشار اليه قوله ﷺ « ليدخلن الجنة أقوام أفئدتهم كأفئدة الطير » أى لأن الطير أكثر الحيوانات خوفا وحذرا لاسيما الغراب فانهم قالوا فى الرجل الفطن فى أمر دينه انه أحذر من غراب فمن وجد منكم أيها الإخوان فى قلبه خوفا وهيبة من الله تعالى يحجزه عن معاصيه فليبشر فانه من أهل الجنة ومن وجد نفسه بالضد من ذلك فليتجهز للنار . ومن علامات أهل الجنة أن يكون العبد سليما من الذنوب وأكل الشهوات أبله عن معاصى الله عز وجل كما أشار اليه حديث البيهقى وغيره أن رسول الله ﷺ قال « أكثر أهل الجنة البله » قال العلماء وأراد به هنا من كان مطبوعا على الخير وهو غافل عن الشر جملة : وقال بعضهم الأبله هو الذى يكون صدره سالما من كل شىء يغضب الله تعالى وحسن الظن بالناس وكذلك من علامة أهل النار كثرة محبة الدنيا كما عليه الأغنياء والنساء . وقد ورد فى الصحيح أن رسول الله ﷺ « قال اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء والمساكين واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء قالوا لم ذاك يا رسول الله قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله يا رسول الله قال يكفرن العشير - يعنى الزوج - ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى احداهن الدهر كله ثم رأت منك ما تكره قالت ما رأيت منك خيرا قط » وفى رواية أما الأغنياء فانهم يحاسبون ويمحصون وأما النساء فألهاهن الذهب والحرير (وروى) ابن أبى الدنيا عن ابن عباس

الانسان أن يحذر على نفسه من النار ويحذر على أهله منها كما يحذر على نفسه قال النبى ﷺ « كل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة فالرجل راع على أهله وهو مسئول عنهم والمرأة راعية فى مال زوجها وهى مسئولة عنه » وقال صلى الله عليه وسلم لا يلقى الرجل ربه بذنب أعظم من جهالة أهل بيته . ويقال أول ما يتعلق بالرجل زوجته وأولاده فيوقفونه بين يدى الله سبحانه وتعالى فيقولون يا ربنا خذ لنا حقنا من هذا الرجل فانه لم يعلمنا أمور ديننا وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيضرب على كسب الحرام حتى يتجرد لحمه ثم يذهب به الى الميزان فتجىء الملائكة بحسناته مثل الجبال فيجىء هذا فيقول وزنت لى ناقصا فيأخذ من حسناته ويجىء هذا فيقول له

رضى الله عنهما قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء شوهاء فتشرف على الخلائق فيقال أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التى تحاسدتم عليها وتباغضتم وقطعتم بها الأرحام ثم يقذف بها فى نار جهنم فتنادى وتقول أين أتباعى وأشياعى فيقول الله عز وجل ألحقوا بها أتباعها وأشياعها * فنسأل الله تعالى العافية من محبة الدنيا لنا ولجميع اخواننا آمين والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء أن العرفاء فى النار ﴾

روى أبو داود وغيره أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أبى شيخ كبير وهو عريف الماء وانه يسألك أن تجعل العرافة إلى بعده فقال ان العرافة حق ولا بد للناس من عرفاء ولكن العرفاء فى النار * قال العلماء والعريف هو القيم بأمر القبيلة والمحلة يلى أمورهم ويتعرف أخبارهم الأمراء وغيرهم . وأما قوله ان العرافة حق أى لما فيها من العمل على مصالح الناس والرفق بهم . وأما قوله فى النار أى لما فيها من الرياسة والتأمر على الناس فهو تحذير من دخول النار إذا لم يتق الله فيها والله أعلم وفى حديث أبى داود الطيالسى رحمه الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ويل للأمراء وويل للأمناء وويل للعرفاء » الحديث فاياكم أيها الاخوان أن تكونوا عرفاء فى سوق أو فى مظلمة نزلت على الناس والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب لا يدخل الجنة صاحب مكس ولا قاطع رحم ﴾

روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة قاطع » قال سفيان الثورى أى قاطع رحم (وروى) أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة صاحب مكس » وصاحب المكس هو الذى يعشر أموال الناس ويأخذ من التجار وغيرهم مالا يجب عليهم إذا مروا به على وجه المكس أى العشر كما هو معروف فى هذا الزمان وغيره فاياكم أيها الاخوان من مثل ذلك ثم اياكم والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء فى أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار وفى أول من تسعر بهم جهنم ﴾

روى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « أول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد ورجل عفيف متعفف ذو عيال وعبد أحسن عبادة ربه وأدى حق مواليه وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدى حقه وفقير فخور » (وروى) مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال « ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال له فما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ذلك ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ثم لك قال رسول الله ﷺ فهؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار يوم القيامة » انتهى فنسأل الله من فضله أن يلطف بنا وبجميع العلماء وقراء القرآن آمين والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب فيمن يدخل الجنة بغير حساب ﴾

روى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب » قالوا

انك رابيت فيأخذ من حسناته فينهبونها فيلتفت إلى أهله ويقول لهم قد ثقلت المظالم فى عنق لأجلكم فتنادى الملائكة هذا الذى أكل أهله حسناته ومضى لأجلهم فى النار فيجب عليه أن يجتنب الحرام ويحسن إلى أهله (ومما جاء فى صلة الرحم وقطعها) قال صلى الله عليه وسلم : صلة الرحم توسع الرزق وتزيد فى العمر وان الرحم تعلقت بالعرش وقالت اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى فقال الله سبحانه وتعالى وعزتى وجلالى لأصلن من وصلك ولأقطعن من قطعك (وروى) عن بعض الصالحين أنه قال كان لى صداقة برجل صالح فى بلاد العجم وكان مجاورا بمكة وكان يطوف بالبيت طول الليل ويعكف على قراءة القرآن

من هم يارسول الله فقال هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون (وروى) الترمذي وابن ماجه عن أبي أمامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لاحساب عليهم ولا عذاب مع كل سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل » (وروى) أبو عبد الله الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى أعطاني سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يارسول الله فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني مع كل واحد من السبعين سبعين ألفا فقال عمر يارسول الله فهلا استزدته ثانيا فقال قد استزدته فأعطاني هكذا وفتح الراوي يديه » انتهى قال هشيم رحمه الله تعالى وهذا من الله لا يدري عدده * قال العلماء ومعنى الحديث السابق أول الباب أن غير من لم يسترق ولم يتطير ولم يكتو من المؤمنين لا يكون من السبعين المذكورة وان كان من أهل الجنة بعمل آخر فيحاسب كغيره ثم يدخل الجنة (قال الامام القرطبي) في الأصل ما معناه ان بعض الصحابة قد اكتوى ولا بدع في أن يرجى كونه من السبعين ألفا والله أعلم (وروى) ابن مردويه والحافظ السلفي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل غسل ثوبه فلم يجد له خلفا يلبسه ورجل لم ينصب على مستوقده قدرين قط ورجل دعا بشراب فلم يقل له أيهما تريد » (وكان) عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول من حفر بئرا بفلاة من الأرض ايمانا واحتسابا دخل الجنة بغير حساب (وكان) على بن الحسين رضى الله عنهما يقول « إذا كان يوم القيامة نادى مناد أيكم أهل الفضل قوموا قال فيقوم ناس قليلون فيقال انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون إلى أين فيقولون إلى الجنة فيقولون قبل الحساب قالوا نعم قالوا ومن أنتم قالوا نحن الذين كنا إذا جهل علينا حلمنا وإذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء علينا عفونا قالوا لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس قليلون فيقال لهم ادخلوا الجنة فتتلقاهم الملائكة فتقول لهم مثل ذلك ويقولون لهم فيقال من أنتم فيقولون نحن أهل الصبر على طاعة الله وعن معصية الله فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم ينادى مناد ليقم الذين كانوا يتزاورون في الله ويتجالسون في الله ويتباذلون في الله فيقال لهم ويقولون فيقولون لهم ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين » (وروى) الحافظ أبو نعيم عن أنس رضى الله عنه قال « إذا جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد نادى مناد من بطنان العرش أين أهل المعرفة بالله عز وجل فيقوم جماعة من الناس حتى يقفوا بين يدى الله عز وجل فيقول تعالى وهو أعلم من أنتم فيقولون نحن أهل المعرفة بك الذين عرفتنا اياك وجعلتنا أهلا لذلك فيقول تعالى صدقتم ادخلوا الجنة برحمتي » والأحاديث في ذلك كثيرة فنسأل الله من فضله أن يجعلنا ممن يعمل الصالحات إلى الممات دون السيئات آمين .

﴿ باب أمة محمد صلى الله عليه وسلم شطر أهل الجنة وأكثر ﴾

روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تبارك وتعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول أخرج بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك حين يشيب الوليد وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » قال أبو سعيد الخدري رضى الله عنه فاشتد ذلك عليهم فقالوا يارسول الله أينا ذلك الرجل فقال أبشروا فان من ياجوج وماجوج ألفا ومنكم رجلا ثم قال والذي نفسي بيده انى لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذي نفسي بيده انى لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذي نفسي بيده انى لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ان مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار (وفي الحديث) أن رسول الله ﷺ قال تكون الخلائق يوم القيامة مائة وعشرين

وكان له على هذه الحالة مدة سنين فأودعته ذهبا وسافرت إلى بلاد اليمن ثم جئت فوجدته قد مات فسألت أولاده عن الوديعة فقالوا لي والله ما ندري ما تقول ومالنا بذلك من علم فوقفت حزينا فلقيني مالك بن دينار رحمه الله تعالى فقال لي ما بالك يا أخي فحدثته فقال إذا انتصف الليل وكانت ليلة الجمعة ولم يبق بالمطاف أحد فقف بين الركن والمقام وصح يا فلان فان كان صالحا مقبولا عند الله سبحانه وتعالى فان روحه تكلمك لأن أرواح المؤمنين كلهم تجتمع بين الركن والمقام قال فلما كانت ليلة الجمعة نصف الليل وقفت بين الركن والمقام وصحت يا فلان فلم يكلمني أحد فلما أصبحت حدثت مالك بن دينار بذلك فقال : انا لله وانا

صفاطول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة وعرض كل صف مسيرة عشرين ألف سنة قيل يارسول الله كم المؤمنون قال: ثلاث صفوف فقيل له والمشركون قال مائة وسبعة عشر صفا قيل فما صف المؤمنين من الكافرين قال المؤمنين كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ذكره القتيبي. (وفي الحديث) ان أمتي يوم القيامة ثلثا أهل الجنة ان الناس يوم القيامة عشرون ومائة صف وأنتم منهم ثمانون صفا والأربعون من سائر الأمم قال الترمذي حديث حسن والحمد لله رب العالمين .

﴿ أبواب جهنم وما جاء في أهوالها وأسمائها ﴾

فمن أسمائها لظى وسقر وهاوية وهي النار الحامية والجحيم وجهنم (وفي الحديث) ان النار تأكل أهلها حتى اذا اطلعت على افئدتهم انتهت ثم تعود كما كانت ثم تستقبل العبد أيضا فتطلع على فؤاده فهو كذلك أبدا * قال العلماء وأصل النار للكافرين ولكن الله تعالى خوف بها الطغاة والمتمردين والعصاة من الموحدين لينزجروا عما نهاهم الله عنه (وفي الحديث) ان الله تعالى لما خلق النار فزعت الملائكة وطارت أفئدتها فلما خلق آدم سكن ذلك عنهم وذهب ما كانوا يجدون وكان ميمون بن مهران رضي الله عنه يقول لما خلق الله تعالى جهنم أمرها أن تزفر فزفرت فلم يبق في السموات السبع ملك إلا خر على وجهه فقال لهم الجبار جلا وعلا ارفعوا رءوسكم أما علمتم أني خلقتكم لطاعتي وعبادتي وخلقت جهنم لأهل معصيتي من خلقي فقالوا اربنا لا نأمنها حتى نرى أهلها فذلك قوله تعالى «وهم من خشيته مشفقون» (وروى) عن زيد ابن أسلم أنه قال جاء جبريل الى النبي ﷺ ومعه اسرافيل فسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا اسرافيل منكسر الطرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياجبريل مالي أرى اسرافيل منكسر الطرف متغير اللون فقال انه لاحت له آنفا حين هبط لفحة من جهنم فذلك الذي كسر طرفه (وبلغنا) ان فتى من الأنصار غلب عليه الخوف حتى حبسه ذلك عن الخروج من بيته فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل صلى الله عليه وسلم عليه فاعتنقه الفتى وخر ميتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الخوف من النار فلذ كبده أي فلقها (وروى) عن عيسى عليه السلام انه مر بأربعة آلاف امرأة متغيرات الألوان عليهن مدارع الشعر والصوف فقال عيسى عليه السلام ما الذي غير ألوانكن معاشر النسوة فقلن ذكر النار غير ألواننا ياابن مريم وان من دخل النار لا يذوق فيها بردا ولا شرابا (وروى) أن سلمان الفارسي رضي الله عنه لما سمع قوله تعالى «وان جهنم لموعدهم أجمعين» خرج هائما على وجهه هاربا من شدة الخوف لا يعقل شيئا فجيء به الى النبي ﷺ فسأله فقال يارسول الله قد قطعت هذه الآية قلبي فأنزل الله تعالى «ان المتقين في جنات وعيون» الآية * نسأل الله من فضله أن ينجينا في هذه الدار من أعمال أهل النار آمين والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء فيمن سأل الله الجنة واستجار به من النار ﴾

روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استجار من النار قالت النار اللهم أجره من النار» (وروى) البيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اذا كان يوم حار ألقى الله تعالى سمعه وبصره الى أهل السماء وأهل الأرض فاذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرني من حر نار جهنم قال الله عز وجل لجهنم ان عبدا من عبادي استجار بي منك وإني أشهدك أني قد أجرته واذا كان يوم شديد البرد ألقى الله تعالى سمعه وبصره الى أهل السماء وأهل الأرض فاذا قال العبد لا اله الا الله ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله لجهنم ان عبدا من عبادي استجار بي من زمهريرك واني أشهدك أني قد أجرته فقالوا وما زمهرير

اليه راجعون» كان ذلك العجمي من أهل النار ولكن امض الى أرض اليمن فان فيها بئرا يسمى بئر برهوت تجتمع فيه أرواح المعذبين وهو على فم جهنم فقف على جانب البئر وناد يافلان في وقت نصف الليل فانه يكلمك قال فمضيت الى تلك البئر فلما انتصف الليل قعدت عند البئر فاذا أنا بشخصين قد جاءا ونزلا في تلك البئر وهما يبكيان فقال أحدهما للآخر من أنت قال أنا روح رجل ظالم كان يضمن الجهات للسلطان ويأكل الحرام فرماني ملك الموت الى هذه البئر أعذب فيها وقال الآخر أنا روح عبد الملك بن مروان قد كنت رجلا عاصيا ظالما فجئت أعذب في هذه البئر فسمعت لهما صراخا فقامت كل شعرة في جسدي من

جهنم يارسول الله قال جب يلقى فيه الكافر فيتمزق من شدة بردها بعضه من بعض» (وروى) النسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من صام يوما فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفا» ورواه الشيخان باختصار وفى الصحيحين أيضا أن النبى ﷺ قال «من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل» وروى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفا» أى عاما (وروى) الطبرانى وغيره أن رسول الله ﷺ قال «من أطعم أخاه حتى أشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق كل خندق مسيرة مائة عام» (قال العلماء) فى هذه الأحاديث أن الأعمال الصالحة والاخلاص فيها موصل الى الجنة ومبعد من النار فعليكم أيها الاخوان بالاكثار من جميع الطاعات فان كل طاعة منها توصل صاحبها الى دخول الجنة والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء فى أبواب جهنم وأنها أدراك وأنها تسعر كل يوم الا يوم الجمعة ﴾

قال الله تعالى «ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار» وهى سبع دركات أى طبقات ومنازل (قال العلماء) وانما كان المنافقون فى الدرك الأسفل من النار وهى الهاويه لغلظ كفرهم وكثرة غوائلهم وتمكنهم من أذى المؤمنين وكان كعب الأحبار رضى الله عنه يقول ان فى جهنم لبئرا ما فتحت أبوابها بعد وهى مغلقة تستعيذ منها جهنم كل يوم مخافة أن يكون فى تلك البئر من العذاب مالا طاقة لجهنم به ولا صبر لها عليه وهى الدرك الأسفل من النار انتهى. وقال ابن مسعود إن فى الدرك الأسفل من النار توابيت من النار قسمت عليهم فى أسفل النار وكان الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه يقول كيف أبواب جهنم فقلنا هى مثل أبوابنا هذه ياأمير المؤمنين فقال لاهى هكذا بعضها فوق بعض (قال العلماء) وأعلى الدركات من جهنم هو الذى تدخله عصاة الموحدين ثم يخلو منهم حين يخرجون بالشفاعة وتصير الرياح تصفق أبوابها وبعد ذلك لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وكان الضحاك رضى الله عنه يقول الدرك الأعلى فيه المحمديون والثانى فيه النصارى والثالث فيه اليهود والرابع فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركو العرب والسابع فيه المنافقون اهـ قال الامام القرطبى ولم نر ذلك فى حديث صحيح ولا أثر صحيح. وكان معاذ بن جبل يقول اذا وصف العلماء السوء منهم من اذا وعظ عنف واذا وعظ أنف فذلك فى أول درك من النار ومنهم من يأخذ علمه وسيلة الى القرب من السلطان فذلك فى الدرك الثانى من النار ومنهم من يخزن علمه ويكتمه عن مستحقه فذلك فى الدرك الثالث من النار ومنهم من يستخىء الكلام والعلم لوجوه الناس ولا يرى سفلة الناس له موضعا فذلك فى الدرك الرابع من النار ومنهم من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثه فذلك فى الدرك الخامس من النار ومنهم من ينصب نفسه للفتيا ويقول للناس سلونى فذلك الذى يكتب عند الله متكلفا والله لايحب المتكلفين فذلك فى الدرك السادس من النار ومنهم من يتخذ علمه مروءة وعقلا فذلك فى الدرك السابع من النار (وروى) الحافظ أبو نعيم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان جهنم تسعر فى كل يوم وتفتح أبوابها الا يوم الجمعة فانها لاتسعر يوم الجمعة ولا تفتح أبوابها» اهـ (قال القرطبى رحمه الله تعالى) ولهذا المعنى والله أعلم كانت النافلة جائزة يوم الجمعة عند قيام الظهيرة دون غيرها من الأيام وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال «ان لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتى» وفى رواية على أمة محمد ﷺ وفى رواية ان لجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية وكان وهب بن منبه رضى الله عنه يقول: ان بين كل بابين مسيرة سبعين سنة كل باب أشد حرا من الذى فوقه بسبعين ضعفا (وفى الحديث أيضا) ان جهنم سوداء مظلمة لاضوء لها ولا لهب لها سبعة أبواب على كل باب منها سبعون ألف جبل فى كل جبل سبعون ألف شعبة من نار فى كل شعبة سبعون ألف شق من نار فى

شدة الفزع قال فطارت فى تلك البئر وصحت يافلان فجاوبنى من تحت الضرب والعقوبة لبيك فقلت ياأخى أين الوديعة التى أودعتك اياها فقال أنها مدفونة تحت العتبة الفلانية فى الموضع الفلانى قلت ياأخى بأى ذنب جئت الى منازل الاشقياء قال بسبب أختى لأنه قد كان لى أخت وهى فقيرة منقطعة بأرض العجم فاشتغلت عنها بعبادة الله عز وجل والمجاورة بمكة وما كنت أفتقدها فى تلك المدة بشىء ولا أسأل عنها فلما مت عاتبنى ربى عليها فقال لى كيف نسيتها؟ تعرى وأنت مكتس وتجوع وأنت شبعان وتظمأ وأنت مروى وعزتى وجلالى لأرحم قاطع الرحم اذهبوا به الى بئر برهوت فأتى بى ملك الموت اليها وها أنا

كل شق سبعون ألف واد من نار فى كل واد سبعون ألف قصر فى كل قصر سبعون ألف بيت من نار فى كل بيت سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب لكل عقرب سبعون ألف ذنب لكل ذنب سبعون ألف فقار فى كل فقار سبعون ألف قلة من سم فاذا كان يوم القيامة كشف عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن يمين الثقلين وسرادق آخر عن يسارهم وسرادق أمامهم وسرادق من فوقهم وآخر من ورائهم فاذا نظر الثقلان الى ذلك جثوا على ركبهم وصاروا يتنادون كلهم رب سلم .

﴿باب ماجاء فى عظم جهنم وأزمتها وكثرة ملائكتها وفى عظم خلقهم﴾

روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وفى رواية أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل فناجاه فتغير وجه النبى صلى الله عليه وسلم فسأله على عن ذلك فقال يا أبا الحسن ان جبريل قرأ على « كلا اذا دكت الأرض دكا دكا » الآية وأخبرنى أنها اذا جاءت تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام معه سبعون ألف ملك فبينما هم كذلك اذ شردت عليهم شردة تفلتت من أيديهم فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من فى الجمع فاحذرها يا محمد اه (وذكر) الامام الغزالى رحمه الله تعالى أنهم يأتون بها تمشى على أربع قوائم على خلق الجاموس وتقاد بسبعين ألف زمام فى كل زمام سبعون ألف ملك وسبعون ألف حلقة لو اجتمع حديد الدنيا كلها ما عدل بحلقة واحدة على كل حلقة ملك معه مرزبة لو أمر أن يضرب بها الجبال لدكت أو أن يهد الأرض لهدت وأنها اذا انفلتت من أيديهم لا يقدر أحد على إمساكها لعظم شأنها فيجثو كل من فى الموقف على الركب حتى المرسلين ويتعلق ابراهيم وموسى وعيسى بالعرش هذا قد نسى الذبيح وهذا قد نسى هرون وهذا قد نسى مريم عليهم الصلاة والسلام وكل واحد يقول نفسى نفسى لا أسألك اليوم غيرها ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول أمتى أمتى سلمها ونجها يا رب وليس فى الموقف من تحمله ركبتاه وهو قوله تعالى « وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها » هذا وجهنم كما وصفها الله تعالى « تكاد تميز من الغيظ » أى تنشق نصفين من شدة غيظها على أهلها فيقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر ربه عز وجل فيأخذ بخطامها ويقول لها ارجعى مدحورة الى خلفك حتى يأتيك أهلك فتقول خل سبيلى يا محمد فانك حرام على فتنادى من سرادق العرش اسمعى منه وأطيعى له ثم انها تجذب وتجعل عن شمال العرش ويتحدث أهل الموقف بجذبها لكن يحق عليهم الخوف والوجل قال وهذا من جملة الرحمة الواقعة على يد رسول الله ﷺ المشار اليها بقوله تعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وهناك ينصب الميزان كما مر بيانه فى بابها (قال العلماء) وجهنم اسم فى الحقيقة لجميع طباق النار . ومعنى يؤتى بها أى يجاء بها من المحل الذى خلقها الله فيه وهى دائرة بأرض المحشر حتى لا يبقى لأهل الجنة طريق الا الصراط وانما كان لها أزمة لتمنعها من خروجها على أهل المحشر فتحرقهم فلا يخرج منها الا الأعناق التى تخرج منها لتلتقط الناس الذين أمر بهم الى النار (وفى الحديث) أن رسول الله ﷺ قال فى عظم خزنة جهنم المشار اليهم بقوله تعالى « غلاظ شداد » كل ملك ما بين منكبيه مسيرة سنة ولكل واحد منهم قوة لو أنه ضرب بالمقمع الذى فى يده جبلا لصار دكا فيدفع فى النار بكل ضربة سبعين ألفا فى قعر جهنم وأما قوله تعالى « عليها تسعة عشر » فالمراد بهؤلاء رؤساء الزبانية والا فملائكة النار لا يعلم عددهم الا الله قال تعالى « وما يعلم جنود ربك الا هو » انتهى * فنسأل الله من فضله أن ينجينا وجميع اخواننا فى هذه الدار من كل عمل يقربنا الى النار آمين والحمد لله رب العالمين .

﴿باب فى كلام جهنم وغير ذلك﴾

روى أن جبريل نزل على رسول الله ﷺ بقوله تعالى « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار » فقال النبى ﷺ يا جبريل فأين تكون الناس يوم القيامة، قال: يا محمد

معذب يا أخى اذهب اليها واطلب لى منها المسامحة واجعلنى فى حل منها فلعل الله عز وجل أن يرحمنى لاننى ليس لى ذنب عند الله سبحانه وتعالى غير مقاطعتى للرحم وجفائى لها قال الرجل فمضيت الى الموضع الذى قال لى عليه فنبشته فوجدت الصرة وفيها وديعتى مثل ماربطتها بيدى فأخذتها ومضيت الى بلاد العجم فسألت عنها واجتمعت بها وحدثتها بحديثه من أوله الى آخره فبكت وجعلت أخاها فى حل وشكت الى الله القلة والضرورة فوهبتها شيئا من حطام الدنيا وانصرفت عنها فينبغى لكل مؤمن أن يصل رحمه (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت فى الجنة قصرا من ذهب

يكونون على أرض بيضاء لم يعمل عليها ذنب وتكون الجبال كالعهن المنفوش يعني الصوف وتذوب الجبال من مخافة جهنم فى ذلك اليوم يا محمد إنه ليجاء بجهنم يوم القيامة تزف زفا عليها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك حتى توقف بين يدى الله عز وجل فيقول لها يا جهنم تكلمى فتقول لا اله الا الله وعزتك وعظمتك لأنتقمن اليوم ممن أكل رزقك وعبد غيرك ولا يجوزنى إلا من عنده جواز فقال النبي ﷺ ياجبريل وما الجواز يوم القيامة قال أبشر أبشر ألا من شهد أن لا إله إلا الله فمن شهد أن لا اله الا الله جاز جسر جهنم فقال النبي ﷺ الحمد لله الذى ألهم أمتى قول لا اله الا الله (وروى) الحافظ عبد الغنى رحمه الله تعالى أن رسول الله ﷺ قال: اذا جمع الله تعالى الناس فى صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضا ومعها خزنتها وهى تقول وعزة ربى ليخلين بينى وبين أزواجى أو لأغشين الناس عنقا واحدا فيقولون ومن أزواجك فتقول كل متكبر جبار.

﴿باب ماجاء فى أن التسعة عشر من جملة خزنة جهنم وبيان عظمهم﴾

سئل أبو العوام عن قوله تعالى «وما أدراك ماسقر لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر» هل هم تسعة عشر ملكا أو تسعة عشر ألفا فقال تسعة عشر ملكا فقال السائل وما علمك بذلك فقال أخذته من قوله تعالى «وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا» فقال له السائل صدقت هم تسعة عشر ملكا بيد كل ملك منهم مرزبة لها شعبتان يضرب الضربة فيهوى بها العبد سبعين خريفا أى عاما. وورد ذلك فى حديث الترمذى حين سأله اليهود عن عدة خزنة جهنم فقال هكذا وهكذا فى مرة عشرة وفى مرة تسعة انتهى قال العلماء وهؤلاء التسعة عشر انما هم رءوس الزبانية والا فعدد زبانية جهنم لا يعلمه الا الله عز وجل والحمد لله رب العالمين (وسئل) ابن عباس رضى الله عنهما عن سعة جهنم وقوله تعالى «انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها» فقال والله ما أدرى سعتها ولكن بلغنا أن بين شحمة أذن كل واحد من الزبانية وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا يعنى سبعين سنة وأنها تجرى فيها أودية القيح والدم * قال العلماء رضى الله تعالى عنهم واذا كان الصراط الذى هو جسر على ظهر جهنم يسع الخلق كلهم حين تبدل الأرض غير الأرض والسموات فكيف بنفس جهنم وأرضها ودركاتها وفى حديث الترمذى أن كثافة كل سرادق من سرادقات النار أى كثافة جداره مسيرة أربعين سنة والله أعلم.

﴿باب ماجاء فى أن جهنم فى الأرض وأن البحر طبقها﴾

روى عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال لا تركبوا البحر الا ان كان أحدكم غازيا أو حاجا أو معتمرا فان تحت البحر نارا وكان عبدالله بن عمرو يقول لا تتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم وكان عبدالله بن عباس رضى الله عنهما يقول فى قوله تعالى «واذا البحار سجرت» أى أوقدت فصارت نارا والله تعالى أعلم.

﴿باب ماجاء فى شدة حر جهنم وبعد قعرها أعاذنا الله تعالى وجميع اخواننا منها﴾

روى الترمذى وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة زاد فى رواية فهى كسواد الليل وفى رواية فهى أشد سوادا من القار، يعنى الزفت. وكان سلمان الفارسى رضى الله عنه يقول نار الآخرة سوداء مظلمة لا يضىء لهبها ولا جمرها (وروى) مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ناركم التى توقدون فى الدنيا حرها جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قالوا يارسول الله ان كانت لكافية فقال انها فضلت بتسعة وستين جزءا وزاد فى رواية كلها مثل حرها (وروى) ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال: لولا أن ناركم هذه أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وانها لتسأل الله تعالى أن لا يعيدها فى نار الآخرة يعنى جهنم. وفى رواية لولا أنها ضربت بماء البحار وفى رواية بالماء سبع مرات ما انتفعتم بها وفى رواية عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه ان ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ولولا أنه ضرب

ودر وياقوت وزبرجد يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره قلت لمن هذه المنازل يا أخى ياجبريل قال لمن وصل الأرحام وأفشى السلام وألان الكلام وأطعم الطعام ورفق بالأيتام وصلى بالليل والناس نيام (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صبر على خلق زوجته مع طاعة الله ورسوله أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب صلى الله عليه وسلم ومن صبرت على خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل من قتل فى سبيل الله عزوجل ومن ظلمت زوجها وكلفته ما لا يطيق وآذته لعنتها ملائكة الرحمن وملائكة العذاب وهى فى النار ومن صبرت على أذى زوجها أعطاها الله ثواب آسية امرأة

بها البحر عشر مرات ما انتفعتم بها بشىء (وسئل) ابن عباس عن نار الدنيا مم خلقت فقال من نار جهنم غير أنها طفئت بالماء سبعين مرة ولولا ذلك ماقدرتم على القرب منها (وفى الحديث) أن رسول الله صلى الله وسلم عليه قال: لوأن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه الى أهل الدنيا لاحترقت الدنيا من حرها ولوأن خازنا من خزنة جهنم أخرج الى أهل الدنيا حتى يبصروه لمات أهل الدنيا حين يبصرونه من غضب الله تعالى الذى عليه (وروى) البزار فى مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لوكان فى المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم (قال الإمام القرطبى رحمه الله) ومعنى قوله فى الحديث ان ناركم هذه التى توقدون فى الدنيا جزء من سبعين جزءا الى آخر الأحاديث أنه لوجمع كل ما فى الوجود من النار التى يوقدها بنو آدم لكانت جزءا من أجزاء جهنم المذكورة وبيانه أنه لوجمع حطب الدنيا كله وأوقد حتى صار نارا لكان الجزء الواحد من أجزاء جهنم الذى هو من سبعين جزءا أشد من حر نار الدنيا كلها وكان كعب الأحبار رضى الله عنه يقول والذى نفس كعب بيده لوكان أحدكم بالمشرق وكانت النار بالمغرب ثم كشف عنها لخرج دماغ أحدكم من منخريه من شدة حرها ثم يقول ياقوم هل لكم على ذلك قدرة أو صبر والله ياقوم إن طاعة الله أهون عليكم من هذه فأطيعوه يحفظكم من دخول النار (وروى) الأئمة رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: اشتكت النار إلى ربها فقالت رب أكل بعضى بعضا فجعل لها نفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدون من الحر من سمومها (وروى) مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ كان جالسا مع أصحابه إذ سمع وجبة فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتدرون ماهذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمى فى نار جهنم منذ سبعين خريفا فهو يهوى فى النار الآن حين انتهى إلى قعرها. والوجبة هى الهدة وهى صوت وقع الشىء الثقيل وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وإن قعرها بعيد وان مقامعها حديد وكان عتبة بن غزوان اذا خطب الناس يقول فى خطبته أيها الناس عليكم بتقوى الله فانه ذكر لنا أن الحجر العظيم يلقى فى نار جهنم فيهوى من شفيرها إلى قعرها سبعين عاما لا يصل إلى قعرها والله لتملأن من العصاة وكان كعب الأحبار رضى الله عنه يقول لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها وان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا خر جاثيا على ركبتيه يقول نفسى نفسى وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول ان النار تلتقط أهلها كما يلتقط الطائر الحب (وسئل) ابن عباس عن قوله تعالى «إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً» فهل للنار عينان قال نعم أما سمعتم قوله ﷺ من كذب على متعمداً فليتبوأ بين عينى جهنم مقعداً قيل يارسول الله ولها عينان قال أما سمعتم قوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد الحديث ويؤيده حديث يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق به فيقول انى وكلت اليوم بمن جعل مع الله إلها آخر فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقط (وفى رواية) للترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق ففى هذه الأحاديث ان كلام النار حقيقة لا مجاز والله أعلم.

﴿ باب ما جاء فى مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم وأنكالهم ﴾

قال الله تعالى «ولهم مقامع من حديد» وقال تعالى إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم» وقال تعالى «فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً» وقال تعالى «إن لدينا أنكالا وجحيما» الآية وسيأتى قول الحسن وابن مسعود إنه ما فى جهنم واد ولا مقمع ولا غل ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبه مكتوب عليه (وروى) الترمذى وقال اسناده صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لوأن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل

فرعون ومريم ابنة عمران فان الله يقول وهو أصدق القائلين من وصل رحمه أزيد فى عمره وأعمر ماله وأعمر داره وأهون عليه سكرات الموت وتناديه أبواب الجنة هلم الينا (وقال) عليه الصلاة والسلام: لاتنزل الرحمة على قاطع الرحم نعوذ بالله من الحرمان ونسأل الله القبول والغفران ونسأله الأمان من النيران.

﴿ الباب التاسع فى عقوبة عاق والديه ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلو علم الله عز وجل فى الكلام شيئا أقل من أف ما قال الله عز وجل «إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً» (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم: لوكان

الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو قال أصلها (وفى الحديث) أن الله تعالى ينشئ لأهل النار سحابة فاذا رأوها ذكروا سحاب الدنيا فتناديهم يا أهل النار ما تشتهون فيقولون نشتهى الماء البارد فتمطرهم أغلالا تزاد فى أغلالهم وسلاسل تزاد فى سلاسلهم. وكان محمد بن المنكدر رضى الله عنه يقول لو جمع حديد الدنيا كله ما عدل حلقة واحدة من حلق السلسلة التى ذكرها الله تعالى بقوله «فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه» وكان نوف البكالى رحمه الله تعالى يقول لا تظنوا أن الذراع الذى ذكره الله فى ذرع السلسلة مثل ذراعكم هذا وإنما كل ذراع منه سبعون باعا كل باع بعد ما بين مكة والكوفة وقوله تعالى «فاسلكوه» قال سفيان الثورى رضى الله عنه قد بلغنا أنها تدخل من دبر العبد فتخرج من فمه. وكان طاوس اليمانى رضى الله عنه يقول إن الله تعالى خالق ملكا وخلق له أصابع بعدد أهل النار فما يعذب أحد منهم إلا بأصبع من أصابع ذلك الملك فوالله لو وضع هذا الملك أصبعا من أصابعه على السماء لذابت من حره انتهى * فنسأل الله تعالى من فضله أن يلطف بنا فى هذه الدار وفى تلك الدار ويتوفانا على الاسلام آمين والحمد لله رب العالمين.

﴿ باب ما جاء فى كيفية دخول أهل النار النار وكيفية لهبها ﴾

كان عبد الرحمن بن زيد رضى الله عنه يقول تتلقى جهنم أهلها يوم القيامة بشرر كالنجوم فيولون هاربين فيقول الجبار جل جلاله ردوهم فيردونهم عليها فذلك قوله تعالى «يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم» أى مانع يمنعكم من وهجها قال وبلغنا أن أحداقهم تندر من وجوههم اذا قربوا من جهنم فيدخلونها عميا مغلولين أيديهم وأرجلهم ورقابهم فى كل يد أو رجل غل (وفى الحديث) أن ما بين منكبى كل خازن من خزنة النار كما بين المشرق والمغرب قال ابن زيد وبين كل خازن مقمع من حديد يقمعون بها أهل النار فاذا قيل خذوه بادر اليه كذا وكذا ألفا من الملائكة فلا يضعون أيديهم على شئ من عظامه ولحمه الا صارت تحت أيديهم رفاتا ويجمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم فى الحديد ثم يلقون فى النار مصفدين وليس يبقى لهم شئ يتقون به إلا الوجوه وقد خرجت أحداقهم وعموا قال تعالى «أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة» الآية فاذا ألقوا فى النار وكادوا يبلغون قعرها تلقاهم لهبها فردهم إلى أعلاها حتى إذا كادوا يخرجون منها تلقتهم الملائكة بمقامع من حديد فضربوهم بها وجاءهم أمر أشد من اللهب فلا يزالون هاربين صاعدين أبدا الآبدين كما قال تعالى «كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها» وقال مجاهد فى قوله تعالى «ان لدينا أنكالا» أى قيودا لأن النكل هو القيد سمى بذلك لأنه ينكل به أهل النار أى يشد عليهم به فيمنعهم من الانتقال من النار إلى غيرها (وفى الحديث) أن لهب النار يرفع أهلها حتى يشرفوا على أهل الجنة فيطيرون من اللهب كما يطير الطير وبينهم وبين أهل الجنة حجاب كما قال الله تعالى «ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين» الآية وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يرون أنهار الجنة تطرد بينهم أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد إلى قعر النار ويقولون لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون. قال العلماء وإنما كان أهل الجنة وأهل النار يسمعون كلام بعضهم بعضا مع بعد المسافة التى بين الدارين لأن الله تعالى أمد أسماعهم بالقوة فسمعوا والحمد لله رب العالمين.

﴿ باب ما جاء فى أن لجهنم جبالا وخنادق وأودية وبحارا وصهاريج وحياضا وآبارا وجبالا وتنانير وسجونا وبيوتا وجسورا ونواعير وعقارب وحيات وغير ذلك أجارنا الله تعالى منها بمنه وكرمه ﴾

فى الكلام شئ أقل من أف ما قال الله «فلا تقل لهما أف» فقد بالغ الله سبحانه وتعالى فى الوصية بالوالدين (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم: عاق والديه لو صام وصلى حتى بقى مثل الوترومات ووالداه غضبانان عليه لقى الله عز وجل وهو غضبان عليه (وقال) صلى الله عليه وسلم: ليس بين عاق والديه وبين إبليس فى النار الا درجة واحدة (وقال) صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت أقواما معلقين فى جذوع من نار فقلت لأمين الوحى يا أخى يا جبريل من هؤلاء قال العاقون لوالديهم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب والديه نزل على رأسه فى جهنم بعدد كل قطرة نزلت من السماء إلى

روى الترمذى وغيره عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى «سأرهقه صعودا» هو جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفا ويهوى فيه كذلك أبدا انتهى (وفى الحديث) «من مات سكران فانه يبعث يوم القيامة سكران إلى خندق فى وسط جهنم يسمى السكران» وفى الحديث «ان ويلا وادفى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره» فذلك قوله تعالى «فويل يومئذ للمكذبين» وعن عطاء بن يسار فى قوله تعالى «وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة» الآية قال هو وادفى جهنم لو ألقيت فيه الجبال لذابت وماعت من شدة حره وهو مسيل الصديد فى أسفل جهنم وقال أبو عياض رضى الله عنه هو صهريج فى جهنم من صديد أهل النار. وقال أبو سعيد الخدرى هو واد بين جبلين يهوى فيه الكافر أربعين عاما لا يبلغ قعره. وقال ابن زيد رضى الله عنه فى قوله تعالى «وظل من يحموم» قال هو جبل فى جهنم يستغيث أهل النار أن يدخلوه لظنهم انه ظل بارد فقال الله تعالى «لا بارد ولا كريم» أى بل هو حار لأنه من دخان شفير جهنم . وكان مجاهد يقول فى قوله تعالى «موبقا» هو وادفى جهنم يقال له موبق وقال عكرمة هو نهر فى جهنم يسيل نارا على حافتيه حيات مثل البغال الدهم فاذا ثارت اليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام فى النار وقال أنس بن مالك هو وادفى جهنم من قيح ودم. وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن قوله تعالى «فسوف يلقون غيا» فقالت هو نهر فى جهنم وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول فى قوله تعالى «قل أعوذ برب الفلق» الفلق سجن فى جهنم إذا فتح بابه صاح جميع أهل جهنم من حره . وكان حميد بن هلال رضى الله عنه يقول: بلغنا ان فى جهنم تنانير ضيقة كضيق زج أحدكم فى الرمح تضيق على قوم بأعمالهم وروى مسلم عن بقى بن ماتع الاصبحى فى قوله تعالى «ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى» انه قصر فى جهنم يقال له هوى يرمى فيه الكافر من أعلاه فيهوى أربعين سنة قبل أن يصل إلى قعره وان فى جهنم واديا يدعى أثاما فيه حيات وعقارب فى كل فقار من ذنب ذلك العقرب من السم مقدار سبعين قلة كل عقرب منهن قدر البغلة الموكفة تلدغ الرجل فينسى حر جهنم من حرارة لدغها وكان يقول ان فى جهنم سبعين داء لأهلها كل داء مثل جزء من أجزاء جهنم (وفى الحديث) أن رسول الله ﷺ قال «ان فى جهنم بحرا أسود مظلما منتن الريح يغرق الله فيه من أكل رزقه وعبد غيره وراءى الخلق بأعماله» (وفى الحديث أيضا) «ان فى جهنم بئرا يقال لها هبهب حق على الله أن يسكنها كل جبار» (وفى الحديث أيضا) «ان فى جهنم واديا يقال له لملم يستعيذ بالله من حره جميع أودية جهنم» (وفى الحديث أيضا) «ان فى جهنم بئرا أعدها الله تعالى للمكذب بالقدر وللمبتدع فى دين الله ولمن كان مدمن خمر فى الدنيا» ذكره الخطيب الحافظ عن مالك بن أنس رحمه الله تعالى (وفى الحديث أيضا) «ان المتكبرين يحشرون يوم القيامة أمثال الذر تطؤهم الاقدام يساقون إلى سجن فى جهنم يقال له بولس يسقون فيه من عصارة أهل النار طينة الخبال» وهى التى يسقى منها شارب الخمر كما فى صحيح البخارى وكما فى رواية للترمذى. وروى الترمذى أيضا أن رسول الله ﷺ قال «تعوذوا بالله من جب الحزن فقيل يارسول الله وما جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين بأعمالهم» وفى رواية «ان فى جهنم واديا تتعوذ منه النار كل يوم أربعمائة مرة قيل يارسول الله من يدخله فقال القراء المراءون بأعمالهم وان من أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء» يعنى الجورة قاله البخارى رحمه الله تعالى وفى رواية أخرى «ان فى جهنم واديا تستعيذ منه النار كل يوم سبع مرات أعده الله للأشقياء من حملة القرآن» وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول: ان فى جهنم لرحى تدور بعلماء السوء فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم فى الدنيا فيقول ما صيركم إلى هذا وانما كنا نتعلم منكم قالوا انا كنا نأمركم بالأمر ونخالفكم إلى غيره . وكان أبو المثنى رحمه الله يقول: بلغنا ان فى النار أقواما يربطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير مالهم فيها راحة ولا فترة. وكان محمد بن كعب القرظى يقول

الأرض نعوذ بالله من النار ومن غضب الجبار ومن كل عمل يدخل النار (وقال) رسول الله ﷺ «لا يتعبنى شىء مثل ما أتعب مع العاقين لآبائهم وأمهاتهم أكون فى الجنة فأسمع صراخهم من الضرب والعقوبة وأسمع بكاءهم فيوجعنى قلبى الرقيق عليهم فأسجد تحت العرش وأشفع فيهم فيقول الله عز وجل يا محمد ارفع رأسك فان العاقين لوالديهم لا أخرجهم من النار حتى يرضى عليهم آباؤهم وأمهاتهم فأرجع إلى مكانى وأشتغل عنهم ثم أعود فأسمع صراخهم وبكاءهم فأمضى وأسجد ثانى مرة تحت العرش فيقول الله عز وجل يا محمد ارفع رأسك فمهما طلبت أعطيتك الا العاقين فانهم لا يخرجون من النار حتى يرضى آباؤهم فأمضى إلى مكانى وأنساهم ثم أعود أسمع نحيبهم وبكاءهم فأقول اللهم مر مالكا أن يفتح باب طبقتهم حتى أنظر

ان لمالك مجلسا فى وسط جهنم وجسورا تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها انتهى وسيأتى الحديث بتمامه ان شاء الله تعالى .

﴿ باب منه وفى ساحل جهنم ووعيد من يؤذى المؤمنين بغير حق ﴾

كان يزيد بن شجرة رضى الله عنه يقول بلغنا ان لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت وعقارب كالبغال الدهم فاذا استغاث أهل النار وطلبوا الساحل فاذا خرجوا إلى الساحل سلط عليهم تلك الهوام فتأخذ أشفار أعينهم وشفاههم وماشاء الله منهم تكشطها كشطا فيستغيثون منها ويطلبون الرجعة إلى النار فاذا ألقوا فى النار سلط عليهم الجرب فيحك أحدهم جلده حتى يظهر عظمه وان جلد أحدهم لأربعون ذراعا قال فيقال لأحدهم يا فلان هل يؤذيك هذا فيقول وأى أذى أشد من هذا قال فيقال هذا بما كنت تؤذى المؤمنين (وكان) أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول ان فى جهنم لجبلا من نار يصعده الكافر فاذا وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت لايسلم من صعود هذا الجبل إلا من فك رقبة أو أطعم فى يوم ذى مسغبة وذلك قوله تعالى « فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة » (وكان) ابن عباس يقول : العقبة هنا جبل فى جهنم وله سبعون درجة شديدة الصعوبة لا يجوزها إلا من عمل بطاعة الله عز وجل وهى دون جسر جهنم ومتصلة بالصراط (وكان) ابن زيد وجماعة يقولون فى قوله تعالى « فلا اقتحم العقبة » ان معنى الكلام الاستفهام تقديره أفلا اقتحم العقبة بانفاق ماله فى فك الرقاب واطعام السغبان يعنى الجوعان فيجاوز به العقبة المذكورة ويكون ذلك خيرا له من انفاقه فى غير طاعة الله عز وجل (وكان) الحسن رضى الله عنه يقول هى والله عقبة شديدة لا يجاوزها إلا من جاهد نفسه وهواه فى هذه الدار ولم يطع الشيطان فى شىء من المعاصى وأنشدوا فى معنى ذلك :

انى بليت بأربع ما سلطوا ❊ إلا لعظم بليتى وشقائى
ابليس والدنيا ونفسى والهوى ❊ كيف الخلاص وكلهم أعدائى

وكان الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه يقدم اطعام الجوعان على فك الرقبة ويقول : لأن أجمع أناسا من أصحابى على صاع من طعام أحب إلى من أن أشترى نسمة وأعتقها اهـ فنسأل الله من فضله أن يعتقنا واخواننا من النار انه هو الكريم الغفار آمين والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء فى قوله تعالى « وقودها الناس والحجارة » ﴾

أى حطبها الناس والحجارة الكبريت وذلك لتلصق النار بأجسامهم فلا يقدر أهلها على التخلص من نارها ولا من التألم بها (وفى الحديث) أن رسول الله ﷺ قال « يأتى أقوام من أمتى يقرءون القرآن ويقولون من أقرأ منا من أعلم منا أولئك هم وقود النار » (وكان) عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول إنما كان وقود النار حجارة الكبريت لأنها تزيد على جميع الأحجار بخمسة أنواع من العذاب سرعة الاتقاد ونتن الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان وقوة حرها إذا حميت فالناس معذبون بشيئين بالنار وبالحجارة فكأن الناس من شدة احتراقهم حطب يتقد ❊ نسأل الله العفو والعافية لنا ولجميع المسلمين آمين .

﴿ باب تعظيم جسم الكافر فى النار وكبر أعضائه بحسب أنواع كفره وتوزيع العذاب على العصاة من الموحدين بحسب أعمال الأعضاء ﴾

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل جبل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع » وفى رواية للترمذى « ان غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وان ضرسه مثل أحد وان مجلسه فى جهنم كما بين مكة والمدينة » وفى رواية وان فخذه

إلى عذابهم فانى أسمع صراخهم عظيما فيقول الله عز وجل إنى قد أمرته بذلك فعند ذلك أمضى إلى مالك فيفتح لى فأنظر رجالا معلقين فى جذوع من نار والزبانية تضربهم بسياط من نار على ظهورهم وأفخاذهم وحيات وعقارب تسعى تحت أرجلهم فتلدغهم فأبكى رحمة لهم فأرجع فأسجد ثلاث مرات تحت العرش فيقول الله عز وجل ليس لهم خروج إلا برضا والديهم فأقول يا رب وأين والديهم فيقول الله عز وجل فى منازلهم فى الجنة ومنهم جماعة على الأعراف ومنهم جماعة فى جنة المأوى ومنهم جماعة فى غيرها فأقول إلهى وسيدى عرفنى بكل من له والد منهم فى الجنة فيعرفنى الله سبحانه وتعالى بهم فأذهب إليهم وأقول لو رأيتم أولادكم وقد وكلت بهم زبانية تعاقبهم قد أحزن قلبى بكاؤهم وصراخهم فيذكر آباؤهم ماجرى من الأولاد فى دار الدنيا

مثال البيضاء انتهى والبيضاء جبل عظيم معروف. قال أبو هريرة وإنما يعظم جسد الكافر في النار يوم القيامة لتمتلىء النار منهم وليذوقوا العذاب (وكان) عمرو بن ميمون رضي الله عنه يقول: غلظ جلد الكافر سبعون ذراعا وانه ليسمع بين جلده ولحمه وجسده دوى كدوى الوحوش (وروى) الترمذي أن رسول الله ﷺ قال « إن الكافر ليسحب من لسانه الفرسخ والفرسخين تطؤه الناس » (وفي حديث مسلم) أن رسول الله ﷺ قال: منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حجزته ومنهم من تأخذه إلى ترقوته (قال العلماء) وقد صحت الأحاديث بتفاوت أهل النار في العذاب سواء كانوا كفارا أو عصاة الموحدين بدليل حديث كعب الأحبار أنه ينادي يوم القيامة يا مالك مر النار لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرأون القرآن يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم فالنار أعرف بهم وبمقدار استحقاقهم من الوالدة بولدها (وفي الحديث) أن رسول الله ﷺ: قال إذا قضى الله تعالى بين خلقه وزادت حسنات العبد دخل الجنة وان استوت حسناته وسيئاته حبس على الصراط أربعين سنة ثم بعد ذلك يدخل الجنة وإن زادت سيئاته على حسناته دخل النار (وروى) ابن ماجه حديث ان من أمتي من يعظم يعني جسمه في النار حتى يكون أحد زواياها (قال الإمام القرطبي رضي الله تعالى عنه) فقد علمت تفاوت الناس في العذاب في جهنم وان عذاب من كفر فقط ليس كعذاب من كفر وطغى وتمرد وعصى وانه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وأفسد في الأرض كعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين ألا ترى أبا طالب كيف أخبر عنه رسول الله ﷺ انه في ضحضاح من نار لنصرته له وذبه عنه واحسانه اليه والله أعلم.

﴿باب ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي وإذايتهم أهل النار بذلك﴾

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون (وفي الحديث أيضا) أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي أو مصور يصور التماثيل (وروى ابن ماجه) أن رسول الله ﷺ قال: «ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة عالما لم ينفعه الله بعلمه» (وكان) عبد الرحمن بن زيد رضي الله عنه يقول: بلغنا أن أهل النار يتأذون من شدة نتن رائحة فروج الزناة (وكان) رباح رضي الله عنه يقول: بلغنا أن ثلاثة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى: رجال مغلقة عليهم توابيت من نار وهم في أصل الجحيم فيضجون من شدة العذاب حتى تعلو أصواتهم أهل النار فيقول لهم أهل النار ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا فيقولون كنا نتكبر على الناس، ورجال قد شقت بطونهم فيسحبون أمعاءهم في النار فيقول لهم أهل النار ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا فيقولون كنا نقتطع حقوق الناس بأيماننا وأماناتنا، ورجال يسعون بين الجحيم والحميم لا يقرون لحظة فيقول لهم أهل النار ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا فيقولون كنا نسعى بين الناس بالنميمة (وفي حديث آخر) أن رسول الله ﷺ قال: «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الجحيم والحميم يدعون بالويل والثبور فيقول أهل النار بعضهم لبعض ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى قال فرجل مغلق عليه تابوت من جمر ورجل يجر أمعاءه ورجل يسيل فوه دما وقيحا ورجل يأكل لحمه فيقال لصاحب التابوت ما كان عملك فيقول اني مت وفي عنقي أموال الناس لم أجد لها قضاء ويقال للذي يجر امعاءه ما كان عملك فيقول كنت لا أبالي أين أصاب البول مني ولا أغسله ويقال للذي يسيل فوه قيحا ودما ما كان عملك فيقول كنت أنظر إلى الكلمة الخبيثة فأستلذ بحكايتها كما أستلذ بالرفث ويقال للذي يأكل لحمه ما كان عملك فيقول كنت آكل لحوم الناس وأمشي بينهم بالنميمة» رواه الحافظ أبو نعيم (قال العلماء) ولا يكون العذاب على الديون التي مات وفي عنقه أموال الناس إلا إذا كان أخذها بنية عدم وفائها أو أنفقها في المعاصي والله تعالى أعلم

فتقول واحدة من الأمهات دعه يعذب يارسول الله لأنه كان قد أهانني وشتمني وكسر قلبي وقد كان قادرا على المال والدنيا وأنا أبيت جوعانة ويكسو زوجته المليح الغالي وأنا عريانة ثم يقول الآخر دعه يعذب فقد كان يضربني اذا كلمته في مصلحة حاله ويطردني عن بيته وقد كان يفعل وكان يصنع فيبقى في قلوبهم الحقد مما مضى فأقول لهم ان الدنيا قد مضت وقد مضى ما مضى فاسمحوا لهم واصفحوا عنهم كرامة لمجيء اليكم فيقول الله عز وجل يا حبيبي يا محمد لا تشق عليهم فوعزتي وجلالي ما أخرج أولادهم من النار إلا برضا قلوبهم فيقول يارب مرهم أن يمشوا معي إلى جهنم لينظروا عذابهم عسى أن يرحموهم فيأمر الله عز وجل بمشيهم معي فيأتون إلى جهنم فيفتح مالك عليهم أبواب جهنم فاذا نظروا إلى أولادهم وعذابهم يبكون ويقولون تالله ما علمنا

(وفى الحديث أيضا) أن رسول الله ﷺ قال « أشد الناس عذابا يوم القيامة أشدهم عذابا للناس فى الدنيا » أخرجه البخارى فى تاريخه والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب فى شدة عذاب من أمر بمعروف ولم يأته ونهى عن المنكر وأتاه من خطيب وواعظ وغيرها ﴾

روى البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال « يجاء برجل يعنى يوم القيامة فيطرح فى النار فيدور فيها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون أى فلان ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه » وهذه رواية البخارى ولفظ رواية مسلم « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فتجتمع اليه أهل النار فيقولون يافلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه » (وروى) الحافظ أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قال: أتيت ليلة أسرى بى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت فقلت من هؤلاء ياجبريل فقال هؤلاء خطباء الفتنة من أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرأون كتاب الله ولا يعملون (وروى) الحافظ أبو نعيم أيضا أن رسول الله ﷺ قال « ان الله تعالى يعافى الأميين يوم القيامة مالا يعافى العلماء » (وفى الحديث) يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أصحاب النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم قالوا إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله (وذكر) ابن الجوزى رحمه الله تعالى: أن أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل جمع مالا ومنع حق الله منه فلما مات أخذه وارثه فعمل به خيرا فيؤمر بصاحب المال إلى النار وبالوارث إلى الجنة (وكان) بعض السلف يقول : أشد الناس حسرة يوم القيامة من أكثر من الأعمال الصالحة فى دار الدنيا ولم يفتشها من الدسائس المحبطة لها فاذا كان يوم القيامة وجدها كلها حابطة فكان حكمه كحكم من فتح مطلبا فى بلاد بعيدة سفر سنة وأكثر فلما رجع فتح الجراب الذى ملأه ذهبا من المطلب فوجده بعرا أو خنفسا (وفى الحديث) أن رسول الله ﷺ قال «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» (وفى الحديث أيضا) أن رسول الله ﷺ قال «إن الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرون أمعاءهم فى نار جهنم فيقال لهم من أنتم فيقولون نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا » انتهى . فاعلموا ذلك أيها الاخوان وتنبهوا لأنفسكم فان الموت يأتى على غير ميعاد والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء فى طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم ﴾

قال الله تعالى « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار » وقال تعالى « سرابيلهم من قطران » وقال تعالى « ان شجرة الزقوم طعام الأثيم » وقال تعالى « لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا جزاء وفاقا » وقال تعالى (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) والآيات فى ذلك كثيرة والغساق هو ما يسيل من صديد أهل النار وقيل هو القيح الغليظ المنتن قاله رزين وغيره (وكان) عبد الله بن عمر يقول لو أن قطرة من الغساق تهرق فى المغرب لأنتنت أهل المشرق وقال كعب الأحبار رضى الله عنه الغساق عين فى جهنم يسيل اليها سم كل ذات سم فيستنقع ويؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن عظامه فيجر لحمه فى كعبيه كما يجر الرجل ثوبه جزاء وفاقا أى وافق ذلك أعمالهم الخبيثة وقال المفسرون فى قوله تعالى « ان شجرة الزقوم طعام الأثيم » هى شجرة فى جهنم أصلها فى الباب السادس وانها تحيى بلهب النار كما تحيى الأشجار فى الدنيا ببرد الماء فلابد لأهل النار من أن ينحدر اليها من كان فوقها فيأكل منها (وكان) أبو عمران الجونى رضى الله عنه يقول بلغنا أن ابن آدم لا ينهش من شجرة الزقوم نهشة الا نهشت منه مثلها. وأما المهل الذى يغلى فى البطون كغلى الحميم فهو الفضة المذابة وقيل هو عكر الزيت المغلى

انهم فى العذاب الشديد فتصيح كل واحدة من الأمهات لبنتها أو لابنها وان كان والدا فيصيح لولده فاذا سمع الأولاد أصوات آبائهم وأمهاتهم يبكون ويقول كل واحد لأمه يا أماه النار أحرقت كبدى والعقوبة أهلكتنى يا أماه كنت لأهون عليك أن أقعد فى الشمس أو حرها ساعة واحدة ولا تشكنى شوكة يا أماه كيف سمعت بعذابى وصبرت عنى أما ترحمين جلدى وعظمى فعند ذلك تبكى الآباء والأمهات فيقولون ياحبيبنا يا محمد اشفع فيهم فيقول الله عز وجل انى لأأخرجهم إلا بشفاعتكم لأنى قد غضبت عليهم لأجلكم فيقولون الهنا وسيدنا تفضل علينا باخراج أولادنا من النار فيقول الله عز وجل للوالدة والوالد رضيتما عن أولادكما فيقولان نعم فيقول الله عز وجل كل من رسم له والده بخروجه فأخرجه وكل من لا يطلبه فدعه يعذب حتى أقضى ما أشاء

كغلى الحميم يعنى الماء الشديد الحرارة فالله تعالى يلطف بنا وبجميع اخواننا فيما قدر علينا فى الدنيا والآخرة آمين والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء فى أهل النار يجوعون ويعطشون وما جاء فى دعائهم واجابتهم ﴾

قال الله تعالى « ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين » (وروى) البيهقى عن محمد بن كعب القرظى رضى الله عنه أنه قال: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى فى أربعة منها فاذا كان فى الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا يقولون « ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل » فيجيبهم الله تعالى « ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير » ثم يقولون « ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون » فيجيبهم الله تعالى « فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون » ثم يقولون « ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل » فيجيبهم الله تعالى « أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال » ثم يقولون « ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل » فيجيبهم الله تعالى « أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير » ثم يقولون « ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون » فيجيبهم الله تعالى « اخسئوا فيها ولا تكلمون » فلا يتكلمون بعدها أبدا. وفى رواية أخرى لابن المبارك عن محمد بن كعب القرظى قال: بلغنى أو ذكر لى أن أهل النار إذا استغاثوا بالخزنة وقالوا « ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب » فسألوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب فترد عليهم الخزنة « أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى » فترد عليهم الخزنة « فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » فاذا أيسوا مما عند الخزنة نادوا مالكا وهو عليهم غضبان وله مجلس فى وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها فقالوا « يا مالك ليقض علينا ربك » قال اسألوا الموت قال فيسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة قال والسنة ثلثمائة وستون يوما والشهر ثلاثون يوما واليوم كألف سنة مما تعدون ثم لحظ اليهم بعد الثمانين فقال « انكم ماكثون » فلما سمعوا منه ما سمعوا وأيسوا مما قبله قال بعضهم لبعض ياهؤلاء انه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر إذا صبروا فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » أى من منج قال فقام إبليس عند ذلك فقال « ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى » يقول ما أنا بمغن عنكم شيئا وما أنتم بمصرخى « إنى كفرت بما أشركتمون من قبل » قال فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم فنودوا « لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم » إلى قوله « فهل إلى خروج من سبيل » قال فيرد عليهم « ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير » قال فهذه واحدة فنادوا الثانية « ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون » قال فيرد عليهم « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » يقول لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم أحد « ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون » قال فهذه ثنتان فنادوا الثالثة « ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل » فرد عليهم « أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال » إلى قوله ـ الجبال ـ قال فهذه الثالثة ثم نادوا الرابعة « ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل » قال « أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير

فأخرجهم وقد صاروا فحما فيجرى عليهم الماء من نهر الحيوان فينبت عليهم اللحم والجلد والشعر ويدخلون الجنة (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالصلاة وبر الوالدين فانه يزيد فى العمر والذى نفسى بيده ان العبد يكون قد بقى من عمره ثلاث سنين فيحسن إلى والده فيجعلها الله عز وجل ثلاثين سنة ويسىء إلى والده فيجعلها الله عز وجل ثلاث سنين أو ثلاثة أيام والاحسان إلى الأهل والأقارب يزيد فى العمر والجفاء عليهم ينقص فى العمر والرزق ويغضب الرب سبحانه وتعالى وان لم يعاقب الله سبحانه وتعالى قاطع الرحم فى الدنيا يؤخر الله عذابه بعد الموت فيسجن روحه فى بئر برهوت على فم جهنم إلى يوم القيامة (وقال) رسوله الله صلى الله عليه وسلم من عق والديه فقد عصى الله ورسوله والعاق لوالديه إذا دفن فى قبره

فذوقوا فما للظالمين من نصير » ثم سكت عنهم ماشاء الله ثم ناداهم « ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون » قال فلما سمعوا صوته قالوا الآن يرحمنا فقالوا عند ذلك « ربنا غلبت علينا شقوتنا » أي الكتاب الذي كتب علينا شقوتنا « وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون » فقال عند ذلك « اخسئوا فيها ولا تكلمون » فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء وأقبل بعضهم على بعض ينفخ بعضهم في وجه بعض وأطبقت عليهم أي طبقا وغلقا لا فتح بعده ودارت النار بأهلها تغلي بهم كما يغلي الماء بقطع اللحم تعلو بهم تارة وتنخفض بهم أخرى فذلك قوله تعالى « هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون » (وروى) عن عمرو بن العاص أنه قال: ان أهل النار يدعون مالكا أن يخفف عنهم العذاب فلا يجيبهم أربعين عاما فيرد عليهم انكم ما كثون فيها ثم على مالك والله دعوتهم حين علم مالك أن ربهم غضبان عليهم، ثم ينادون ربهم « ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون » وذلك بعد أن يسكت عن جوابهم قدر الدنيا مرتين فوالله لا يتكلم القوم بعدها بكلمة وماهو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم تشبه أصواتهم في النار صوت الحمير أولها زفير وآخرها شهيق (وروى) الترمذي أن رسول الله ﷺ قال « يلقى الله تعالى على أهل النار الجوع فيعدل ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فاذا دنا من وجوههم شوى وجوههم فاذا دخل بطونهم قطع ما في بطونهم » الحديث بطوله كما تقدم (وكان) الأعمش رضي الله عنه يقول : نبئت ان بين اجابة مالك لهم حين يدعونه وبين دعائهم ألف عام ثم يقول بعضهم لبعض ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيدعونه فيجيبهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل (قال القرطبي) ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي فهو كالمرفوع بل رفعه قطبة بن عبد العزيز والله أعلم (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى « وهم فيها كالحون » أي من تشويه النار لصورهم فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته ولو أن دلوا من غساق جهنم صب في الدنيا لأنتن أهل الدنيا ولو أن دلوا من المهل الذي ذكره الله في كتابه قرب إلى وجه أحد أهل النار لسقطت فروة رأسه من شدة حرارته (وفي الحديث) ان الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى أجوافهم فيسلت ما في أجوافهم حتى يمرق من أقدامهم وهو قوله تعالى « يصهر به ما في بطونهم والجلود » ثم يعود الحال إلى ما كان (وفي الحديث أيضا) في قوله تعالى « ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه » قال يقرب إلى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره » (وفي الحديث) « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون ذلك طعامه » رواه ابن ماجه (وقال القرطبي) هو حديث حسن صحيح. وفي حديث ابن ماجه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا أيها الناس ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن السفن أجريت فيها لجرت » (وروى) مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه » الحديث * نسأل الله تعالى من فضله أن يميتنا وجميع اخواننا على الايمان آمين والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب لكل مسلم فداء من النار من الكفار ﴾

روى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا جمع الله تعالى الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد

عصره القبر حتى تختلف أضلاعه وأشد الناس عذابا يوم القيامة في جهنم ثلاثة العاق لوالديه والزاني والمشرك بالله (وقال) بعض الصالحين دخلت في الليل بين القبور فرأيت قبرا يخرج منه دخان فنظرت اليه فانشق وخرج منه زباني أسود في يده عمود من حديد يضرب به حمارا في رأسه وذلك الحمار ينهق ثم خرج الحمار بسلسلة من نار فأدخله الزباني في القبر ودخل خلفه وانطبق قبره فتعجبت وبقيت متفكرا فلقيت امرأة فسألتها عن ذلك فقالت هذا كان يزني ويشرب الخمر وكانت أمه مخاصمة له فيقول لها انهقي كما ينهق الحمار فلما مات مسخه الله حمارا في قبره وفي كل ليلة يخرجه الزباني من قبره ويضربه ويقول له انهق يا حمار ثم يجره بسلسلة ويرده في القبر ثم ينطبق عليه نعوذ بالله من النار ومن غضب الجبار ومن عمل أهل النار. فالمؤمن

صلى الله عليه وسلم فى السجود فيسجدون طويلا ثم يقال ارفعوا رءوسكم فقد جعلنا عدتكم فداءكم من النار »(وفى الحديث) أن رسول الله ﷺ قال« ان أمتى أمة مرحومة عذابها بأيديها - أى بما يقع على أيديهم من الشر فى دار الدنيا - فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين فيقال له هذا فداؤك من النار »ولفظ رواية مسلم عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال« اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقال له هذا فكاكك من النار » وفى رواية أخرى له لايموت رجل مسلم الا أدخل الله مكانه فى النار يهوديا أو نصرانيا * ولما كان أيام خلافة عمر بن عبد العزيز استحلف بردة بن أبى موسى عن هذا الحديث هل سمعه من والده فحلف له ثلاثة أيمان أنه سمعه من والده (قال) العلماء رضى الله تعالى عنهم وهذا فى حق قوم مذنبين تفضل الله عليهم برحمته ومغفرته فأعطى كل واحد منهم فكاكه من النار من الكفار. واستدلوا بهذا الحديث فليس هو فى حق من أتى القيامة بلاذنب وقال بعضهم إنه يدفع لكل مسلم يهودى أو نصرانى سواء كان المسلم مذنبا أو غير مذنب والحمد رب العالمين .

﴿ باب فى قوله تعالى «وتقول هل من مزيد» ﴾

روى مسلم عن رسول الله ﷺ قال« لاتزال جهنم يلقى فيها - يعنى الناس - وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك » يعنى قد امتلأت فلا أحتمل زيادة وكذلك لايزال فى الجنة فضل حتى ينشىء الله تعالى لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة. وفى رواية أخرى فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الجبار فيها رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلىء وينزوى بعضها الى بعض فلا يظلم الله تعالى من خلقه أحدا ومعنى يضع الجبار فيها قدمه أو رجله أى ان جماعات يتأخر دخولهم النار لكونهم يدخلونها أفواجا أفواجا كما قال تعالى «كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير» والرجل فى لغة العرب الجماعة وكذلك القدم تقول العرب جاءنا رجل من الناس أو رجل من الجراد أى جماعة منهم والجمع أرجل وتعالى الله عن صفات الاجسام ويؤيده قول الشاعر :

ترى الناس أفواجا الى باب داره * كأنهم رجلا دبى وجراد
فيوم لإلحاق الفقير بذى الغنى * ويوم رقاب بوكرت بحصاد

والدبى هو الجراد قبل أن يطير وكذلك يؤيد هذا التأويل قوله فى الحديث: لاتزال جهنم يلقى فيها أى ان الخزنة تنتظر أولئك المتأخرين فوجا بعد فوج لتلقيهم فى النار اذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم كما روى عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول مافى النار بيت ولاسلسلة ولامقمع ولا تابوت الا وعليه اسم صاحبه فكل واحد من الخزنة ينتظر أصحابه فاذا استوفى كل واحد القاء أصحابه فى النار ولم يبق أحد قالت النار قط قط أى حسبى حسبى قد اكتفيت وحينئذ تنزوى جهنم على من فيها وتنطبق عليهم .

﴿ باب ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة وفى تعيينه وتعيين قبيلته واسمه ﴾

روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « انى لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله عز وجل له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه(١) ثانيا أنها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها فيقول أتسخر بى أو أتضحك بى أو أتستهزىء بى وأنت الملك قال ابن مسعود لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه فهذا أدنى أهل الجنة منزلة »وانما قال أتستهزىء بى وأنت الملك من شدة الفرح الذى حصل له بدخول الجنة نظير ماورد فى صحيح مسلم فى الذى وجد راحلته فى البرية بعد أن كان فقدها وظن الموت من قوله اللهم أنت عبدى وأنا ربك

يحمل نفسه المشقات والأمور الصعاب فزعا من القطيعة والبعد والعذاب كما قال المؤلف:

عسى أرى لطفك ياسيدى
فى ساعة الموقف يوم الحساب
والله لازلت على بابه
ولو ضنى جسمى فيه وذاب
وتجبر المكسور بالملتجى
ويشتفى القلب بحلو العتاب
عساك يارب تزيل الشقا
وتجبر العبد بكشف الحجاب
ويفرح المهجور ياسيدى
ويسمع المسكين رد الجواب

﴿ الباب العاشر فى النهى عن المزامير والمغانى ﴾

قال صلى الله عليه وسلم ينادى يوم القيامة من تحت العرش أين الذين كانوا ينزهون أسماعهم عن اللهو والمزامير والباطل فى الدنيا أسمعهم حمدى وثنائى وأخبرهم أن لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت

(١) هذه الرواية تخالف مافى مسلم .

أخطأ من شدة الفرح والله أعلم . وفى رواية « آخر من يدخل الجنة رجل يمشى على الصراط مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فاذا ماجاوزها التفت اليها فقال تبارك الذى نجانى منك لقد أعطانى الله شيئا ما أعطاه لأحد من الأولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول أى رب أدننى من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله تعالى يا ابن آدم فلعلك ان اعطيتكها تسأل غيرها فيقول لا يارب ويعاهده أن لا يسأل غيرها وربه سبحانه وتعالى يعذره لانه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى فيقول أى رب أدننى من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم فلعلى ان أعطيتك ذلك وأدنيتك منها تسألنى غيرها فيقول لا يارب ويعاهده على ذلك وربه يعذره لانه يرى مالا صبر له عليه ويدنيه منها فاذا أدناه منها ترفع له شجرة أخرى عند باب الجنة هى أحسن من الأولين فيقول مثله قال فيدنيه منها فاذا أدنى منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول أى رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما أغدرك أيرضيك إن أعطيتك الدنيا ومثلها معها فيقول أى رب أتستهزئ بى وأنت رب العالمين وضحك ابن مسعود ثم قال ألا تسألونى مم أضحك فقالوا مم ضحكك فقال هكذا رأيت رسول الله ﷺ ضحك فسألوه مم ضحكك يارسول الله فقال من ضحك رب العالمين فيقول الله عز وجل انى لا أستهزئ بك ولكنى على ما أشاء قدير » (وفى الحديث) عن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال « آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له جهينة فيقول أهل الجنة عند جهينة الخبر اليقين » رواه الخطيب زاد فى رواية فيقول أهل الجنة سلوه هل بقى من الخلائق أحد وقد قيل ان اسم هذا الرجل هناد والله تعالى أعلم .

﴿ باب ماجاء فى خروج جميع من مات على التوحيد من النار وذكر الرجل الذى ينادى ياحنان يامنان وغير ذلك ﴾

روى الامام أحمد وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أناسا من أمتى يدخلون النار بذنوبهم فيكونون فى النار ماشاء الله أن يكونوا ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون لهم مانرى ما كنتم فيه من تصديقكم وايمانكم لأنبيائكم نفعكم فلا يبقى موحد الا أخرجه الله تعالى ثم قرأ رسول الله ﷺ « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » » (وفى الحديث) أن رسول الله ﷺ قال ان عبدا فى جهنم ينادى ألف سنة ياحنان يامنان فيقول الله تعالى لجبريل عليه السلام ائت عبدى قال فينطلق جبريل فيرى أهل النار منكبين على وجوههم فيرجع فيقول يارب لم أر هذا العبد فيقول الله تعالى انه فى مكان كذا وكذا قال فيأتيه فيجيء به فيقول له ياعبدى كيف وجدت مكانك ومقيلك قال فيقول شر مكان وشر مقيل قال فيقول ردوا عبدى قال فيقول يارب ما كنت أرجو أن تردنى الى النار بعد أن أخرجتنى منها فيقول الله تعالى دعوا عبدى يعنى فيدخل الجنة برحمة الله تعالى (وفى الحديث الصحيح) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « انما شفاعتى يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتى » (وفى الحديث) ان أطولهم يعنى أهل النار مكثا فيها من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت الى يوم أفنيت وهو سبعة آلاف سنة انتهى وذلك بعدد النجوم السيارة عند المنجمين العالمين بمقادير سير الكواكب وان لكل واحد ألف سنة وقال بعضهم عمر الدنيا اثنا عشر ألف سنة عدد البروج وقال بعضهم عمر الدنيا ثلثمائة وست وستون ألف سنة بعدد درجات الفلك لكل درجة ألف سنة وقال بعض أهل الكشف عمر الدنيا هو ما يحصل من ضرب الثلثمائة وستين ألفا فى مثلها من السنين لا تزيد يوما واحدا ولا تنقص والله سبحانه وتعالى أعلم ثم ان الله تعالى اذا أراد أن يخرج الموحدين من النار يقذف فى قلوب أهل الأديان أن يقولوا للموحدين قد كنا نحن واياكم جميعا فى الدنيا فآمنتم وكفرنا وصدقتم وكذبنا وأقررتم وجحدنا فما أغنى عنكم ذلك اليوم شيئا فانكم معذبون فى النار كما نحن معذبون فيها ومخلدون كما نخلد فيغضب الله تعالى عند ذلك للموحدين غضبا شديدا لم

بابطال المزامير وان الله عزوجل لا ينظر فى ليلة القدر الى أصحاب المزامير وأما الشبابة فحرام (وروى) عن نافع قال مشيت مع عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسمع زمارة راع فسد أذنيه بأصبعيه وعدل عن الطريق وأسرع فى المشى ثم قال يانافع انقطع حس الزمارة فقلت نعم فأخرج أصبعيه من أذنيه ورجع الى الطريق وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع ماسمع مزمارا أو شبابة أبدا وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية (قال) أهل التفسير المكاء هو الشبابة والتصدية التصفيق والغناء قالوا كانت الجاهلية يغنون ويصفرون فى المسجد بالشبابة اذا كان يوم عيدهم فسبهم الحق سبحانه وتعالى وذم فعلهم وأوعدهم على ذلك العذاب الأليم (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون الزامر والمستمع فمن

يغضب قبله مثله ولا بعده مثله فيخرج أهل التوحيد منها الى عين بين الجنة والصراط يقال لها نهر الحياة فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل فما يلى الظل منها أخضر وما يلى الشمس منها أصفر ثم يدخلون الجنة فيكتب فى جباههم عتقاء الله من النار إلا رجلا واحدا يمكث فيها ألف سنة ثم ينادى بعد ذلك ياحنان يامنان فيبعث الله تعالى له ملكا فيخوض فى النار فى طلبه سبعين عاما لا يجده ثم يرجع فيقول يارب إنك أمرتنى أن أخرج عبدك فلانا من النار وانى طلبته من النار سبعين سنة فلم أجده فيقول الله تعالى له انطلق فهو فى وادى كذا وكذا تحت صخرة فأخرجه فيذهب فيخرجه من تحت تلك الصخرة فيدخله الجنة ثم ان الجهنميين يطلبون من الله عز وجل أن يمحو عنهم ذلك الاسم فيبعث الله تعالى ملكا فيمحوه من جباههم ثم انه يقال لأهل الجنة وكل من دخلها من الجهنميين اطلعوا الى أهل النار فيطلعون اليهم فيرى الرجل منهم أباه أو جاره أو صديقه أو مولاه فيحزن حزنا شديدا على أبيه أو جاره أو صديقه أو سيده ثم يبعث الله تعالى اليهم ملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الأطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منه نفس ويتركهم الرحمن عز وجل وهو على عرشه زمانا وهم يستغيثون فلا يغاثون وأهل الجنة مشغولون بالنعيم المقيم فى أكل وشرب وفواكه وحور وولدان وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتقدم فى الحديث أن أهل النار ينقطع كلامهم بعد قوله تعالى لهم «اخسئوا فيها ولا تكلمون» فما هو إلا الزفير والشهيق أبد الآبدين فذلك قوله تعالى « إنها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة » نسأل الله العفو والعافية (وفى الحديث) «إن جهنم تزفر يوم القيامة حين يجاء بها زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا جثا على ركبتيه» وفى رواية انه إذا جىء بجهنم وكانت الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم تزفر ثانية فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول الحديث « حتى إن إبراهيم الخليل عليه السلام يقول بخلتى لا أسألك إلا نفسى ويقول موسى بمناجاتى لا أسألك إلا نفسى ويقول عيسى بما أكرمتنى لا أسألك إلا نفسى لا أسألك مريم التى ولدتنى وأما محمد صلى الله عليه وسلم فيقول «يارب أسألك أمتى لا أسألك اليوم نفسى فيجيبه الجليل جل وعلا ان أوليائى من أمتك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فوعزتى وجلالى لأقرن عينيك فى أمتك هذا والملائكة واقفون بين يدى الله عز وجل ينتظرون ما يأمرهم به فيقول الله تعالى معاشر الزبانية انطلقوا بمن مات مصرا على الكبائر من أمة محمد الى النار فقد اشتد غضبى عليهم بتهاونهم بأمرى فى دار الدنيا واستخفافهم بحقى وانتهاكهم لحرماتى كانوا يستخفون من الناس اذا عصوا ويبارزونى بالمعاصى ويجعلونى فى أعينهم أهون الناظرين مع كرامتى لهم وتفضيلى لهم على الأمم فلم يعرفوا فضلى عليهم ولا نعمتى فعند ذلك تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء وينطلقون بهم الى النار وما من عبد يساق الى النار من غير هذه الأمة إلا اسود وجهه ووضعت الأنكال فى قدمه والأغلال فى عنقه إلا هذه الأمة فانهم يساقون بألوانهم فاذا وردوا على مالك قال لهم معاشر الأشقياء من أى أمة أنتم فما ورد على أحسن وجوها منكم فيقولون نحن من أمة القرآن فيقول لهم مالك معاشر الأشقياء أوليس القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قال فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء فيذكرهم ذلك القول بنبيهم محمد ﷺ فيقولون وامحمداه وامحمداه اشفع لمن أمر به الى النار من أمتك قال فينادى مالك بتهديد وانتهار يامالك من أمرك بمعاتبة أهل الشقاء ومحادثتهم ومشاقتهم بالكلام والتوقف عن ادخالهم العذاب فيقول انى رأيتهم أحسن الأشقياء وجوها ثم يقال يامالك لا تسود وجوههم فقد كانوا يسجدون لى عليها فى دار الدنيا يامالك لا تغلهم بالأغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة يامالك لا تعذبهم بالأنكال فقد طافوا ببيتى الحرام يامالك لا تلبسهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للاحرام يامالك مر النار

سمع المطربات فى الدنيا لايسمع مطربات الجنة أبدا الا أن يتوب وان صوت داود عليه السلام يعدل تسعمائة مزمار وهو المقرئ يوم مشاهدة الحق فاتركوا هذا الطرب لذلك الطرب قال الله عز وجل «لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد» (وقال) رسول الله ﷺ «اذا كان يوم القيامة واستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح وينادى مناديا أهل الجنة أشرفوا ويا أهل النار أشرفوا فيشرفون كلهم فيقال لهم أتعرفون هذا فيقولون بلى فيقال لهم هذا هو الموت فيذبح بين الجنة والنار وينادى مناد يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فعند ذلك تعظم حسرات أهل النار ويرجعون باكين ويشتد فرح أهل الجنة ويرجعون الى قصورهم فيبعث الله

لا تحرق ألسنتهم فقد كانوا يقرءون القرآن يامالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم فالنار أعرف بهم وبمقادير مايستحقون من الوالدة بولدها فمنهم من تأخذه النار الى كعبيه ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار الى صدره فاذا انتقم الله تعالى منهم على قدر كبائرهم وصغائرهم وعتوهم وإصرارهم. فتح بينهم وبين المشركين باب فرأوهم فى الطبق الأعلى من النار «لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً» وهم يبكون ويقولون يامحمد ارحم الأشقياء من أمتك واشفع لهم الى ربك فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم فاذا أبطأ عليهم محمد ﷺ مدة عدم بلوغه خبرهم نادوا ربهم عز وجل وقالوا يا ربنا ارحمنا فإننا لم نشرك بك أحدا فى دار الدنيا وإنما أسأنا وأخطأنا وتعدينا حدودك فعندها تقول المشركون لهم ماترى إيمانكم بربكم وبمحمد أغنى عنكم شيئا فيغضب الله عز وجل من هذا القول ويقول ياجبريل انطلق فأخرج من فى النار من أمة محمد ﷺ فيخرجهم ضبائر ضبائر يعنى جماعات بعد جماعات وقد امتحشوا من النار فيلقيهم فى نهر على باب الجنة يقال له نهر الحيوان فيمكثون فيه حتى يعودوا أنضر ماكانوا يعنى أحسن صورة وجمالا ثم يأمر الله بادخالهم الجنة مكتوب على جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن من أمة محمد ﷺ فيعرفون من بين أهل الجنة بذلك فيتضرعون الى ربهم أن يمحو عنهم تلك الكتابة فيمحوها الله تعالى عنهم فلا يعرفون بها بعد ذلك بين أهل الجنة الحديث (وروى) الحافظ أبو نعيم رضى الله تعالى عنه عن أبى عمران الجونى رضى الله تعالى عنه قال «بلغنا أنه اذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس شره فى الدنيا فيوثقون بالحديد ثم يؤمر بهم الى النار ثم يطبقها عليهم فلا والله لا يستقر لأقدامهم قرار أبدا ولا والله ماينظرون الى أديم السماء أبدا بل هم مكبوبون على وجوههم فى النار ولا والله لا تكتحل جفونهم بغمض نوم أبدا ولا والله لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً أبدا ثم بعد زمان يقال لأهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب ولا تخافوا شيطانا ولا جباراً وكلوا اليوم «واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية» قال أبو عمران الجونى رضى الله عنه الأيام الخالية هى والله أيامكم هذه فعليكم بالجوع والعطش وترك الشهوات لتجازوا فى الآخرة بأرفع الدرجات انتهى وسيأتى ان أهل النار خالدون مخلدون فى النار لا يدخلون الجنة أبدا وانما يخرج منها بالشفاعة عصاة الموحدين فقط وانعقد اجماع أهل السنة والجماعة على ذلك ومرادنا بأهل النار المجرمون لا غير وهم أربع طوائف المشركون والمتكبرون والمنافقون والمعطلون كإبليس وفرعون وهامان وقارون وكل من كفر وتكبر وطغى من سائر الخلق من الجن والإنس قال تعالى «فان له» أى للكافر «جهنم لا يموت فيها ولا يحيا» وقال تعالى «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب» وأجمع أهل السنة أيضا أنه لا يخلد فى النار موحد (قال الإمام القرطبى رحمه الله تعالى) وقد خالف فى ذلك بعض من ينتمى الى العلم وخرق الاجماع فقال انه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة من باب الامتنان لا من باب الأعمال كما أشار اليه حديث الشيخين وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال «والله لله أرحم بعبده من الوالدة لولدها أفترونها تلقى ولدها فى النار لا ترحمه أبدا» الحديث قال وهذا مخالف لظاهر النصوص القطعية انتهى قال ومما استدل به هذا البعض أن ذلك جائز فى العقل وأن صفة الغضب تنقطع ويعقبها الرحمة كما قال تعالى «إن رحمتى غلبت غضبى» ولو أن الغضب كان دائما لا ينقطع لكانت الغلبة له على الرحمة وهو خلاف النصوص (قال الإمام القرطبى) فيقال لهذا البعض وكذلك القول فى اخراج أهل الجنة منها الى النار فانه جائز فى العقل فيلزم عليه أن يدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها أبدا الآبدين وهو فاسد مردود بوعده الحق وقوله الصدق فى حق أهل الجنان انهم خالدون مخلدون فيها «عطاء غير مجذوذ» أى مقطوع وقال تعالى «وماهم منها بمخرجين» وقال «لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً» والله تعالى أعلم.

سبحانه وتعالى لهم مغانى من الحور العين فيجلسون فى رياض الجنة فى ايوان من درة بيضاء طوله مائة عام وعرضه خمسون عاما والنساء كلهن عند فاطمة الزهراء رضى الله عنها والرجال عند النبى صلى الله عليه وسلم فى ايوان آخر وتنصب لهم المراتب والمساند ثم تتقدم الحور العين تغنى لهم بتحميد الحق بأصوات لم يسمع السامعون أحسن منها وفى ذلك الميدان أشجار تحمل المزامير فى كل غصن من أغصان الشجرة تسعون مزمارا فتنصب الملائكة تلك الأشجار أمام الحور ويقول الله سبحانه وتعالى للحور أسمعن عبادى الذين نزهوا أسماعهم عن المطربات فى الدنيا لأجلى وتلذذوا فى الدنيا بسماع كلامى وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاليوم لهم الفرح والكرامات عندى فتغنى لهم الحور العين بتسبيح الحق

﴿ باب ما جاء فى الاستهزاء بأهل النار ﴾

روى ابن المبارك وغيره فى قوله تعالى « الله يستهزئ بهم » قال يقال لأهل النار وهم فى النار اخرجوا فتفتح لهم أبواب النار فاذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك كما قال تعالى « فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون » فاذا انتهى أهل النار إلى أبواب النار غلقت دونهم فذلك قوله تعالى : « الله يستهزئ بهم » ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت الأبواب دونهم . وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول ان بين الجنة والنار كوى فاذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له فى الدنيا اطلع فى بعض الكوى كما قال الله تعالى فى آية أخرى « فاطلع فرآه فى سواء الجحيم » قال ولقد بلغنا أن المؤمن إذا اطلع فى النار يرى جماجم القوم تغلى فيشكر الله تعالى على ما زوى عنه من العذاب قال ولولا أن الله تعالى عرف العبد أباه فى النار ما عرفه لما هو عليه من تغير المحاسن التى كان عليها فى دار الدنيا (وفى الحديث) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان المستهزئين بعباد الله فى الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة فيقال لهم ادخلوا الجنة فاذا جاءوا أغلق الباب ثم يفتح لهم ثالثا (١) فيدعون فلا يجيبون فيقول لهم الرب جل وعلا أنتم المستهزءون بعبادى أنتم آخر الناس حسابا فيقومون فى الحر حتى يغرقوا فى العرق فينادون يا ربنا اصرفنا من هذا الموقف ولو إلى النار وهم يعلمون ما فى النار ولكنهم رأوا دخول النار فى ذلك الموقف أهون عليهم مما هم فيه (وفى الحديث) أيضا يؤمر يوم القيامة بأناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك لكان أهون علينا فيقول تعالى لهم ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين خاشعين تراءون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم وهبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب ذكره الغزالى رحمه الله فى كتاب الإحياء (قلت) وظاهر هذا التوبيخ إنما هو فى حق العصاة من الموحدين لقوله فيه كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم إذ الكافر لا يتوقف فى معصيته على الخلوة بربه بل هو متظاهر بكفره فنسأل الله تعالى أن يعفو عنا ويصفح اكراما لنبينا محمد ﷺ من حيث كوننا من أمته والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء فى ميراث أهل الجنة منازل أهل النار ﴾

(جاء) فى الحديث عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « ان الله تعالى جعل لكل انسان مسكنا فى الجنة ومسكنا فى النار فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ويجعل الكفار فى منازلهم فى النار » أخرجه ابن ماجه باسناد صحيح وفى رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال « ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى « أولئك هم الوارثون » انتهى والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء فى خلود أهل الدارين وذبح الموت على الصراط ومن يذبحه ﴾

روى البخارى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم » (وروى) مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون

---

(١) هكذا بالنسخ التى بأيدينا فلعل هنا سقطا . أوثانيا تحرفت إلى ثالثا .

وتحميده وتمجيده وتوحيده وتهب ريح من تحت العرش على تلك المزامير فيطرب القوم طربا عظيما فرحا بالوصال ويهيمون فتقدم إليهم الملائكة كراسى من ذهب عليهم مراتب منسوجة بالذهب وهى من السندس الأخضر بطائنها من استبرق فيجلسون على تلك الكراسى وتقول الملائكة الحق يقول لكم لا تزعجوا أعضاءكم بالرقص فقد كفى ما تعبتم فى الدنيا بالصلاة والعبادة اجلسوا على هذه الكراسى وهى تمايل بكم على مقدار طرفة عين ففيها روح وأجنحة فيطلعون على تلك الكراسى وتدور بهم على مقدار طرفة عين ان خففوا مغانى الجنة خفت وان ثقلوا ثقلت فيغيبون عن وجودهم من الطرب فيعطيهم الحق سبحانه وتعالى على مقدار درجاتهم عنده ويخلع عليهم خلعا مصقولة مطوسة بنور الرحمن

فيقولون نعم هذا الموت ثم يقال ياأهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح ثم يقال ياأهل الجنة خلود فلاموت فيها وياأهل النار خلود فلاموت فيها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم «وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون» وأشار بيده صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا . وروى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم به ثم يقال ياأهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين رجاء أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ثم يقال هل تعرفون هذا قالوا نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين كلاهما خلود فيما تجدون لاموت زاد فى رواية فلو أن أحدا مات فرحا لمات أهل الجنة ولو أن أحدا مات حزنا لمات أهل النار . وذكر الامام أبو القاسم بن قيس فى كتاب خلع النعلين والشيخ محيى الدين فى الفتوحات ان الذى يتولى ذبح الموت هو السيد يحيى عليه الصلاة والسلام وقال غيرهما يتولى ذبحه جبريل عليه السلام وعبارة ابن قيس رحمه الله اعلم أن الذى يتولى ذبح الكبش المذكور هو يحيى بن زكريا يذبحه بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم بأمره الاكرم (قال الامام القرطبى) رحمه الله فهذه الأحاديث مع صحتها نص فى خلود أهل الدارين فيهما لا إلى غاية ولا أمد مقيمين على الدوام من غير موت لكن أهل النار لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كما قال الله تعالى وقال أيضا «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب» وقال تعالى «فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها» فمن قال ان أهل النار يخرجون منها وانها تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها وانها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى المنقول ومخالف لما جاء به الرسول ولما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول «ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا» وانما تخلى الطبقة العليا من جهنم التى فيها عصاة الموحدين لاغير حين يخرجون منها بالشفاعة وهى التى ينبت على شفيرها الجرجير فيما يقال فقد بلغنا أن شخصا قدم على أنس بن مالك من الشام فسأله عن أكل الجرجير وقال انه يتحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنم فقال له أنس لا بأس بأكله انتهى رواه الحافظ أبو بكر الخطيب . وروى البزار عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال يأتى على النار زمان تخفق الرياح أبوابها ليس فيها أحد يعنى من الموحدين (قال الامام القرطبى) هكذا رويناه موقوفا وليس فيه ذكر النبى صلى الله عليه وسلم انتهى وعبارة الشيخ محيى الدين بن العربى فى الفتوحات المكية اعلموا أن أهل النار إذا دخلوا فيها أغلقت عليهم أبوابها غلقا لا فتح بعده أبد الآبدين ودهر الداهرين وكل ما جاء مما يفهم منه خروج أهل النار منها فالمراد به الطبقة العليا من جهنم التى كان فيها عصاة الموحدين وخرجوا بالشفاعة فإياكم والغلط انتهى فاعلموا ذلك أيها الاخوان واستعيذوا بالله من سوء الخاتمة والحمد لله رب العالمين .

﴿ أبواب الجنة وما جاء فيها وفى صفتها وصفة نعيمها ﴾

(اعلم) أن الله تعالى قد وصف الجنة فى القرآن وأكثر ذلك فى سورة الواقعة والرحمن وفى سورة هل أتاك حديث الغاشية وسورة الانسان وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحاديث ستة بأوضح بيان وفى الحديث أن رسول الله ﷺ لما أنزلت عليه سورة «هل أتى على الانسان حين من الدهر» كان عنده رجل أسود فكان يسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن مسائل فقال له عمر بن الخطاب حسبك لا تثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعه يا ابن الخطاب فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة الجنان زفر ذلك الرجل الأسود زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرج نفس صاحبكم أو قال أخيكم الشوق إلى الجنة انتهى فتأملوا أيها الاخوان فيما وصف الله تعالى لكم فى كتابه من نعيم

طرازها بالذهب مكتوب فى وسط الطراز «بسم الله الرحمن الرحيم» هذه الخلعة نسجت برسم فلانة بنت فلانة أو فلان ابن فلان فاذا وقعت الخلع عليهم هللوا وكبروا فيسلم عليهم الحق رجلا رجلا وامرأة امرأة ويقول لهم مرحبا بعبادى وأهل طاعتى رضيت عنكم فهل رضيتم عنى فيقولون يا ربنا لك الحمد والشكر كيف لا نرضى وقد أكرمتنا غاية الكرامة فيقول الله عز وجل اجتنبتم ما حرمت عليكم وفعلتم ما أمرتكم به وصمتم لأجلى وصليتم لأجلى وبكيتم خوفا من قطيعتى ولم تخالفونى فوعزتى وجلالى أرى أنى لو أعطيتكم مهما أعطيتكم ما وفيتكم يا أحبابى وأهل طاعتى ومودتى ارجعوا إلى قصوركم فيفتحونها فيجد كل واحد دارا لها سبعون ألف باب على كل باب سبعون ألف شجرة فى كل شجرة سبعون ألف غصن فى كل غصن سبعون ألف

الجنان وأكثروا من الأعمال الصالحة فان لكل مأمور شرعى درجة فى نعيم الجنة لاينال ذلك النعيم إلا بفعل ذلك الأمر والله يتولى هداكم وهو يتولى الصالحين .

﴿ باب علامة أهل الجنة فى دار الدنيا ﴾

كان عبد الله بن زيد رضى الله عنه يقول وصف الله تعالى أهل الجنة فى الدنيا بالخوف والحزن والبكاء والشفقة فأعقبهم ذلك دخول الجنة ومافيها من النعيم والفرح والسرور ثم يقرأ قوله تعالى « إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم » ووصف أهل النار بالسرور فى الدنيا والضحك فيها والتفكه بقوله تعالى « إنه كان فى أهله مسروراً » الآية وذكر تعالى أن بعض الجنان يفضل على بعض بقوله تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » ثم قال « ومن دونهما جنتان » فالله يرزقنا الموت على الإيمان لندخل بفضله شيئا من هذه الجنان والله على كل شىء قدير .

﴿ باب صفة الجنة وبيان ما أعد الله لأهلها من النعيم ﴾

روى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما اطلعتم عليه ـ أى غير ما اطلعتم عليه ـ ثم يقرأ ﷺ : فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وروى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم لأصحابه « ألا مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر يطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة فى مقام أبد فى حبرة ونضرة فى دار عالية سليمة بهية قالوا نحن المشمرون لها يارسول الله قال قولوا ان شاء الله » الحديث.

وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قلت فما بناء الجنة فقال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من دخلها ينعم لا ييأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم الحديث . ورواه أبو داود الطيالسى أيضا والله تعالى أعلم .

﴿ باب ماجاء فى أنهار الجنة وجبالها ومافى الدنيا منها ﴾

قال الله تعالى « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات » . وروى « أنها تجرى فى غير أخدود منضبطة بيد القدرة » وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال أنهار الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال المسك . وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال أربعة جبال من جبال الجنة وأربعة أنهار من أنهار الجنة وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة قيل يارسول الله فما الأجبل . قال جبل أحد يحبنا ونحبه والطور جبل من جبال الجنة ولبنان جبل من جبال الجنة والجبل الرابع ساقط من هذه الرواية فى جميع النسخ التى وجدتها وأما الأنهار فالنيل والفرات وسيحان وجيحان وأما الملاحم فبدر وأحد والخندق وخيبر . (قلت) ولعل الجبل الرابع هو المسمى بخصيب يدل على ذلك ماروى أن رسول الله ﷺ غزا غزوة بالابواء فلما كان بالروحاء نزل بعرق الظبية فصلى بهم ثم قال هل تدرون ما اسم هذا الجبل قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا خصيب جبل من جبال الجنة اللهم بارك فيه وبارك لأهله . وقال فى الروحاء هذه سبخاء مسبخ وادمن أودية الجنة لقد صلى فى هذا المسجد قبلى سبعون نبيا ولقد مر موسى عليه الصلاة والسلام بالروحاء هذه وعليه عباءتان قطوانيتان على ناقة ورداء فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل حتى جاء البيت العتيق الحديث. وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال « ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد » وفى الحديث أيضا أن رسول الله ﷺ قال » سيحان وجيحان

نوع من الثمر كل ثمرة لها لون لا يشبه الآخر وساق كل شجرة من ذهب وأوراقها حلل كل ثمرة قدر الراوية وبين كل صفين من الشجر سبعون سريرا من ذهب طول كل سرير ثلثمائة ذراع فاذا أرادوا أن يطلعوا فوقه تقاصر حتى يبقى قدر ذراع فاذا استووا فوقه طال حتى يبقى شاهقا فى الهواء فان خطر لهم أن يمشى بهم مشى بهم فى أرض الجنة وان أرادوا أن يطير بهم طار بين الأشجار فيقطفون ما زادمن فوق رءوسهم وعلى كل سرير سبعون ألف فراش ومخدة ومساند من السندس والاستبرق وحول كل سرير سبعون خادما فى يد كل خادم قدح من ذهب مكلل بسبعين ألف لؤلؤة فى كل قدح لون من الشراب ولكل ولى سبعون جارية من الحور العين سرارى على كل حورية سبعون حلة

والنيل والفرات كل من أنهار الجنة» (وكان) كعب الأحبار رضى الله عنه يقول نهر دجلة نهر ماء الجنة ونهر الفرات نهر لبنها ونهر مصر نهر خمرها ونهر سيحون نهر عسلها وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر . وفى حديث الاسراء أن رسول الله ﷺ مر بنهرين يطردان فقال ماهذا ياجبريل فقال النيل والفرات الحديث والله تعالى أعلم .

﴿ باب ماجاء فى رفع هذه الأنهار ورفع القرآن والعلم عند خروج يأجوج ومأجوج ﴾

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ « ان الله عزوجل أنزل إلى الأرض خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فى أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل عليه السلام فاستودعها الجبال وأجراها فى الأرض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم وذلك قوله تعالى «وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض» فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل ليرفع من الأرض القرآن والعلم وجميع الأنهار الخمسة يرفع ذلك إلى السماء وذلك قوله تعالى « وإنا على ذهاب به لقادرون» فاذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خيرى الدين والدنيا انتهى (قال الإمام القرطبى) رحمه الله تعالى وفى رفع القرآن عند خروج يأجوج ومأجوج نظر كما سيأتى بيانه آخر الكتاب إن شاء الله تعالى . وروى المسعودى أن الفرات مد يعنى زاد على عهد عبد الله بن مسعود فكره الناس مده فقال ابن مسعود لاتكرهوا مده فانه سيأتى زمان يلتمس الناس منه طشتا مملوءا من ماء فلا يجدونه وذلك حين يرجع كل ماء الى عنصره فيكون بقية الماء والعيون بالشام والله تعالى أعلم .

﴿ باب من أين تفجر أنهار الجنة وأن الخمر شراب أهل الجنة وبيان أن من شربه فى الدنيا لم يشربه فى الآخرة وفى بيان لباس أهل الجنة وآنيتهم ﴾

روى البخارى وغيره أن رسول الله ﷺ قال «من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها قالوا يارسول الله أفلا نبشر الناس قال ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة » قال العلماء ومعنى أوسط الجنة أى أن الفردوس فى وسط الجنان فى العرض ومعنى أعلى الجنة أى فى الارتفاع . وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأرفعها وأفضلها وقال غيره : ان الفردوس اسم لجميع الجنان كما أن جهنم اسم لجميع دركات النار وروى النسائى أن رسول الله ﷺ قال « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة ومن شرب الخمر فى الدنيا لم يشرب به فى الآخرة ومن أكل فى آنية الذهب فى الدنيا لم يأكل منها فى الآخرة » ثم قال رسول الله ﷺ «لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة» قال العلماء وانما يحرم من لبس الحرير وشرب الخمر وأكل فى آنية الذهب والفضة التنعم بذلك فى الجنة اذا لم يتب منها قبل موته لقوله ﷺ «من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها فى الآخرة » رواه مالك وكذلك القول فى لابس الحرير والآكل فى آنية الذهب والفضة أو الشارب فيهما على أنه ورد باسناد صحيح «من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة وان دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو» (قال الإمام القرطبى) وهذا نص صريح فى غاية البيان ان لم يكن ذلك من قول الراوى بل ولو كان من قول الراوى لأنه أعلم بمراد الشارع ومثله لايقال من قبل الرأى والله سبحانه وتعالى أعلم .

يكاد نور تلك الحلل يخطف الأبصار وسبعون ألف نوع من الحلى مكلل بالدر واللؤلؤ يتمتع ولى الله بمن أراد منهن قال الله سبحانه وتعالى «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا» وقال رسول صلى الله عليه وسلم : اذا كان وقت الصبح يأتى ملك يدق باب القصر فيقول الخادم من هذا فيقول ملك من عند الله عز وجل قد جئت لسيدكم أو لسيدتكم بهدية صلاة الصبح فى الدنيا فيفتح الباب ويدخل الملك عليهم ويقول لهم السلام يقرئكم السلام ويقول لكم انكم كنتم فى دار الدنيا ترفعون الى صلاتكم فأقبلها منكم ولا أرى لكم جزاء وهذه الهدية قد أرسلها الله عزوجل اليكم جزاء صلاة الصبح ثم يحط ذلك الملك سفرة من الذهب وعليها سبعون زبدية عشرة من الذهب وعشرة من الفضة وعشرة من الياقوت وعشرة من الزمرد

﴿ باب ماجاء فى أشجار الجنة وثمارها وما يشبه ثمر الجنة فى الدنيا ﴾

روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا ان شئتم « فلاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » قال وفى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعها واقرأوا ان شئتم « وظل ممدود » وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا ومافيها واقرأوا إن شئتم « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور » وفى رواية أخرى ان فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين سنة أوقال مائة وهى شجرة الخلد. وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول والذى أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد ﷺ ان فى الجنة شجرة لوأن رجلا ركب حقة أوجذعة ثم دار فى أصلها مايبلغها حتى يسقط هرما ان الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء صور الجنة ومافى الجنة نهر الاو يخرج من أصل تلك الشجرة. وفى رواية للترمذى أن رسول الله ﷺ قال وذكر له شجرة المنتهى ان الراكب يسير فى ظلها ألفين منه مائة فيها فراش الذهب كأنما ثمارها القلال وفى رواية أن رسول الله ﷺ قال لما رفعت الى شجرة المنتهى فى السماء السابعة رأيت نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ياجبريل ماهذا فقال أما الباطنان ففى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وفى الحديث ان سدرة المنتهى صبر الجنة يعنى أعلاها وصبر كل شىء أعلاه وفى الحديث ان نبق سدرة المنتهى ينفتق كل نبقة منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام مافيها لون يشبه الآخر وفى رواية أخرى أن أعرابيا قال يارسول الله هل فى الجنة فاكهة قال نعم شجرة تدعى طوبى فقال يارسول الله أى شجر أرضنا يشبه قال لا يشبه شيئا من شجر أرضك ولكن هل أتيت الشام فان هناك شجرة تدعى الجوزة تنبت على ساق وتفترش أعلاها أى تشبهها قال يارسول الله فما اعظم أصلها قال لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك ماأحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما قال فهل فيها عنب قال نعم قال فما اعظم العنقود منها قال مسيرة الغراب الابقع شهرا ولا يفتر قال فما قدر الحبة منها فقال كالدلو العظيم فقال يارسول الله ان هذه الحبة لتشبعنى وأهل بيتى قال نعم وعامة عشيرتك وكان أبو عبيدة رضى الله عنه يقول نخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وان ماءها يجرى فى غير أخدود وكل عنقود منها اثنا عشر ذراعا. وكان أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه يقول طوبى شجرة فى الجنة ليس فيها دار الا وفيها غصن منها ولا طير حسن الا وهو فيها ولا ثمرة الا وهى فيها. وكان الامام مالك بن أنس رضى الله عنه يقول: ليس فى الدنيا شىء يشبه ثمار الجنة الا الموز لان الله تعالى يقول أكلها دائم وأنت تجد الموز فى الصيف والشتاء وعن أبى ذر أنه أهدى للنبى ﷺ طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة قلت هذه لأن فاكهة الجنة لاعجم لها فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس. وروى عن عاصم بن ضمرة عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ تفكهوا بالبطيخ وعظموه فان ماءه من الجنة وحلاوته من حلاوة الجنة ومامن عبد أكل منها لقمة الا أدخل الله جوفه سبعين دواء وأخرج عنه سبعين داء وكتب الله له بكل لقمة عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ثم تلا رسول الله ﷺ « وأنبتنا عليه شجرة من يقطين » ثم قال ان الدباء والبطيخ من الجنة رواه الامام القرطبى بسنده المتصل الى النبى ﷺ.

﴿ باب ماجاء أن شجر الجنة وأنهارها تنفتق عن ثياب أهل الجنة وخيلها ونجبها ﴾

روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ان فى الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى لها انفتقى لعبدى عما

وعشرة من الدر وعشرة من المرجان وعشرة من العقيق فى كل زبدية لون من الطعام لا يشبه الآخر وعليها خبز أبيض من الثلج بقدرة من يقول للشىء كن فيكون مجللة بمناديل من السندس الاخضر ويدخل ملك آخر ومعه طبق آخر من الذهب فيه فواكه من عند الحق جلا وعلا وتيجان وعقود وأساور وخلاخيل وخواتم فيعطى لكل انسان عشرة خواتم من ذهب مكتوب على فصوصها بالنور الأخضر على الفص الذى فى خاتم الابهام ياعبادى أنا عنكم راض وعلى فص السبابة أنتم لى وأنا لكم وعلى الفص الثالث لا براح لكم من جوارى وعلى الفص الرابع تلذذوا بقربى فى دار قرارى وعلى الفص الخامس زرعتم فى الدنيا وحصدتم فى الآخرة وعلى الفص السادس طالما سجدتم لى والناس غافلون

شاء فتنفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما شاء وتنفتق عن الراحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما شاء وعن النجائب والثياب. وروى النسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى النبى ﷺ فقال يارسول الله أخبرنا عن ثياب الجنة أخلقا تخلق أم نسجا تنسج فضحك بعض القوم فقال مم تضحكون ان جاهلا يسأل عالما فجلس يسيرا أو قال قليلا فقال رسول الله ﷺ أين السائل عن ثياب الجنة قال هاهو ذا يارسول الله قال لاتنسج وانما تشقق عنها ثمار الجنة قالها ثلاثا والله أعلم.

﴿ باب ماجاء فى نخيل الجنة وثمرها وزرعها وأنه ليس فى الجنة شجرة الا وساقها من ذهب ﴾

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وفروعها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم وفى الحديث قال رجل يارسول الله هل فى الجنة من نخل فانى أحب النخل قال إى والذى نفسى بيده لها جذوع من ذهب وكرانيف من ذهب وجريد من ذهب وسعف كأحسن حلل يراها أحد من العالمين وعراجين من ذهب وشماريخ من ذهب وأقماع من ذهب وثمار كالقلال أشد لينا من الزبد وأحلى من العسل. وفى الحديث عن جرير بن عبد الله البجلى عن رسول الله ﷺ أنه أخذ عودا بيده وقال ياجرير لو طلبت فى الجنة مثل هذا العود لم تجده قال فقلت فأين النخل والشجر فقال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر. وروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال ما فى الجنة شجرة الا وساقها من ذهب. وروى البخارى أن رسول الله ﷺ كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع فقال له ربه ألست فيما شئت يعنى من النعيم قال بلى ولكنى أحب أن أزرع قال فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال فيقول الله تعالى دونك يا ابن آدم فانه لايشبعك شىء فقال الاعرابى يارسول الله لا تجد هذا الا قرشيا أو أنصاريا فانهم أصحاب زرع فأما نحن فلسنا بأصحاب رزع فضحك رسول الله ﷺ والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿ باب ماجاء فى أبواب الجنة وكم هى ولمن هى وفى تسميتها وسعتها ﴾

قال الله تبارك وتعالى «حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها» قال جماعة من أهل العلم هذه واو الثمانية فللجنة ثمانية أبواب واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم «مامنكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» رواه الامام مسلم وجاء فى حديث الموطأ والبخارى ومسلم تعيين هذه الأبواب لبعض العمال وهو قوله ﷺ «من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى فى الجنة ياعبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان فقال أبو بكر يارسول الله ما على أحد يدعى من هذه الأبواب كلها من ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب قال نعم وأرجو أن تكون منهم» وزاد مسلم فى رواية على هذه الأبواب باب التوبة وباب الكاظمين الغيظ وباب الراضين والباب الأيمن الذى يدخل منه من لا حساب عليه. وزاد أبو عبد الله الحكيم الترمذى أيضا باب محمد صلى الله عليه وسلم وهو باب الرحمة وقال بعضهم انه باب التوبة فان الله تعالى جعله مفتوحا منذ خلقه لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت من مغربها أغلق فلم يفتح إلى يوم القيامة وسائر الأبواب مقسومة على أبواب البر من صلاة وصوم وزكاة وصدقة وحج وجهاد وصلة رحم وعمرة وعلى هذا تعد أبواب الجنة أحد عشر بابا كما ترى (وروى) الحافظ أبو بكر الآجرى رحمه الله تعالى عن رسول الله ﷺ «ان فى الجنة بابا يقال له باب الضحى فاذا كان يوم القيامة ينادى مناد

وعلى الفص السابع اليوم أبحت لكم مشاهدتى وعلى الفص الثامن لمثل هذا فليعمل العاملون وعلى الفص التاسع سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وعلى الفص العاشر سلام قولا من رب رحيم فيلبس جبريل عليه السلام كل رجل وامرأة منهم عشرة خواتم وثلاثة أساور واحدة من ذهب وواحدة من فضة وواحدة من لؤلؤ مكتوب بالنور الأخضر على كل سوار لا إله إلا الله محمد رسول الله أنا الله ارفعوا الى حوائجكم بلا حاجب ولا وزير ياعبادى طبتم فادخلوها خالدين ثم يضع على رءوسهم تيجان الكرامة وليس لحلى الجنة ثقل مثل حلى الدنيا فحلى الدنيا يشخشخ وحلى الجنة تسبح الله سبحانه وتعالى بصوت خفى وحنين يطرب السامعين ثم يقول الله تعالى مرحبا بعبادى وأهل طاعتى ياملائكتى أطربوهم فتمشى

أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوا الجنة وفى رواية للترمذى : ان للجنة بابا لا يختص بأحد بل هو لسائر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ممن لم يغلب عليهم عمل يعرفون به ولهذا ورد أن الناس يزدحمون فيه حتى تكاد منا كبهم تزول من الزحام (وأما سعة أبواب الجنة) فقد ورد عن عتبة بن غزوان الصحابى رضى الله عنه أنه كان يقول فى خطبته لقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام . وفى رواية ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى أى أوسع . و فى رواية لمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم بعضا لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» (قال الامام القرطبى) ويحتمل أن تكون أبواب الجنة مختلفة الاتساع فبعضها أربعون سنة وبعضها كما بين مكة وهجر وغير ذلك فلا تناقض . قال وقوله فى الحديث «من أنفق زوجين فى سبيل الله » المراد كل من جمع بين درهمين أو نعلين أو خفين أو ثوبين ويحتمل أن يراد بذلك العمل من صلاة يومين أو صيام يومين والاول أظهر لوروده فى حديث أبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله «من أنفق زوجين فى سبيل الله ابتدرته حجبة الجنة» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعيرين درهمين ثوبين نعلين » والله أعلم . وفى حديث الشيخين «ان باب الريان يدخل منه الصائمون فاذا دخل آخرهم منه أغلق فلم يدخل منه أحد» (قال الامام القرطبى) وكذلك ينبغى القول فى سائر أبواب الجنة الخاصة بأصحاب الأعمال (وروى) أبو داود وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «انطلق برجل الى باب الجنة فرفع رأسه فاذا على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر أمثالها والقرض الواحد بثمانية عشر أى لان صاحب القرض لا يأتيك الا وهو محتاج وأما الصدقة فربما وقعت فى يد غنى والله أعلم .

﴿ باب ماجاء فى درج الجنة وما يحصلها للمؤمن ﴾

(روى) البخارى وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس » زاد فى رواية أخرى « ان أول درجة من الجنة دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من فضة والدرجة الثانية دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ذهب والدرجة الثالثة دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد وسبع وتسعون درجة لا يعلم ما هى الا الله» (وفى رواية) للترمذى أن رسول الله ﷺ قال «ان فى الجنة مائة درجة لو أن جميع العالمين اجتمعوا فى احداهن لوسعتهم » وفى رواية لابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال «يقال لصاحب القرآن اذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه» وفى رواية لابى داود «أنه يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها» وفى رواية ان درج الجنة على قدر عدد آى القرآن لكل آية درجة فتلك ستة آلاف ومائتا آية وست عشرة آية عدد آيات القرآن بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والارض فينتهى به الى أعلى عليين لها سبعون ألف ركن وهى ياقوتة تضىء مسيرة أيام وليال . وكانت عائشة رضى الله عنها تقول عدد آى القرآن على عدد درج الجنة فليس أحد يدخل الجنة أفضل من قراء القرآن انتهى (قال الامام القرطبى) قال علماؤنا ان المراد بقراء القرآن وحملته هم العالمون بأحكامه وحلاله وحرامه والعاملون بما فيه لا مطلق القراء والحملة فقد قال الامام مالك رحمه الله تعالى قد يقرأ القرآن من لا خير فيه وقد تقدم فى أبواب النار عقوبة العالم اذا لم يعمل بعلمه فلا نعيد ذلك والله أعلم . وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من تعلم

الملائكة وتأتى لهم بمغانى الجنة وهى من الحور العين وتأتى لهم الملائكة بشبابات ناتئة فى الاغصان وفى الاشجار كل شجرة تحمل فى كل غصن سبعين ألف مزمار وتهب ريح من تحت العرش فتدخل فى تلك المزامير فيسمع لها نغمات لم يسمع السامعون أحسن منها ثم يقول الله تعالى للحور العين أطربوا عبادى كما نزهوا أسماعهم عن المطربات فى الدنيا الأجلى وتلذذوا بذكرى وسماع كلامى فأسمعوهم بأصواتكم حمدى وثنائى فتغنى لهم الحور العين وتجاوبهم تلك المزامير فيطرب القوم فرحا بذلك السماع فى حضرة الوصال فاذا أفاقوا من الوجد وشبعوا من الطرب يقولون يا ربنا انا كنا فى دار الدنيا نحب ذكرك وكلامك العزيز فيقول الله عز وجل لهم نعم ان لكم عندى ما تشتهى أنفسكم فى الجنة «وأنتم فيها خالدون» ثم يقول:

القرآن وعلمه ولم يأخذ بما فيه وحرفه كان له شفيعا ودليلا الى جهنم ومن تعلم القرآن وأخذ بما فيه كان له شفيعا ودليلا الى الجنة » وفى البخارى « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ولا يعمل به كالتمرة طعمها طيب ولاريح لها ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن ولا يعمل به كالحنظلة طعمها مر ولاريح لها » الحديث بطرقه وتقدم أن قارئ القرآن اذا عمل به جاز جميع درجات الجنة والله أعلم .

﴿ باب ماجاء فى غرف الجنة ولمن هى ﴾

قال الله تعالى « لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار » الآية وقال تعالى « إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون » وقال تعالى « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا » وفى حديث مسلم أن رسول الله ﷺ قال « ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » والغابر الغارب كما فى رواية فهما بمعنى واحد وقوله وصدقوا المرسلين أى وعملوا بما أمروا به اذ التصديق من غير عمل لا يعطى مثل ذلك كما قاله العلماء (وروى) الترمذى وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معنى قوله تعالى « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا » وفى قوله « وهم فى الغرفات آمنون » ان الغرفة من ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء أو درة بيضاء ليس فيها قصم ولا وصل وان أهل الجنة ليتراءون الغرفة منها كما تراءون الكوكب الشرقى أو الغربى فى أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما « وروى عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال « ان المتحابين فى الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة يضىء حسنهم على أهل الجنة كما تضىء الشمس على أهل الدنيا يقول أهل الجنة بعضهم لبعض انطلقوا بنا حتى ننظر الى المتحابين فى الله تعالى فاذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم على أهل الجنة كما تضىء الشمس على أهل الدنيا عليهم ثياب خضر من سندس مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله » وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أهل عليين لينظرون الى أهل الجنة فاذا أشرف رجل من أهل عليين أشرقت الجنة بضياء وجهه فيقولون ماهذا النور فيقال أشرق رجل من أهل عليين الأبرار أهل الطاعة والصدق » (وروى) الترمذى عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فقام اليه رجل فقال لمن هى يارسول الله فقال لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » وفى رواية هى لمن أفشى السلام الحديث زاد فى رواية لأبى نعيم رحمه الله « فقال رجل ومن يطيق ذلك يارسول الله فقال أمتى تطيق ذلك وسأخبركم بمن يطيق ذلك من لقى أخاه المسلم فسلم عليه فقد أفشى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى العشاء الآخرة فى جماعة فقد صلى والناس نيام » اليهود والنصارى والمجوس وفى الحديث « ان فى الجنة لغرفا ليس لها مغاليق من فوقها ولا عماد من تحتها قيل يارسول الله وكيف يدخلها أهلها فقال يدخلونها أشباه الطير » قيل يارسول الله لمن هى قال لأهل الأسقام والأوجاع والبلوى أخرجه الحافظ أبو القاسم الشحام وفى الحديث أيضا ليؤتين برجال يوم القيامة ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء لمنازلهم من الله يكونون على منابر من نور قالوا ومن هم يارسول الله فقال هم الذين يحببون الله الى الناس ويحببون الناس الى الله ويمشون لله فى الأرض نصحاء فقال رجل يارسول الله هؤلاء يحببون الله الى الناس فكيف يحببون الناس الى الله قال يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاذا أطاعوهم أحبهم الله تعالى

الله عز وجل ياداود فيقول لبيك يارب العالمين فيقول قد أمرتك ياداود أن تقوم على المنبر وتسمع عبادى وأحبائى عشر سور من الزبور فيرتقى داود عليه السلام على المنبر ويقرأ العشر من الزبور فيطرب القوم من صوت داود عليه السلام أعظم من طربهم على مغانى الجنة ويسكرون من الطرب وصوت داود يعدل تسعين مزمارا فاذا أفاقوا يقول الله سبحانه وتعالى ياعبدى هل سمعتم صوتا أطيب من هذا قط فيقولون لا والله ياربنا ماطرق أسماعنا مثل صوت نبيك داود عليه السلام ولا أطيب منه فيقول الله عز وجل وعزتى وجلالى لأسمعنكم صوتا أطيب من هذا ياحبيبى يامحمد ارق المنبر واقرأ طه ويس فيقرأ النبى صلى الله عليه وسلم فيزيد فى الحسن على صوت داود عليه السلام بسبعين ضعفا فيطرب القوم وتطرب الكراسى

تعالى انتهى وهذا من باب تعليق الأسباب على مسبباتها نظير فاذكرونى أذكركم والله أعلم .

﴿ باب ما جاء فى قصور الجنة ودورها وبيوتها وبم ينال ذلك المؤمن ﴾

روى الحافظ أبو بكر الآجرى رحمه الله تعالى عن عمران بن حصين وأبى هريرة فى تفسير قوله تعالى « ومساكن طيبة فى جنات عدن » فقالا على الخبير سقطت سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « قصر من لؤلؤة فى الجنة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجد خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطى الله تعالى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله . وفى الحديث انه ليكون فى القصر الواحد من قصور أهل الجنة سبعون غرفة فى كل غرفة زوجة من الحور العين فى كل غرفة سبعون بابا يدخل عليه من كل باب رائحة من رائحة الجنة سوى الرائحة التى تدخل عليه من الباب الآخر قال وهذا قوله تعالى « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له ثلاث قصور فى الجنة فقال عمر يا رسول الله إذن لتكثر قصورنا فقال رسول الله ﷺ الله أوسع من ذلك » وفى الحديث الصحيح « إذا قبض الله عز وجل ابن العبد قال للملائكة ماذا قال عبدى قالوا حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد » فالله تعالى يجعلنا وأصحابنا من أهل هذه الدرجات آمين والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء فى قوله تعالى « وفرش مرفوعة » ﴾

روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال فى معنى هذه الآية « ان ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام » قال العلماء الفرش كناية عن الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض وقيل الفرش كناية عن النساء اللاتى فى الجنة والمعنى ونساء مرتفعات الأقدار فى الحسن والكمال والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا وإزارا على الاشارة لأن الفرش محل النساء وفى الحديث الولد للفراش وللعاهر الحجر وفى القرآن العظيم « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » والله أعلم .

﴿ باب ما جاء فى خيام الجنة وأسواقها وغير ذلك ﴾

روى مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان فى الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل للمؤمن ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن » وفى رواية « طولها فى السماء ستون ميلا » وفى رواية لمسلم « ان فى الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا » وروى الترمذى عن سعيد بن المسيب انه لقى أبا هريرة يوما فقال له أبو هريرة اسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة فقال سعيد أفيها سوق قال نعم وذكر الحديث وفى رواية « ان فى الجنة لسوقا تحف به الملائكة لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع به الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى فيروعه ما عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل اليه ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها » وفى رواية للترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان فى الجنة لسوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها » وفى الحديث ان فى الجنة أسواقا

من تحتهم وقناديل العرش والملائكة تموج من الطرب والحور العين والغلمان والولدان ولا يبقى فى الجنة شىء إلا طرب لحسن صوت النبى صلى الله عليه وسلم من قراءة طه ويس فيقول الله سبحانه وتعالى يا أحبائى هل سمعتم أطيب من هذا فيقولون يا ربنا وعزتك وجلالك ما سمعنا منذ خلقتنا صوتا أحسن ولا أطيب ولا أحلى من صوت حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول الله سبحانه وتعالى وعزتى وجلالى لأسمعنكم أطيب من هذا فيقرأ الحق سبحانه وتعالى سورة الأنعام فاذا سمعوا كلام الحق سبحانه وتعالى غابوا عن الطرب والوجد واضطربت الأملاك والحجب والستور والقصور والأشجار والحور وبحار النور وماجت الجنان واهتزت الأشجار والأنهار طربا لكلام العزيز الغفار وتواجدت الجنة

لا بيع فيها ولا شراء ولكن إذا أفضى أهل الجنة إليها جلسوا متكئين على لؤلؤ رطب وتراب من مسك فيتعارفون فى تلك الجنان كما كانوا فى الدنيا ويتذاكرون كيف كانت الدنيا وكيف كانت عبادتهم لربهم وكيف كانوا يحيون الليل ويصومون النهار وكيف كان فقر الدنيا وغناها وكيف كان الموت وكيف صرنا بعد طول البلى من أهل الجنة .

﴿ باب لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز ﴾

روى أبو بكر الخطيب أن رسول الله ﷺ قال « لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا الكتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه الجنة عالية قطوفها دانية » (قال الامام القرطبى) رحمه الله تعالى ولعل هذا فى غير من يدخل الجنة بغير حساب كما يأتى قريبا والله تعالى أعلم .

﴿ باب أول الناس يسبق إلى الجنة الفقراء ﴾

روى أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أخبرنى عن جلساء الله يوم القيامة فقال هم الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا فقال يارسول الله أهم أول الناس يدخلون الجنة فقال لا أول الناس دخولا الجنة الفقراء المهاجرون يسبقون الناس إلى الجنة فيخرج إليهم منها ملائكة فيقولون ارجعوا إلى الحساب فيقولون علام نحاسب والله ما كان لنا فى الدنيا من مال نقبض فيه ونبسط ولم نكن أمراء فنعزل ونجور ولكنا قوم جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى ليقول يوم القيامة أين صفوتى من خلقى فتقول الملائكة من هم يا ربنا فيقول الفقراء الصابرون الراضون بقضائى وقدرى أدخلوهم الجنة قال فيدخلون الجنة فيأكلون ويشربون والأغنياء فى الحساب يترددون » (وروى) الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام » زاد فى رواية وهو نصف يوم زاد فى رواية أخرى فقيل يارسول الله فكم العام من شهر قال « خمسمائة شهر قيل فكم الشهر من يوم فقال خمسمائة يوم قيل فكم اليوم قال خمسمائة مما تعدون » ذكره القتيبى . وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا » (قلت) ولعل اختلاف المدة يختلف باختلاف طبقات الفقراء شدة وسهولة وسعة وضيقا فكلما كان أحدهم أضيق معيشة كانت مدته التى يسبق بها أكثر والله تعالى أعلم . وفى حديث ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال « ما من غنى ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه أوتى من الدنيا كفافا وفى رواية قوتا » وفى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « ليس الغنى عن كثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس » انتهى ومن هنالك قال بعض العلماء ان المراد بالفقراء هنا القانعون بيسير الدنيا وبالأغنياء هم أصحاب الأموال الكثيرة الغافلون بها عن الله عز وجل وقد يكون العبد فقير اليد غنى القلب وعكسه والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ماجاء فى مراتب أهل الجنة وسنهم وطولهم وشبابهم وغرفهم وثيابهم وأمشاطهم ومجامرهم وأزواجهم ونسائهم وليس فى الجنة أعزب ﴾

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أول زمرة يدخلون الجنة من أمتى على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة » زاد فى رواية « ثم هم بعد منازل لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون أمشاطهم الذهب والفضة ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين » وفى رواية لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد وفى رواية أخلاقهم على خلق رجل واحد وفى رواية على طول أبيهم آدم وفى رواية على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء وكان أبو هريرة

ودارت أركانها من الطرب واهتز العرش والكرسى والملائكة والروحانيون واهتزت الجنة بجميع ما فيها حبا واشتياقا ثم يكشف الحجاب عن وجهه الكريم وينادى يا عبادى من أنا فيقولون أنت الله مالك رزقنا فيقول الله عز وجل يا عبادى أنا السلام وأنتم المسلمون وأنا المؤمن وأنتم المؤمنون وأنا الحبيب وأنتم المحبون هذا كلامى فاسمعوه وهذا نورى فانظروه وهذا وجهى فانظروه فعند ذلك ينظرون إلى وجه الحق جل وعلا بلا واسطة ولا حجاب فاذا وقع على وجوههم نور وجه الحق أشرقت وجوههم بالنور وتمتعوا بالنظر إلى وجه العزيز الغفور فتبقى الخلائق ثلثمائة عام شاخصين إلى وجه الحق سبحانه ولا يطيق أحدهم أن يطبق جفنا على جفن من شدة لذة النظر إلى وجه الحق سبحانه وتعالى فمن لذة نظرهم

رضي الله عنه يقول النساء في الجنة أكثر من الرجال لقوله ﷺ لكل رجل منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم ومافي الجنة أعزب . وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى انه ليرى مخها وذلك أن الله عز وجل يقول « كأنهن الياقوت والمرجان » فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته . وفي البخاري عن النبي ﷺ أنه قال « لو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت الى أهل الأرض لأضاءت مابينهما ولملأته ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا ومافيها » وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال «أهل الجنة جرد مرد مكحلون أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة» وفي رواية «أهل الجنة جرد مرد إلا موسى بن عمران فان له لحية الى سرته» روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال «لو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدت أساوره لطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم» وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال « كل من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بني ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها وكذلك أهل النار » رواه الترمذي (قلت) وفي كون أهل النار كذلك كلام طويل لأهل الكشف والله أعلم (فان قال قائل) أي حاجة في الجنة للأمشاط وشعورهم لاتتلبد ولا تتسخ وأي حاجة للبخور وعرقهم وريحهم أطيب من ريح المسك (أجيب) بأن نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم وكذلك أكلهم وشربهم ليس عن جوع ولا عن عطش وكذلك تطيبهم ليس عن نتن وإنما هي لذات متوالية ونعم متتابعة ألا ترى الى قوله تعالى لآدم «إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى» والحكمة في ذلك أن الله تعالى نعم أهل الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا وزادهم على ذلك مالا يعلم قدره إلا الله وكذلك الحكمة في أهل النار في نحو قوله تعالى « إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم » وفي قوله تعالى « إن لدينا أنكالا وجحيما » الآية فعذبهم الله في النار بنوع ما كانوا يعذبون به في الدنيا وكان الشعبي رضي الله عنه يقول أترون أن الله تعالى جعل الأنكال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا لا والله ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا اشتعلت بهم أي ثم نزلت بهم فهي لاتفارقهم وكان ابن شهاب يقول بلغنا أن لسان أهل الجنة عربي ولسانهم اذا خرجوا من القبور سرياني وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية فاذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية والله أعلم .

﴿ باب في الحور العين وكلامهن وجواب نساء الآدميات وحسنهن ﴾

ذكر العلماء أن النساء الآدميات في الجنة على سن واحد وأما الحور العين فأصناف مصنفة صغار وكبار وعلى ماتشتهيه النفس في الجنة . وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له وكانت عائشة رضي الله عنها تقول اذا قالت الحور العين هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا نحن المصليات وماصليتن ونحن الصائمات وماصمتن ونحن المتوضئات وماتوضأتن ونحن المتصدقات وماتصدقتن قالت عائشة فغلبنهن والله وكان محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه يقول والله الذي لا إله إلا هو لو أن امرأة من الحور العين اطلعت بسوارها من العرش لأضاء نورها على نور الشمس والقمر فكيف بالمنورة وكذلك القول فيما عليها من الثياب والحلي كله يغلب نوره على نور الشمس وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها وعن شمالها كذلك وهي تقول أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول

يغيبون في جماله وتشخص أبصارهم في كماله فيخاطبهم الحق سبحانه وتعالى بلذيذ الخطاب ويناديهم السلام عليكم يامعشر الأحباب تمنوا على ماشئتم واشتهيتم فقد كشفت لكم عن وجهي الحجاب ثم يعطي الحق سبحانه وتعالى لكل واحد وواحدة رمانة قشرها من ذهب وفي وسطها حلل ملونة عدد مافي الرمانة حلة خضراء وحلة صفراء وحلة بيضاء وحلة مقصبة بالذهب على ألوان مختلفة ثم يرخي الحجاب ويقول لهم ياعبادي ارجعوا الى منازلكم فانني راض عنكم وقد زدت في حسنكم سبعين ضعفا وبين جميع الرجال والنساء حسن واحد ولكن بين الرجال والنساء حجاب من نور حق لا ينظرون حريم بعضهم وجل مايتم للرجال يتم للنساء فاذا تجلى الحق تعالى شاهده الرجال والنساء جملة كما

ان فى الجنة حوراء يقال لها لعبة لو بصقت فى البحر المالح لعذب ماء البحر كله مكتوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلى فليعمل بطاعة ربى عزوجل . وفى حديث الاسراء أن رسول الله ﷺ وصف حوراء ليلة الاسراء وقال لقد رأيت جبينها كالهلال طولها ألف وثلاثون ذراعا فى رأسها مائة ضفيرة مابين الضفيرة والضفيرة سبعون ألف ذؤابة والذوائب أبيض من البدر وخلخالها مكلل بالدر وصنوف الجوهر على جبينها سطران مكتوبان بالدر والجوهر فى السطر الأول بسم الله الرحمن الرحيم. وفى السطر الثانى من أراد مثلى فليعمل بطاعة ربى . ثم قال لى جبريل يا محمد هذه وأمثالها لأمتك فأبشر وبشر أمتك وأمرهم بالاجتهاد فى طاعة ربهم عزوجل . وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول ان المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء وكان حيان بن أبى جبلة رضى الله عنه يقول ان من دخل الجنة من نساء الدنيا يفضلن على الحور العين وذلك بما عملن من الطاعات فى دار الدنيا . وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « ان الآدميات من نساء أهل الجنة أفضل من الحور العين سبعين ألف ضعف » والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ باب ما جاء أن الأعمال الصالحة مهور الحور العين ﴾

قال تعالى « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار » الى قوله « ولهم فيها أزواج مطهرة » وروى الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول عن أبى مسعود الغفارى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « مامن عبد يصوم يوما من رمضان الازوج زوجة من الحور العين فى خيمة من درة مجوفة مما نعت الله عزوجل بقوله « حور مقصورات فى الخيام » على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى ويعطى سبعين لونا من الطيب ليس منها لون على ريح الآخر لكل امرأة منهن سبعون سريرا من ياقوتة حمراء موشحة بالدر على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش أريكة لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها وخدمتها وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من طعام يجد أحدهم للآخر منها لذة لم يجدها لما قبلها ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشحان بياقوت أحمر هذا بكل يوم صامه العبد من شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات وتقدم قوله ﷺ فى حديث للترمذى « ان الشهيد يزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين » يعنى غير الزوجتين من نساء الآدميات. وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « كنس المساجد مهور الحور العين » وفى الحديث أيضا اخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين والقمامة هى الكناسة وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول يتزوج أحدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحور العين باللقمة والتمرة والكسرة (وكان) الإمام سحنون رحمه الله تعالى يقول كان بمصر رجل يقال له سعيد وكانت له أم من المتعبدات وكان ولدها يصلى بها فى الليل إماماً فاذا غلبه النوم ونعس قالت له أمه ياسعيد انه لاينام من كان يخاف النار أو يخطب الحور الحسان فيستيقظ مرعوباً * ورأى ثابت البنانى امرأة فى منامه من الحور العين فقال لها لمن أنت فقالت للمجتهدين بالليل والناس نيام * ورأى بعضهم حوراء أحسن الناس جمالا فقال لها لمن أنت فقالت لمن يقرأ أربعة آلاف ختمة فبلغنا أنه مات يوم فرغ من قراءتها وهو نحيف البدن كالشن البالى (وكان) الشيخ نصر القارىء رحمه الله يقول غلبنى النوم ليلة فنمت عن التهجد فرأيت فى منامى جارية لم أر أحسن وجها منها ومعها ورقة فيها كتاب فقالت لى أتقرأ أيها الشيخ فقلت لها نعم فناولتنى الورقة فاذا فيها مكتوب:

قد ألهتك اللذائذ والأمانى * عن الفردوس والقطف الدوانى * ولذة نومة عن خير عيش
مع الخيرات فى غرف الجنان * تيقظ من منامك ان خيرا * من النوم التهجد بالقران

اذا طلعت الشمس نظرها الخلق جملة واحدة جل الله عن التشبيه فليس لله مثيل ولا شبيه ثم يقول الله عزوجل ياملائكتى قدموا العبادى نجائب غير التى قدموا عليها فتقدم اليهم الملائكة خيلا من ياقوت أحمر سروجها منها وأجنحتها خضر مكللة بحلى حضر ثم يقول الله عز وجل لهم ياعبادى اعبروا سوق المعرفة فيعبرون فيقول بعضهم لبعض ويقول هذا لهذا أين أنت يا أخى ساكن فى أى الأماكن من الجنات فيقول أنا ساكن فى الجنة الفلانية فى الموضع الفلانى منها فيتعارفون ثم تقول لهم الملائكة انكم قد كنتم فى دار الدنيا تعبرون فى أسواقكم فتعجبكم القطعة القماش أو غير ذلك فما تصح لكم الا بثمن وربكم عزوجل قد وضع لكم فى هذا السوق كل شىء فمن اشتهى منكم شيئا فليأخذه بلاثمن (قال) فينظرون الى مساند وفرش ووسائد ذات ألوان وحلل وأوان

وكان مالك بن دينار رضى الله عنه يقول كان لى وردفى الليل أقرؤه كل ليلة فنمت عنه ذات ليلة فاذا بجارية جاءتنى فى المنام كأحسن مايكون من الجمال وبيدها رقعة فقالت لى أتحسن القراءة فقلت نعم فدفعت الى الرقعة فاذا فيها مكتوب :

لهاك النوم عن طلب الأمانى * وعن تلك الكوانس فى الجنان
تعيش مخلدا لاموت فيها * وتلهو فى الخيام مع الحسان
تيقظ من منامك ان خيرا * من النوم التهجد بالقران

انتهى والله تعالى أعلم .

باب فى الحور العين من أى شىء خلقن

روى أن رسول الله ﷺ سئل عن الحور العين من أى شىء خلقن فقال من ثلاثة أشياء أسفلهن من المسك وأوسطهن من العنبر وأعلاهن من الكافور وشعورهن وحواجبهن سواد خط فى نور وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال قلت ياجبريل أخبرنى كيف يخلق الله الحور العين فقال يامحمد ان الله تعالى خلقهن من قضبان العنبر والزعفران مضروبات عليهن الخيام أول مايخلق منهن نهد من مسك أذفر أبيض عليه يلتئم البدن وكان عبدالله بن عباس رضى الله عنهما يقول خلق الله الحور العين من أصابع رجليها الى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها الى ثدييها من المسك الاذفر ومن ثدييها الى عنقها من العنبر الاشهب ومن عنقها الى رأسها من الكافور الأبيض عليها سبعون ألف حلة مثل شقائق النعمان اذا أقبلت يتلألأ وجهها نورا ساطعا كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا ويرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها فى رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الاذفر لكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهى تنادى هذا ثواب الأولياء جزاء بما كانوا يعملون انتهى فاعملوا أيها الاخوان صالحا ولا تسأموا من الأعمال فمن سئم بعد سماع هذا الجزاء العظيم فالبهائم أحسن حالا منه والحمد لله رب العالمين .

باب اذا تزوج الرجل بكرا فى الدنيا كانت زوجته فى الآخرة

روى مالك رحمه الله تعالى أن الزبير بن العوام رضى الله عنه كان كثير الضرب لزوجته أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فضربها يوما حين خرجت بغير اذنه بعد أن عقد شعرها بشعر ضرتها ضربا شديدا وكانت الضرة أحسن أنفا منها فكان الضرب بأسماء أكثر فشكت الى أبيها أبى بكر فقال لها أى بنية اصبرى فان الزبير رجل صالح ولعله أن يكون زوجك فى الجنة قال ولقد بلغنى أن الرجل اذا ابتكر بالمرأة تزوجها فى الجنة انتهى (قال) الامام أبو بكر بن العربى فان كانت المرأة ذات أزواج فقد ورد عن النبى ﷺ أنها تخير فى الأزواج فأى زوج اختارته كانت له وفى رواية أخرى أن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال لزوجته ان سرك أن تكونى زوجتى فى الجنة ان جمعنا الله فيها فلا تتزوجى أحدا من بعدى فان المرأة لآخر أزواجها انتهى وخطب معاوية بن أبى سفيان أم الدرداء فأبت وقالت سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال « ان المرأة تكون لآخر أزواجها فى الآخرة فلا تتزوجى بعدى » (وفى الحديث) أن أم حبيبة قالت يارسول الله المرأة يكون لها الزوجان فى الدنيا ثم يموتان فيجتمعان فى الجنة لأيهما تكون للأول أو للآخر فقال تكون لأحسنهما خلقا كان معها فى دار الدنيا ثم قال ياأم حبيبة ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة انتهى * فاعلموا ذلك أيها الاخوان وحسنوا أخلاقكم مع من تحبونها من زوجاتكم فى دار الدنيا لتكونوا معها فى دار الآخرة والحمد لله رب العالمين .

باب ماجاء أن فى الجنة أكلا وشربا ونكاحا حقيقة وأنه لاقذر فيها ولا نقص ولا شؤم ولا نوم

روى مسلم عن جابر بن عبدالله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء

فكل من أراد شيئا ينظر اليه بعينه فتحمله الملائكة له من خلفه ثم يعبرون على صورة بنى آدم فكل صورة يراها فى عينه أحسن من صورته فلا ينظر اليها الا وقد صارت مثلها فكل من أراد صورة نظر اليها وبقيت صورته فى صفتها وزيها وحسنها وتزول تلك الصورة عنه بقدرة الله تعالى ثم ينظرون فيجدون فى ذلك السوق حللا وأجنحة فتقول الملائكة كل من اشتهى أن يطير فليأخذ من هذه الأجنحة والحلل ويلبس فيطير فيلبسونها فتطير بهم أجنحتهم حيث أرادوا ثم يسيرون الى منازلهم فيدخلون القصور فتقول المرأة لزوجها ما أشد حسنك اليوم وما أكثر نورك فيقول لها انى قد نظرت الى وجه ربى فوقع نوره على وجهى وأنت أيضا والله العظيم لقد عظم نور وجهك وحسنك فتقول له كيف لايشرق وجهى

ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس (وروى) الترمذى عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال يعطى المؤمن فى الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل يارسول الله أو يطيق ذلك قال ان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل فى الأكل والشرب والجماع والشهوة فقال رجل من اليهود ان الذى يأكل ويشرب تكون منه الحاجة قال ان جلده يفيض عرقا فيصير بطنه مضمرا (وروى) البزار أن رجلا قال «يارسول الله أنفضى الى نسائنا فى الجنة كما نفضى اليهن فى الدنيا قال إى والذى نفسى بيده ان الرجل ليفضى فى الغداة الواحدة الى مائة عذراء» (وروى) البزار أيضا عن أبى سعيد الخدرى أنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان أهل الجنة اذا جامعوا نساءهم يعدن أبكارا» وكان أبو قلابة رضى الله عنه يقول يؤتون يعنى أهل الجنة بالطعام والشراب فاذا كان فى آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتضمر لذلك بطونهم وتفيض عرقا من جلودهم أطيب من ريح المسك ثم قرأ قوله تعالى «وسقاهم ربهم شرابا طهورا» وتقدم حديث أبى أمامة رضى الله عنه «مامن أحد يدخله الله الجنة الا زوجه الله مائة زوجة ثلاثين من الحور العين وسبعين من ميراثه من أهل النار مامنهن واحدة الا ولها قبل شهى وله ذكر لا ينثنى» قال العلماء وقوله من ميراثه من أهل النار يعنى رجالا دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءهم كما ورثت امرأة فرعون (وروى) الدارقطنى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قيل يارسول الله أينام أهل الجنة فقال «لا والنوم أخو الموت والجنة لاموت فيها» والله أعلم.

﴿باب ماجاء أن المؤمن اذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة واحدة كما يشتهى﴾

روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان المؤمن اذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة واحدة» وأخرجه ابن ماجه أيضا (قال) الامام القرطبى وقد اختلف العلماء فى هذا فقال بعضهم ان فى الجنة جماعا ولا يكون منه ولد وبه قال مجاهد وطاوس وابراهيم النخعى وقال اسحق بن ابراهيم وغيره كما فى الحديث ان المؤمن اذا اشتهى الولد فى الجنة كان فى ساعة واحدة كما يشتهى ولكن لا يشتهى قال وقد روى عن أبى رزين العقيلى أن رسول ﷺ قال «ان أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد» والله أعلم.

﴿باب ماجاء ان كل مافى الجنة دائم لا يبلى ولا يفنى ولا يبيد﴾

روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال «ينادى مناد - يعنى فى الجنة - ان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا وذلك قوله عز وجل «ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون» وتقدم قوله ﷺ «من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه» وقول الحور العين نحن الخالدات فلا نبيد انتهى.

﴿باب ماجاء أن المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا فى الدنيا﴾

وكان عبد الله بن زيد رضى الله عنه يقول بلغنا أن المرأة من نساء أهل الجنة يقال لها أتحبين أن نريك زوجك فى أهل الدنيا فتقول نعم فيكشف لها عن الحجب وتفتح الأبواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه وتعاهده بالنظر حتى انها تستبطئ قدومه وتشتاق اليه كما تشتاق المرأة الى زوجها الغائب ولعله يكون بينه وبين زوجته فى الدنيا مايكون من النساء وأزواجهن فتغضبه زوجته فيشق ذلك عليها وتقول لها ويحك دعيه من شرك انما هو معك ليالى قلائل وأخرجه الترمذى بمعناه عن النبى صلى الله عليه وسلم «لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا وفى

بالنور وقد وقع عليه نور ربه فتشرق وجوههم بالأنوار ويدوم نعيمهم فى دار القرار قال الله تعالى «الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب» (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان طوبى شجرة فى الجنة أصلها فى دارى وأغصانها مطلة على قصور الجنة وليس فى الجنة قصر ولا دار الا وعليها غصن من أغصانها يحمل كل غصن منها كل ثمرة كانت فى الدنيا وكل زهر كان فى الدنيا ينبت فى ذلك الغصن الا أنه أكثر وأنخر من ثمر الدنيا وأحسن من زهر الدنيا وتحمل شجرة طوبى عنبا كل عنقود طوله مسيرة شهر كل عنبة بقدر القربة اذا ملئت ماء» فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم يارسول الله ان العنبة الواحدة تكفينى وتكفى أهل بيتى وعشيرتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العنبة الواحدة

هذا الحديث دليل على أن الحوراء تسمى زوجة كالمرأة الآدمية والله أعلم .

﴿ باب ما جاء فى طير الجنة وخيلها وابلها ﴾

روى الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ماء الكوثر قال « نهر أعطانيه الله » يعنى فى الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر » فقال عمر يارسول الله ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آكلها أنعم منها » وفى رواية للثعلبى « ان فى الجنة طيرا مثل أعناق البخت تطيف على يدولى الله عز وجل فيقول أحدهم ياولى الله رعيت فى مروج تحت العرش وشربت من عيون التسليم فكل منى فلا يزال ذلك الطير بين يديه حتى يخطر على باله أكله فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منه ما أراد فاذا شبع تجمعت عظام الطائر ثم طار يرعى فى الجنة حيث شاء » وروى الترمذى أن رجلا سأل النبى ﷺ « هل فى الجنة من خيل فقال ان ادخلك الله الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت الا فعلت » قال بريدة رضى الله عنه وسأله رجل آخر فقال يارسول الله هل فى الجنة من ابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال « ان يدخلك الله الجنة لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك » وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال يارسول الله هذه فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لك يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة » وكان الحسن البصرى يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أدنى أهل الجنة منزلة من يركب فى ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب اذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا » وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من نعيم الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون فى يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله » والله تعالى أعلم .

﴿ باب ما جاء أن الشاة والمعزى من دواب الجنة ﴾

روى البزار عن رسول الله ﷺ « أحسنوا إلى المعزى وأميطوا عنها الأذى فانها من دواب الجنة » وروى ابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « الشاة من دواب الجنة »

﴿ باب ما جاء أن الحناء سيد ريحان الجنة وأن الجنة حفت بالريحان ﴾

وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يقول « ان الحناء سيد ريحان الجنة وان فيها من عتاق الخيل وكرام النجائب ما لا يحصى عددها الا الله » وتقدم حديث أبى هريرة موقوفا ان شجرة طوبى تنفتق عن النجائب والثياب ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف فهو كالمرفوع وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى لما خلق الجنة حفها بالريحان وحف الريحان بالحناء وما خلق الله تعالى شجرة هى أحب إليه من الحناء وان المختضب بالحناء لتصلى عليه ملائكة السماء » وقال بعضهم لم يصح هذا الحديث وفى اسناده من لا يعرف والله أعلم .

﴿ باب ما جاء أن للجنة ربضا وريحا وكلاما ﴾

روى البيهقى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله تعالى جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فقال طوبى لك منزل الملوك » وفى رواية للبزار أن رسول الله ﷺ قال « خلق الله تعالى الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر » أى طينها الذى بنيت به وقال لها تكلمى فقالت « قد أفلح المؤمنون » ثم دخلها الملائكة فقالوا طوبى لك منزل الملوك وفى رواية « ان الجنة لما تكلمت قالت طوبى لمن رضيت يارب عنه » وروى النسائى عن فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « أنا زعيم — أى ضامن — لمن آمن بى وأسلم وجاهد

تكفيك وتكفى أهل بيتك وعشرة من قومك وإن فيها أيضا ثمرا كل ثمرة بقدر الراوية وكل ثمرتين حمل جمل لها برق مثل الشمس (وذكر) أن فى طوبى أيضا سفرجلا وتفاحا ورمانا وخوخا ومشمشا كل ثمرتين قدر حمل جمل ولا يعلم وصف شجرة طوبى غير الذى خلقها ولكل مؤمن فى الجنة غصن من أغصانها واسمه مكتوب على ذلك الغصن يحمل ذلك الغصن كل نوع من أنواع الثمر حتى الخيول بسروجها والنوق بأزمتها والجوارى والغلمان ويحمل غصن العنقود الأساور والخواتم والتيجان والحلل وكل ذلك من ورق الغصن وكلما قطع المؤمن حلة نبت موضعها حلتان وان قطع ثمرة نبت موضعها ثمرتان وتحت شجرة طوبى ميادين يسير الراكب تحت ظلها مائة عام لا يقطعها وفى تلك الميادين أنهار الخمر

في سبيل الله بيت في ربض الجنة - يعني أسفلها - وبيت في ربض الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا وبيت في أعلى الجنة لمن لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث شاء أن يموت» وروى مالك وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفا في حديث نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة ورواه مالك أيضا بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أبو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم «ألا من قتل نفسا معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفا» وفي رواية للبخاري من مسيرة أربعين عاما (قال) العلماء ولعل ذلك يختلف باختلاف الناس في قوة الشم وضعفه والله أعلم .

﴿ باب ماجاء أن الجنة قيعان وأن الذكر نفقة بنائها وأن غراس الجنة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ﴾

روى الترمذي وغيره عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لقيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر» وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على أبي هريرة وهو يغرس نخلا فقال «ألا أدلك على غراس هو خير من هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة» (وفي حديث) الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة» وروى الطبراني عن حكيم بن محمد الأحمسي رضي الله عنه أنه قال : بلغني أن الجنة تبنى بالذكر فاذا حبسوا الذكر كفوا عن البناء فيقال لهم في ذلك فيقولون حتى تجيئنا نفقته . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أطاع الله فقد ذكر الله وان قلت صلاته وصومه أو صنيعه للخير ومن عصى الله فقد نسي الله وان كثرت صلاته وصومه وصنيعه للخير» والله تعالى أعلم .

﴿ باب ما لأدنى أهل الجنة منزلة وما لأعلاهم ﴾

روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه فقال يارب ما أدنى أهل الجنة منزلة فقال له رجل يأتي بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقول له الحق جل وعلا ادخل الجنة فيقول يارب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب فقال موسى يارب فما أعلاهم منزلة قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» وفي البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا فيقول له ربه ادخل الجنة فيقول رب الجنة ملأى فيقول له ذلك ثلاث مرات وفي كل ذلك يعيد عليه الجنة ملأى فيقول ان لك مثل الدنيا عشر مرات» وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان أدنى أهل الجنة منزلة من له سبعة قصور قصر من ذهب وقصر من فضة وقصر من در وقصر من زمرد وقصر من ياقوت وقصر لا تدركه الأبصار وقصر من لون العرش في كل قصر من الحلي والحلل والحور العين مالا يعلمه الا الله عز وجل» وتقدم أن أدنى أهل الجنة منزلة من يركب في ألف ألف من خدمه وروى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه بكرة وعشيا» ثم قرأ رسول الله

وأنهار العسل وأنهار اللبن وفي تلك الأنهار سمك وحيتان جلد تلك الحيتان من الفضة وقشرها من الذهب مثل الدنانير ولحمها أبيض من الثلج وأنعم من الزبد وهو بغير عظم ولا شوك وفي تلك الأنهار مراكب من الياقوت الأحمر يركب الأولياء فيها فيصيرون الى قصورهم في تلك الميادين وحائط القصر الأول أخضر والقصر الثاني أصفر والقصر الثالث أحمر والقصر الرابع أبيض فاذا كان وقت الضحى رجعت القصور كلها لونا واحدا وقد كان كل قصر فيه لون من الألوان التي ذكرت فاذا كان وقت الظهر رجع بناء تلك القصور طوبة من ذهب وطوبة من فضة وطوبة من ياقوت وطوبة من در فاذا كان وقت العصر يرجع حائط أصفر وحائط أبيض تتلون تلك القصور بقدرة من يقول للشيء كن فيكون فيفرحون بها فرحا

ﷺ «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» وفي رواية له «ان أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء» وكان مجاهد رضي الله عنه يقول «ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وأرفعهم من ينظر إلى ربه بالغداة والعشي» وسيأتي بسط ذلك ان شاء الله تعالى .

﴿ باب رضوان الله على أهل الجنة أفضل ما في الجنة ﴾

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان الله تعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أفلا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يارب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا» وأخرجه مسلم بمعناه بأطول من هذا والله تعالى أعلم .

﴿ باب ما جاء أن رؤية أهل الجنة لربهم سبحانه وتعالى أحب اليهم من نعيم أهل الجنة ﴾

روى مسلم وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف تعالى الحجاب يعني عنهم فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل» زاد في رواية ثم تلا قوله تعالى «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» وفي رواية لأبي داود الطيالسي رحمه الله تعالى «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ألم يبيض الله تعالى وجوهنا ويثقل موازيننا ويجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله تعالى شيئا أحب اليهم من النظر ولا أقر لأعينهم» (وفي الحديث) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» فقال «أحسنوا هو العمل الصالح في الدنيا والحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم» وفي رواية عن أبي موسى الأشعري أنه قال على منبر البصرة : إن الله تعالى يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل الجنة فيقول هل أنجزكم الله ماوعدكم فينظرون فيرون الحلي والحلل والثمار والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجز الله ماوعدنا فيقول الملك هل أنجزكم ماوعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيئا مما وعدوا فيقولون نعم فيقول بقي لكم شيء واحد ان الله تعالى يقول «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» لأن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم (قال الامام القرطبي رحمه الله تعالى) وروى في صحيح الأخبار أن الله تعالى إذا تجلى لعباده رفع الحجب عن أعينهم فاذا رأوه تدفقت الأنهار وصفقت الأشجار وتجاوبت السرر والغرفات بالصرير والأعين المتدفقات بالخرير واسترسلت الريح المسيرة ونبت في الدور والقصور المسك الاذفر والكافور وغردت الطيور وأشرفت الحور العين . وفي حديث مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» (قلت) والمراد بالرداء هو الحجاب عن الاحاطة به سبحانه وتعالى فان هذا هو الحجاب الذي لا يصح رفعه أبدا لأنه لو رفع لعرف الخلق ربهم كما يعرف هو سبحانه وتعالى نفسه وذلك محال والله تعالى أعلم وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال «انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته - أي لا تشكون فيها - فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ «وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» وخرج أبو داود عن أبي رزين العقيلي رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أكلنا نرى الله تعالى مخليا به يوم القيامة فقال نعم فقلت يا رسول الله وما آية ذلك في خلقه قال

عظيما وكل مؤمن في الجنة له مساكن وديار وأملاك عظيمة لكل مؤمن واسمه مكتوب عليها وعلى أبوابها وفيها له خدم وجوار وغلمان فيتلقونه بتهليل وتكبير وفرح لقدومه ويأتي رضوان ويخلي للأولياء لكل ولي منهم قبة مع عروس عليها الحلل والحلي فتقول للولي ياولي الله قد طال شوقي إليك فالحمد لله الذي قد جمع بيني وبينك فيقول المؤمن يا أمة الله من أين تعرفينني وأنت ما رأيتني قبل هذا اليوم أبدا فتقول العروس ان الله سبحانه وتعالى خلقني لك وكتب اسمك على صدري وخلق هذه المنازل لك وكتب اسمك على أبوابها وخلق هذه الغلمان والجواري جميعهن لك واسمك مكتوب على خدودهن أحسن من الشامة على الخد وأنت قد كنت في دار الدنيا تعبد الله سبحانه وتعالى وتصلي وتصوم في طول الأيام

يا أبارزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليابه قلت بلى قال فالله تعالى أعظم إنماهو خلق من خلق الله تعالى يعنى القمر والله تعالى أجل وأعظم .

﴿ باب فى سلام الله تعالى على أهل الجنة وفى قوله ولدينا مزيد ﴾

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى حديث طويل « بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذسطع لهم نور من فوقهم فاذا الرب تعالى قدأشرف عليهم فقال السلام عليكم ياأهل الجنة وذلك قوله تعالى « سلام قولا من رب رحيم » قال فاذا نظروا إليه نسوا الجنة ونعيمها حتى يحتجب عنهم فاذا احتجب عنهم بقى نوره وبركته عليهم وفى ديارهم » والمراد بقوله فى حق الرب جل وعلا أشرف عليهم أى أنه تعالى يكلمهم وينظر إليهم فكنى عن ذلك فى حقه تعالى بالاشراف فافهم وكذلك المراد بقوله فاذا احتجب عنهم أى فاذا ردهم إلى شهود الجنة ونعيمها رأوا الجنة مع رؤيتهم لربهم لأنهم حجبوا عن رؤيته بردهم إلى شهود الجنة بقرينة قوله وبقى نوره وبركته عليهم وفى ديارهم والله تعالى أعلم (وروى) عن الحسن رضى الله عنه أنه قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أهل الجنة ينظرون إلى ربهم فى كل يوم جمعة على كثيب من كافور لا يرى طرفاه وفيه نهر جار حافتاه المسك عليه جوار يقرأن القرآن بأصوات لم يسمع الأولون والآخرون أحسن منها فاذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كل رجل بيد من شاء منهن ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم فلولا أن الله تعالى يهديهم إلى منازلهم ما اهتدوا إليها لما يحدث الله تعالى لهم فى كل جمعة من النعيم الذى يذهل العقول عن مشاهدة غيره وكان بكر بن عبدالله المزنى التابعى رضى الله عنه يقول : ان أهل الجنة ليزورون ربهم فى مقدار كل عيد هو لكم كأنه يقول فى كل سبعة أيام مرة فيأتون رب العزة فى حلل خضر ووجوه مشرقة وأساور من ذهب مكللة بالدر والزمرد عليهم أكاليل الذهب ويركبون نجائبهم ويستأذنون على ربهم فيأمر لهم الرب جل وعلا بالكرامة اهـ (وكان) عبدالله بن مسعود رضى الله عنه يقول سارعوا إلى الجمعة فان الله تعالى يبرز لأهل الجنة كل يوم جمعة فى كثيب من كافور أبيض فيكونون منهم فى القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة فى الدنيا وفى رواية إلى الجمع فى الدنيا فيعطيهم من الكرامة مالم يكونوا رأوه قبل ذلك وهو قوله تعالى « ولدينا مزيد » وكان الحسن رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » الزيادة هى النظر إلى وجه ربهم الكريم وليس شىء أحب إلى أهل الجنة من يوم الجمعة لأنه يوم المزيد الذى يرون فيه ربهم جل وتعالى وكان بعضهم يقول فى قوله تعالى ولدينا مزيد المزيد ما يزوجون من الحور العين وكان كثير بن مرة رضى الله عنه يقول ان من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول لهم ماتريدون أن أمطركم فلا يتمنون شيئا إلا أمطروه وكان يقول أيضا لئن أشهدنى الله تعالى ذلك لأقولن لها أمطرى لنا جوارى مزينات وتقدم حديث ابن عمر رضى الله عنهما أو أكرمهم على الله من ينظر إلى وجه الله تعالى بكرة وعشيا وفى رواية غدوة وعشيا (قال الامام القرطبى) وهذا يدل على أن أهل الجنة مختلفو الحال فى الرؤية وكان أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه يقول ان لله تعالى عبادا لو حجبهم فى الجنة عنه ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها انتهى والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب فيما قاله العلماء فى تفسير آيات تتعلق بالجنة ﴾

كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول فى قوله تعالى « ونزعنا ما فى صدورهم من غل » ان أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان يشربون من إحدى العينين فيذهب الله تعالى ما فى قلوبهم من غل ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون منها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم وتعرف فيها نضرة النعيم زاد فى رواية عن على رضى الله عنه فلا تغير أبشارهم ولا تشعث أشعارهم أبدا ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » وفى رواية عن على رضى الله عنه أنه قال : إذا أراد أهل الجنة دخول الجنة وجدوا على باب

والليالى وقد كان الله عزوجل يأمر رضوان فيحملنا على جناحه فنشرف عليك وعلى أفعالك المليحة ويقول لنا هذا سيدكم فرأيناك وعرفناك وكلما اشتقنا إليك نخرج من أبواب القصور فنقول له والله ما ندخل إلى قصورنا حتى ترينا ساداتنا فيحملنا رضوان إلى الدنيا فتنظر كل حوراء سيدها وهو لا يعلم فان وجدته فى ظلام الليل يصلى تفرح وتقول له اخدم تخدم وازرع تحصد ياسيدى رفع الله درجتك وتقبل طاعتك وجمع بينى وبينك بعد أن تعيش عمرا طويلا وتمنى بعد ذلك فى خدمة الملك الجليل ونبل أشواقنا منكم ونرجع بعد ذلك إلى منازلنا فى الجنة وأنتم فى الدنيا لا تعلمون وما من مؤمن فى الدنيا إلا وله فى الجنة خدم وغلمان وجوار يرونه وهو لا يعلم فاذا وجدوه فى الخدمة يفرحون وإذا وجدوه غافلا حزنوا ثم يؤتون بفواكه

الجنة عينين فاذا شربوا من إحداهما فلا تشعث شعورهم ولا تغير جلودهم بعدها أبدا كأنما دهنوا بالدهن فاذا شربوا من الأخرى طهرت أجوافهم وغسلت من كل قذر ودرن وتتلقاهم على كل باب من أبواب الجنة ملائكة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم تتلقاهم الولدان فيطوفون بهم كما يطوف ولدان الدنيا بالحميم يجيء من الغيبة الطويلة ويقولون له أبشر بما أعد الله تعالى لك قد أعد لك في الجنة كذا وكذا ثم يذهب الغلام منهم الى الزوجة من زوجاته فيقول لها قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في دار الدنيا فتقول له أنت رأيته ثم تستخفها العجلة من الفرح حتى تقوم على أسكفة الباب ثم ترجع فيجيء فينظر الى تأسيس بنيانه من جنادل اللؤلؤ من أخضر وأحمر وأصفر ومن كل لون ثم يجلس فينظر فاذا زرابي مبثوثة وأكواب موضوعة ثم يرفع رأسه إلى سقف بنيانه فلولا أن الله تعالى أقدره على رؤيته لذهب بصره لأنه مثل البرق ثم يقول الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . (وروى) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى «جنات عدن يدخلونها» قال الجنان سبع دار الجلال ودار السلام وجنة عدن وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة النعيم وروى عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في قوله تعالى «يحلون فيها من أساور من ذهب» قال ليس أحد من أهل الجنة الا وفي يديه ثلاثة أساور سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ قال المفسرون والحكمة في ذلك أن ملوك الدنيا لما كانت تلبس الأساور والتيجان جعل الله مثل ذلك لأهل الجنة لأنهم ملوك . وروى ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة في قوله تعالى «ولباسهم فيها حرير» قال كل مؤمن له في الجنة درة مجوفة في وسطها شجرة تنبت الحلل في كل يوم سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والمرجان والزبرجد وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول بلغني أن ولي الله يلبس حلة ذات وجهين يتجاوبان بصوت مليح تقول التي على جسده أنا أكرم على ولي الله منك أنا أمس بدنه وأنت لا تمسينه وتقول التي على وجهه أنا أكرم على ولي الله منك انى أرى وجهه وأنت محجوبة عن وجهه لا ترينه . وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول أن رسول الله ﷺ قال «من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع الروحانيين قيل ومن الروحانيون يارسول الله قال قراء أهل الجنة» قال العلماء رضي الله عنهم وكذلك القول فيما ورد فيمن لبس الحرير أو شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها يحرم ذلك في الآخرة لكن اذا دخل الجنة بالشفاعة تمكن من لبس الحرير وشرب الخمر في الجنة لأن الجنة ليست بدار عقوبة ولا مؤاخذة انما العقوبة من حين الموت الى مجاوزة الصراط والله تعالى أعلم (وروى) عن ابن عباس في قوله تعالى «متكئين فيها على الأرائك» أي على السرر في الحجال لأن الأرائك هي السرر قال وقد قال ﷺ «ان الرجل ليتزوج في الشهر الواحد أي في مقداره ألف حوراء يعانق كل واحدة منهن بقدر عمره في الدنيا» وفي رواية ان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان يقول : ان الرجل من أهل الجنة ليعانق الحوراء مقدار سبعين سنة لا يملها ولا تمله كلما أتاها وجدها بكرا وكلما رجعت اليه عادت اليه شهوته اليها قوة سبعين رجلا ليس منه مني ولا منها مني وكان المسيب بن شريك يقول في قوله تعالى «إنا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا» قال هن عجائز الدنيا ينشئهن الله تعالى خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وروى هذا التفسير عن رسول الله ﷺ وان عائشة لما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال «ان الرجل من أهل الجنة ليتنعم مع زوجته في اتكاءة واحدة سبعين عاما فتناديه زوجة أخرى هي أبهى وأجمل من غرفة أخرى أما آن لنا منك نصيب بعد فيلتفت اليها فيقول لها من أنت فتقول أنا من اللاتي قال الله تعالى فيهن «ولدينا مزيد» «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» فيتحول اليها فيتنعم معها في اتكاءة واحدة سبعين عاما فتناديه

البساتين التي لهم ويدخل ملك آخر ومعه بقجة فيها ألف من الحلل بطراز من الذهب مكتوب عليها من أسمائه العظيمة فيقول ذلك الملك ياولي الله انظر الى هذه الحلل فان أعجبك شكلها والا انقلبت الى الشكل الذي تريده أنت وتشتهيه ثم يدخل ملك آخر ومعه أصناف الحلي وحلي الدنيا يشخشخ وحلي الآخرة يسبح الله سبحانه وتعالى تسبيحا يطرب السامعين فيسجد المؤمن شكرا لله سبحانه وتعالى ثم تسلم عليه الملائكة الذين جاءوا بهدية صلاة الصبح وهدية صلاة الظهر وهدية صلاة العصر وهدية صلاة المغرب وهدية صلاة العشاء الأخيرة كذلك فيجمع المؤمن الأطباق والأواني اذا فرغت ويسلمها للملائكة فتضحك الملائكة وتقول له تحسبون أنفسكم

أخرى من غرفة أخرى هى أبهى وأجمل أما آن لنامنك دولة بعد فيلتفت اليها فيقول لهـا من أنت فتقول أنا من اللائى قال الله تعالى فيهن «فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» فيتحول اليها فيتنعم معها فى اتكاءة واحدة سبعين عاما فهم كذلك يدورون أبد الآبدين وكان قتادة رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى «إن أصحاب الجنة اليوم» أى فى الآخرة «فى شغل» يعنى بالشغل فى افتضاض العذارى «فاكهون» أى مسرورون «هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون» قلت ولعله تعالى انما قال فى شغل ولم يقل فى جماع ليعلم عباده أن يكنوا عن الأمور التى يستحيا من ذكرها فى العرف والله تعالى أعلم * وقال العلماء فى قوله «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا» ليس فى الجنة ليل ولا نهار وانما هم فى نور أبدا وانما يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق الأبواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب . وروى الحكيم الترمذى أن رجلا قال يارسول الله هل فى الجنة من ليل ونهار فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس هناك ليل وانما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو وتأتيهم طرف الهدايا لمواقيت الصلاة التى كانوا يصلون فيها وتسلم عليهم الملائكة . وروى عن مجاهد فى قوله تعالى «ودانية عليهم ظلالها» يعنى ظلال الشجر «وذللت قطوفها تذليلا» أى ذللت لهم ثمارها يتناولون منها كيف شاءوا وان قام أحدهم ارتفعت بقدرة الله وان قعد تدلت اليه وان اضطجع تدلت اليه حتى ينالها . وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول فى قوله تعالى «وأمددناهم بفاكهة» الثمار كلها رطبها ويابسها فاكهة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان خلق أهل الجنة اذا دخلوا الجنة ستون ذراعا كالنخلة السحوق يأكلون من ثمار الجنة قياما» زاد فى رواية والذى نفس محمد بيده انهم ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فرشهم فما تصل الثمرة الى فم أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى «يسقون من رحيق» هو الخمر «ختامه مسك» هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلا وضع اصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها «وفى ذلك فليتنافس المتنافسون» أى فى الدنيا بالأعمال الصالحة وكان يقول فى قوله تعالى «كان مزاجها زنجبيلا» انما مثل بالرحيق يعنى الخمر والزنجبيل لكون العرب كانوا يستطيبون الزنجبيل والخمر اذا خلطا فخاطبهم الله بما كانوا يعرفون ويحبون كأنه تعالى يقول لكم فى الآخرة مثل ما تحبون فى الدنيا من الطعام والشراب والفواكه ان متم على الإيمان وكان مجاهد يقول فى قوله تعالى «وعندهم قاصرات الطرف عين» أى قاصرات الطرف على النظر إلى أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم وان المرأة منهن لتقول لزوجها وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك ومعنى عين أى عظيمة العين . وقال فى قوله تعالى «حور مقصورات فى الخيام» ان كل خيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب وكان الحكيم الترمذى رضى الله عنه يقول بلغنا أن سحابة مطرت من العرش فخلق الله تعالى من كل قطرة خيمة مجوفة فيها حوراء لم ير أحسن منها وسعة كل خيمة منها أربعون ميلا على شاطىء أنهار الجنة وليس لهذه الخيام أبواب ولكن اذا دخل ولى الله تعالى الخيمة انصدعت الخيمة عن باب وذلك ليعلم ولى الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم ترها قبل ذلك قال وهذه الخيام والحور المذكورات جزاء الأعمال التى عملها العبد فى دار الدنيا ولم يطلع عليها الا الله فجازاه الله تعالى من جنس أعماله وأعطاه مالم يخطر على قلب بشر وكان المعتمر بن سليمان رضى الله عنه يقول ان فى الجنة لنهرا ينبت الجوارى الأبكار انتهى وكان يقول ان أهل الجنة يركبون الرفارف الخضر فتسير بهم حيث شاءوا فاذا ركبوا الرفارف التى هى كالخيل أو قال كالفرس أخذ اسرافيل فى السماع فتميل الناس يمينا وشمالا وخفضا ورفعا من حلاوة سماع صوته وقد روى فى الخبر أنه ليس أحد من خلق الله تعالى أحسن صوتا من اسرافيل وأنه اذا

فى دار الدنيا تأكلون الهدية وتردون الأوانى الى صاحب الهدية لأن صاحب الهدية فى دار الدنيا مقل محتاج الى الذى بعث لكم فيه وهذه الآن من عند الرب العظيم الغنى الكريم الذى لا ينقص ملكه ولا تفنى خزائنه وهو الذى يقول للشىء كن فيكون وان هذه الأوانى والذى فيها لكم لأنكم كنتم فى دار الدنيا ترفعون الى الله فى كل يوم وليلة خمس صلوات والآن خذوا لكم جزاء من الله سبحانه وتعالى فى كل يوم وليلة خمس هدايا ومن كان فى الدنيا يرفع له الى الله عز وجل أكثر من الفرائض والنوافل يبعث له الحق أكثر من خمس هدايا على قدر ما يعمل ياحبيبى من خدم خدم ومن زرع حصد ومن خسر ندم * قالت الصحابة يارسول الله هل فى الجنة ليل ونهار قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس فى الجنة ظلمة أبدا وان العرش سقف الجنة

شرع فى السماع يقطع على أهل السموات السبع صلاتهم وتسبيحهم ثم إذاركبوا الرفارف وأخذاسرافيل فى السماع يكون غناؤه بأنواع الغناء لكن من التسبيح والتقديس للملك القدوس فلم يتخلف عن حضوره شجرة فى الجنة ولم يبق فيها ستر ولا باب إلا ارتج وانفتح ولم تبق حلقة على باب إلا طنت بأنواع الطنين كلها ولم يبق أجمة من آجام الذهب ولا قصبة فيها إلا زمرت بفنون الزمر ولم تبق جارية من جوارى الحور العين إلا غنت بأنواع الغناء وكذلك جميع طيور الجنة قال وبلغنا أن الله تعالى يوحى إلى الملائكة أن جاوبوهم وأسمعوا عبادى الذين كانوا ينزهون أسماعهم فى دار الدنيا عن مزامير الشيطان فيجاوبونهم بألحان وأصوات روحانية فتختلط هذه الأصوات كلها فتصير رجة واحدة ماسمع بألذمنها قال ثم ان الله تبارك وتعالى يقول لداود عليه الصلاة والسلام قم عند ساق عرشى فمجدنى فيندفع داود يمجد ربه بصوت يغمر الأصوات كلها فتتضاعف اللذة أضعافا مضاعفة هذا وأهل الخيام على تلك الرفارف تهوى بهم وتصعد كيف أرادوا وطلبوا وقد حفت بهم أفانين اللذات والأغانى فذلك قوله تعالى «فهم فى روضة يحبرون» فان الروضة هى اللذة والسماع انتهى وكان مجاهد يقول فى قوله تعالى «على سرر متقابلين» أى لا ينظر بعضهم فى قفا بعض تواصلا وتحابيا لأن الأسرة تدور بهم كيف شاؤا قال بعض العلماء من جملة التقابل أن عين أحدهم اليمنى تقابل عين أخيه اليمنى كما ينظر الشخص وجهه فى المرآة عكس ما فى الدنيا والله أعلم .

﴿ باب ما جاء فى أطفال المسلمين والمشركين ﴾

روى الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابن عبد البر وغيرهما عن على رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى «كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين» قال هم أطفال المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم قال ابن عبد البر والجمهور على أن أطفال المسلمين فى الجنة وذهب طائفة إلى الوقف فيهم وفى أولاد المشركين فلا يحكم عليهم بجنة ولا نار وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الأطفال فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وقال هكذا أطلق الأطفال ولم يخص طفلا من طفل وفى منهاج الحليمى ما نصه وقد توقف فى ولدان المسلمين من توقف فى ولدان المشركين وقال إذا كان كل منهم يعامل بما علم الله تعالى منه أنه فاعله لو بلغ فكذلك ولدان المسلمين واحتج رحمه الله تعالى بأن صبيا صغيرا مات لرجل من المسلمين فقالت احدى نساء النبى صلى الله عليه وسلم طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم «وما يدريك فان الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا» قال فهذا يدل على أنه لا ينبغى أن يقطع فى أطفال المسلمين بشىء قال الحليمى وهذا الحديث يحتمل أن يكون انكارا من النبى صلى الله عليه وسلم على التى قطعت بأن الصبى فى الجنة إذ القطع بذلك قطع بإيمان أبويه ويحتمل أن يكونا منافقين فيكون الصبى ابن كافرين فيخرج هذا على قول من يقول انه يجوز أن يكون ولدان المشركين فى النار ويحتمل أن يكون انكاره صلى الله عليه وسلم انما كان لعدم نزول الوحى عليه بشىء فى ولدان المسلمين ثم أنزل عليه بعد ذلك قوله تعالى «والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم» فانه تعالى ألحق بالذين آمنوا فى الحياة الدنيا ذرياتهم فى الآخرة فثبت بذلك أن ولدان المسلمين فى الجنة انتهى وفى الحديث الذى رواه أبو داود الطيالسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما أسرى بى سمعت صوت أطفال فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال هؤلاء ذرية أهل الاسلام الذين ماتوا قبل آبائهم تكفل بهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام حتى يلحق بهم آباؤهم انتهى فدل هذا أيضا أنهم فى الجنة وأطال الامام القرطبى فى ذلك بنحو ثلاث أوراق وقال أصح ما فى الباب أن أولاد المسلمين والكفار الذين لم يبلغوا الحلم فى الجنة والله تعالى أعلم .

﴿ باب ما جاء فى نزول أهل الجنة وتحفتهم إذا دخلوها ﴾

روى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: تكون الأرض يوم

كما أن السماء سقف الدنيا والعرش يتلألأ نورا وهو مخلوق من نور أخضر ومن نور أحمر ومن نور أصفر ومن نور أبيض فمن ألوان نور العرش اتصفت الأنوار جميعا بالأخضر والأصفر والأحمر والأبيض فى الدنيا والآخرة والشمس فيها قدر خردلة من نور العرش ولكن علامة الليل والنهار فى الجنة إذا مضى النهار وأتى الليل أن ترد أبواب القصور وترخى الستور ويختلى المؤمن مع الحور العين فى الخدور ومع نسائهم الآدميات ومنهم من يختلى بمشاهدة الملك الغفور فاذا طلع النهار تفتح أبواب القصور وترفع الستور وتسبح الطيور وتسلم عليهم الملائكة وتأتيهم بالهدايا بأمر الحق سبحانه وتعالى كما ذكرنا وأولادهم واخوانهم وأقاربهم يزورونهم فياويل من دخل النار والجحيم وحرم من هذا النعيم المقيم * وإذا أراد المؤمن أن يرى

القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفرة نزلا لأهل الجنة فجاء رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة قال بلى قال نزلهم خبزة واحدة قال له فما إدامهم قال ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفا قال وأما تحفتهم حين يدخلون الجنة فهى زيادة كبد النون قال وأما غداؤهم على أثر ذلك فهو ثور من الجنة ينحر لهم كان يأكل من أطرافها قال وأما شرابهم عليه فهو من عين تسمى سلسبيلا انتهى فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهودى صدقت قال العلماء : والنزل هو ما يهيأ للضيف النازل على قوم أول نزوله عليهم وأما التحفة فهو ما يتحف به الضيف من الفواكه والطرف والمحاسن وزيادة كبد النون هى قطعة منه كالاصبع وفى الحديث « سيد إدام أهل الجنة اللحم » والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء أن مفتاح الجنة قول لا إله إلا الله والصلاة ﴾

روى أبو داود الطيالسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مفتاح الصلاة الوضوء ومفتاح الجنة الصلاة » وروى البيهقى عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين بعثه إلى اليمن « ان سألك أهل الكتاب عن مفاتيح الجنة فقل لهم هى شهادة أن لا إله إلا الله » وفى حديث البخارى أنه قيل لوهب بن منبه أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك والأسنان هو توحيد الله تعالى وامتثال أمره واجتناب نهيه لا توحيده فقط والايمان قول وعمل لا أحدهما فقط كما يشهد لذلك قواعد الشريعة وفى الحديث أن ملك الموت حضر رجلا عند الموت فنظر فى كل عضو من أعضائه فلم يجد حسنة واحدة ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيئا ثم فك عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكه يقول لا إله إلا الله فقال وجبت لك الجنة بقولك كلمة الاخلاص انتهى أى وهو تحت المشيئة فيما أخل به من الأوامر والنواهى فان شاء الحق تعالى عذبه ثم أدخله الجنة وان شاء عفا عنه ثم أدخله الجنة لأن التوحيد بذاته يدخل صاحبه الجنة لا بد من ذلك كما أنه لا يخلد فى النار موحد والحمد لله رب العالمين .

﴿ كتاب الفتن والملاحم وأشراط الساعة * باب الكف عمن قال لا إله إلا الله ﴾

روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فاذا قالوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى .

﴿ باب ما جاء فى أن المؤمن حرام دمه وماله وعرضه وفى تعظيم حرمته عند الله تعالى ﴾

روى ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع « ألا ان أحرم الأيام يومكم هذا وان أحرم البلاد بلدكم هذا ألا وان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا وان دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت قالوا نعم يا رسول الله فقال اللهم اشهد » وأخرجه مسلم من حديث أبى بكر وجابر بمعناه . وأخرج ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طاف بالكعبة « ما أطيبك وأطيب ريحك وأعظم حرمتك ولكن والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله منك ماله ودمه وأن لا يظن به الا خيرا » وفى حديث مسلم أيضا « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » وفى حديث النسائى « ان قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا » وفى حديث الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم « من أشار على أخيه بحديدة لعنته الملائكة » والله أعلم وفى القرآن العظيم « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم » الآية وقال تعالى فى سياق النهى عن الزنا والقتل « ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له

صاحبه يمشى به السرير الذى هو أسرع من البرق الخاطف وإذا خطر للآخر أن يرى صاحبه مشى سريره كالفرس الجواد فيلتقيان فى ميادين الجنة فيتحدثان ويتفرجان فى تلك البساتين ثم يرجع كل واحد منهما إلى مكانه وإلى قصره ولكل قصر غرف مشرفة لكل غرفة سبعون بابا لكل باب مصرعان من الذهب على كل باب شجرة ساقها من المرجان الأحمر فيها سبعون ألف غصن يحمل كل غصن سبعين ألف لؤلؤة بعضها مثل البيض وبعضها مثل الحمص وبعضها أصغر من ذلك فان شاءوا أخذوا من الكبار وان شاءوا من الصغار ولا يأخذون لؤلؤة إلا نبت مكانها لؤلؤتان وشجرة تحمل زمردا وشجرة تحمل ياقوتا فمهما أرادوا أخذوا ولبسوا وفوق تلك الأشجار طيور خضر كل طير بقدر الناقة يسبح الله تعالى على تلك الأغصان

العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب » الآية (وروى) أبو نعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذي نفسي بيده ما عمل على وجه الارض عمل أعظم عند الله بعد الشرك من سفك دم حرام والذي نفسي بيده ان الارض لتضج الى الله تعالى من ذلك ضجيجا أو قال عجيجا تستأذنه فيمن عمل ذلك على ظهرها أن تنخسف به » وفي حديث أبي داود أن رسول الله ﷺ قال كل ذنب عسى الله أن يغفره الا من مات مشركا أو مؤمنا قتل مؤمنا متعمدا » وفي الحديث « لا يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دما حراما وفي رواية لا يزال المؤمن متقيا صالحا مالم يصب دما حراما فاذا أصاب دما حراما بأج - أي انقطع - ودخل النار » قاله الهروي وفي الحديث أيضا « من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوبا على جبهته آيس من رحمة الله » قال شقيق وشطر الكلمة هو أن يقول في اقتل اق فقط دون التاء واللام والله أعلم .

﴿ باب اقبال الفتن ونزولها كمواقع القطر والظلال ومن أين تجيء وفضل العبادة أيام الفتن ﴾

قال الله تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ونحوها من الآيات وفي حديث مسلم أن رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى تكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا » وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما فزعا محمرا وجهه يقول « لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه » وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها فقالت زينب رضي الله عنها أنهلك وفينا الصالحون قال « نعم اذا كثر الخبث » وفي الحديث عن أسامة أن النبي ﷺ أشرف على أطم من آطام المدينة ثم قال « هل ترون ما أرى اني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر » رواه وما قبله البخاري وروى البيهقي أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل للاسلام من منتهى فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أيما أهل بيت من العرب والعجم أراد الله بهم خيرا أدخل عليهم الاسلام فقال الرجل ثم ماذا يا رسول الله قال ثم وقوع الفتن كالظلل فقال الرجل كلا والله ان شاء الله قال بلى والذي نفسي بيده لتعودن فيها أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض » أي لتعودن يعلو بعضكم ويرتفع اذا أراد أن يؤذي أخاه المسلم لان الاساود جمع أسود وهي الحية السوداء اذا أرادت أن تنهش ارتفعت ثم انتصبت وانخفضت قاله الازهري . وروى مسلم عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت « استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فزعا يقول سبحان الله ماذا فتح الليلة من الخزائن وماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحب الحجر - يريد أزواجه - لكي يصلين رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة » وروى أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة فقال « يا أصحاب الحجرات سعرت النار وجاءت الفتن كأنها قطع الليل المظلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » وفي الحديث عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الفتنة تجيء من ههنا وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض وانما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله له : وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا » وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال « العبادة في الهرج كالهجرة إليّ » قال العلماء في حديث أنهلك وفينا الصالحون قال نعم الى آخره . وفي ذلك دليل على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين اذا كثر الصالحون فان كثر المفسدون وقل الصالحون هلك الكل اذا لم يكرهوا ذلك ولم ينكروه وهو معنى قوله تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » بل يعم شؤمها من يتعاطاها ومن رضيها هذا بفساده وهذا برضاه واقراره وروى أن الله تعالى أمر ملكا من الملائكة أن يخسف بقرية فقال يارب ان فيها فلانا العابد فأوحى الله تعالى اليه أن به فابدأ فانه لم يتغير وجهه حين انتهكت محارمي . وكان وهب بن منبه يقول لما أصاب داود عليه الصلاة والسلام الخطيئة قال يارب اغفر لي فقال قد غفرتها لك وألزمت عارها بني اسرائيل فقال كيف

ويقول ياولي الله أكلت من ثمار الجنة وشربت من أنهارها فكل مني فيقع على المائدة بقدرة الله تعالى بعضه مشوي وبعضه مقلي وبعضه مطبوخ بحلو وبعضه مطبوخ بحامض على ألوان مختلفة فيأكل منها المؤمنون والمؤمنات والحور العين حتى تبقى عظامه ثم يعود كما كان بقدرة الله عز وجل ويقعد ذلك الطير على الغصن يسبح الله تعالى وتلك الحلل تشتاق الى أولياء الله سبحانه وتعالى متى يلبسونها وان القصور والحجر كلها صناعة من يقول للشيء كن فيكون ليس فيها قطع ولا وصل فيدخل المؤمن ويتفرج فيها ويسكن فيها سبعين عاما وهو ينعم ويتفرج من قصر الى قصر ومن بستان الى بستان وخيول الفردوس ياقوت أحمر سروجها زمرد أخضر لها جناحان من ذهب غذاها من فضة ولها يدان ورجلان فتقول اركبني ياولي الله ان

يارب وأنت الحكم العدل الذى لا يظلم أحدا أعمل أنا الخطيئة ويلزم عارها غيرى فأوحى الله تعالى اليه ياداود انك لما اجترأت على تلك المعصية لم يعجلوا عليك بالنكير وفى حديث أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اذا عملت الخطيئة فى الارض كان من شهدها فأنكرها وكرهها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كمن شهدها» وبلغنا أن رجلا حسن قتل عثمان عند الشعبى فقال له قد شاركت فى دمه وفى حديث الترمذى «ان الناس اذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده» انتهى وكان الامام مالك رحمه الله يقول تهجر الارض التى يصنع فيها المنكر جهارا ولا ينبغى الاستقرار فيها واحتج بصنيع أبى ذر وخروجه من أرض معاوية حين أعلن بالربا وأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها كما روى فى الصحيح. وكان مالك رحمه الله تعالى يقول أيضا اذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد فى الارض وكان يقول ان لزوم الجماعة نجاة وان قليل الباطل وكثيره هلكة وكان يقول ينبغى للناس أن يغضبوا لأمر الله اذا انتهكت فرائضه وحرمه وخالف الناس ما أتت به الكتب والانبياء، وكان يقول: لا تنبغى الاقامة بأرض يكون العمل فيها بغير السنة وما كان عليه السلف، وكان رحمه الله يقول هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والرضا بأقل القوت انتهى فاذا كان هذا القول من أهل المائة الثانية فكيف بأهل النصف الثانى من القرن العاشر الذى صار القابض فيه على شىء من دينه كالقابض على الجمر ومن يقدر على جمرة ترعى فى كفه ولا يرمى بها عنه، هذا كالتكليف بما لا يطاق الا أن يحف العبد عناية الله عز وجل فنسأل الله اللطف بنا والموت على الشهادتين آمين والحمد لله رب العالمين.

﴿ باب فى رحى الاسلام ومتى تدور ﴾

روى أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول «تدور رحى الاسلام بخمس وثلاثين أوست وثلاثين أوسبع وثلاثين فان هلكوا فسبيل من هلك وان لم يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما قال فقلت مما بقى أو مما مضى فقال مما مضى» قال العلماء دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال شبههما بالرحى الدوارة التى تطحن كل ما يكون فيها من قبض الارواح وهلاك الانفس. والمراد بقوله بخمس وثلاثين الى آخره ان هذه المدة اذا انقضت حدث فى الاسلام أمر عظيم يخاف على أهله الهلاك فان به تنقضى مدة الخلافة وتحدث الفتن قال فدارت الرحى لسنة خمس (١) فان فيها قام أهل مصر وحصروا عثمان رضى الله عنه ولسنة ست ففيها خرج طلحة والزبير الى وقعة الجمل ولسنة سبع ففيها كانت وقعة صفين فصلى الله وسلم على الصادق المصدوق الذى لا يخبر عن شىء الا ويأتى مثل فلق الصبح ومعنى يقم لهم دينهم أى ملكهم وسلطانهم وذلك من حين بايع الحسن معاوية الى انقضاء خلافة بنى أمية وذلك من نحو سبعين سنة والله أعلم.

﴿ باب ماجاء أن عثمان لما قتل سل سيف الفتنة ﴾

روى الترمذى أن عثمان لما أريد جاءه عبد الله بن سلام فقال له عثمان ماجاء بك قال جئت فى نصرتك قال اخرج الى الناس فاطردهم عنى فانك خارج خير لى من داخل فخرج عبد الله بن سلام الى الناس فقال أيها الناس انه كان اسمى فى الجاهلية فلان فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ونزلت فى آيات من كتاب الله نحو قوله تعالى «وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين» ونحو قوله تعالى «قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب» ان لله تعالى سيفا مغمودا عنكم وان الملائكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه نبيكم صلى الله عليه وسلم فالله الله فى هذا الرجل أن تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة ولتسلن سيف الله المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة. فقالوا بعضهم اقتلوا هذا اليهودى واقتلوا عثمان انتهى. ومثل هذا لا يقال من قبل

أراد أن تمشى مشت وان أراد أن تطير طارت وفيها نوق وهجان كذلك فيركب المؤمن على واحدة من تلك الخيول فتفتخر على الباقى ويركب معه من أراد من نسائه وخدمه فتسير بهم مسيرة سبعين عاما فى ساعة واحدة الى وسط جنته فينظر الى قصر من ذهب ودر فيه شجرة من جوهر حاملة حللا وورقها حلل وفيها ثمر كل ثمرة قدر شقة الراوية وهى أحلى من العسل فاذا أكلوا تلك الثمرة بقيت حبتها فيخرج من وسط كل حبة جارية أوغلام مكتوب على خدها اسم صاحبها أحسن من الشامة على الخد وتقول السلام عليك ياولى الله قد طال شوقى اليك ثم ينظرون بين تلك القصور الى أنهار من لبن وأنهار من عسل مصفى وعلى تلك الانهار قباب ياقوت وقباب در وقباب مرجان فيها من الخدم والحور

(١) هكذا بالنسخ ولعلها سنة خمس وعشرين الخ.

الرأى فلولا ان عبدالله سمع فى ذلك شيئا عن رسول الله ﷺ ماقاله وسيأتى قول حذيفة رضى الله عنه لعمر: إن بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن يكسر . والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ باب ظهور الفتن وانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه ﴾

روى البخارى عن الزبير بن عدى رضى الله عنه قال أتينا أنس بن مالك فشكونا اليه مانلقى من الحجاج ابن يوسف الثقفى فقال اصبروا فانه لا يأتى عليكم زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعت ذلك من نبيكم ﷺ (وروى) الشيخان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا يارسول الله وما الهرج قال القتل القتل» قال العلماء ومعنى يتقارب الزمان أى تقصر الأعمار وتقل البركة فيها وقيل المراد به قصر مدة الأيام كما يدل عليه حديث «ان الزمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كاحتراق السعفة» رواه الترمذى قال الخطابى ويحتمل أن يكون تقارب الزمان من شدة الالتذاذ بالعيش كما فى أيام المهدى عليه السلام ، ومعنى يلقى الشح أى يتلقى وتتواصى الناس به ويدعون اليه ويتعلمونه ومنه « فتلقى آدم من ربه كلمات » أى فتعلمها قال الإمام القرطبى: ومعنى ذلك أن الشح يزيد لانه يوجد فان الشح لم يزل موجودا قبل تقارب الزمان والله أعلم .

﴿ باب ماجاء فى الفرار من الفتن وكسر السلاح فيها وحكم المكره عليها وملازمة البيوت عند الفتن ﴾

روى مالك عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن» (وروى) مسلم عن أبى بكرة قال قال رسول الله ﷺ « انها ستكون فتن ثم فتن ثم فتن القاعد فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى فاذا نزلت أو قال وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه فقال رجل يارسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض قال يعمد الى سيفه فيكسره بحجر ثم لينج إن استطاع النجاة اللهم هل بلغت قالها ثلاثا فقال رجل يارسول الله أرأيت ان أكرهت حتى ينطلق بى الى أحد الصفين أو احدى الفئتين فيضربنى رجل بسيفه أو يجىء سهم فيقتلنى قال يبوء باثمه واثمك فيكون من أصحاب النار» والله تعالى أعلم (وروى) ابن ماجه عن محمد بن مسلمة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «انها ستكون فتنة وفرقة واختلاف فاذا كان ذلك فأت بسيفك جبل أحد فاضرب به حتى ينقطع ثم اجلس فى بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية فقد وقعت وفعلت ماقاله النبى صلى الله عليه وسلم» (وروى) أبو داود عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساعى قالوا فما تأمرنا يارسول الله قال كونوا أحلاس بيوتكم» أى الزموا بيوتكم كما يلزم الحلس ظهر الجمل وفى مراسيل الحسن البصرى رضى الله عنه وغيرها عن النبى ﷺ «نعم مواضع المؤمنين بيوتهم» أى مكانهم الذى يعتزلون فيه والا فقد تكون العزلة فى الكهوف كما قال تعالى «إذ أوى الفتية إلى الكهف» وقد دخل سلمة بن الأكوع على الحجاج وكان ممن خرج الى الربذة حين قتل عثمان فتزوج امرأة هناك وولدت له أولادا فلم يزل بها الى ان كان قبل موته بليال نزل المدينة فقال له الحجاج ارتددت على عقبك فقال لم يكن ذلك ولكن رسول الله ﷺ أذن لنا فى سكنى البادية انتهى ولم تزل الناس يعتزلون أيام الفتن كما أن منهم من لم يزل يخالط الناس كل واحد على مايعلم من نفسه ويتأتى له من نفسه ومنهم من يخالط أول عمره ثم يعتزل الناس آخر عمره وبالعكس

والولدان شىء كثير فيقولون كلهم ياولى الله قد طال شوقنا اليك فيمكث المؤمن فى نعيم ولذة مع كل زوجة من زوجاته يتمتع بجمالها وتتمتع بجماله مكتوب اسمه على صدرها واسمها على صدره أحسن من الشامة يرى وجهه فى نور وجهها وفى صدرها وترى وجهها فى وجهه وصدره من كثرة الأنوار التى عليهم فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الهدايا من ربهم وهم يقولون السلام عليكم يا أولياء الله هذه هدية من عند ربكم «سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» فتحمل الخدم الموائد بعضها من الدر وبعضها من الياقوت وبعضها من الذهب وعليها أوان فيها ألوان الأطعمة ولحم طير مما يشتهون وفوقها مناديل خضر مكللة باللؤلؤ فيأكل هو وزوجته الآدمية معه لأن نصف الهدية له ونصفها لها بما جاهدت فى طاعة الله عز وجل وهم يتلذذون بالنظر

وبلغنا عن الإمام مالك أنه اعتزل الناس أواخر عمره فأقام ثماني عشرة سنة لم يخرج إلى المسجد فقيل له في ذلك فقال ليس كل أحد يمكنه أن يخبر بعذره وقد اختلف أصحابه في عذره على ثلاثة أقوال فقيل لئلا يرى المناكير فلا يقدر على ازالتها وقيل لئلا يمشي الى السلطان وقيل كانت به أبردة فكان يرى تنزيه المسجد عنها ذكره القاضي أبو بكر العربي رحمه الله والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب منه وكيف التثبت أيام الفتنة وذهاب الصالحين ﴾

روى ابن ماجه ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما دخل البصرة قال لأهبان رضي الله عنه ألا تعينني ياأبا مسلم على هؤلاء القوم فقال بلى ثم دعا بجارية فقال ياجارية أخرجي لي سيفي فأخرجته فسل منه قدر شبر فاذا هو خشب فقال ان خليلي وابن عمك رسول الله ﷺ عهد الى اذا كانت فتنة بين المسلمين ان أتخذ سيفا من خشب وقد اتخذته فان شئت خرجت معك قال لاحاجة لي فيك ولا في سيفك وفي حديث أبي داود أن رسول الله ﷺ قال « ان بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم - فذكر الحديث الى أن قال - فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا بسيوفكم الحجارة فان دخل على أحد منكم فليكن خير ابني آدم » يعني هابيل وتلا هذه الآية « لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين » (وروى) ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال « كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي فيغربل الناس فيه غربلة يبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فقالوا كيف بنا يارسول الله إذا كان ذلك الزمان قال تأخذون ماتعرفون وتدعون ماتنكرون وتقبلون على خاصتكم وتذرون عامتكم » وفي رواية للنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما « اذا رأيت الناس مرجت عهودهم - أي اختلطت - وخفت أماناتهم فالزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ماتعرف ودع ماتنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة » وفي حديث الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « انكم في زمان من ترك منكم عشر ماأمر به هلك وسيأتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ماأمر به نجا » (وروى) ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لتنتقون كما ينتقى التمر من الحثالة فليذهبن خياركم وليبقين شراركم فموتوا ان استطعتم » (وروى) البخاري أن رسول الله ﷺ قال « يذهب الصالحون الأول فالأول وتبقى حثالة كحثالة الشعير والتمر لايباليهم الله بالة » وفي رواية « لايعبأ الله بهم » والحمد لله العالمين .

﴿ باب الأمر بتعلم القرآن واتباع مافيه ولزوم الجماعة عند غلبة الفتن وظهورها وصفة دعاة آخر الزمان والأمر بالسمع والطاعة للخليفة وان ضرب الظهر وأخذ المال ﴾

روى أبو داود عن حذيفة رضي الله عنه قال « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت له يوما يارسول الله أبعد هذا الخير من شر فقال ياحذيفة تعلم كتاب الله واتبع مافيه قالها ثلاث مرات قال ثم قلت يارسول الله أبعد هذا الخير من شر فقال ياحذيفة تعلم كتاب الله واتبع مافيه قالها ثلاثا فقلت يارسول الله أبعد هذا الخير من شر قال فتنة وشر فقلت يارسول الله فبعد هذا الشر خير فقال ياحذيفة تعلم كتاب الله واتبع مافيه فلابد من وقوع فتن لاترجع قلوب أهلها الى ما كانت عليه قبل ذلك » وفي رواية « فقلت يارسول الله أبعد هذا الخير شر قال فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار فان مت ياحذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم » والجذل أصل الشجر كما سيأتي (وروى) أبو نعيم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

الى وجه الله الكريم فيكتفي الولي وزوجته والحور والولدان والخدم ولم تنقص تلك الموائد ولم تتغير وتلك الأطيار على الأغصان من فوق رءوسهم يتجاوبون بتحميد الحق وتمجيده بأصوات تطرب الوجود لم يسمع السامعون أحسن منها والملائكة يحدثونهم عن أيمانهم وعن شمائلهم ويبشرونهم ببشائر من ربهم فاذا أكلوا أياكلون أكلهم من غير جوع واذا شبعوا لايبولون ولا يتغوطون بل اذا شبعوا عرقوا عرقا أطيب رائحة من المسك تشرب به الحلل التي عليهم ولا تتسخ ثيابهم ولا يفنى شبابهم ولا يفرغ نعيمهم بل هو دائم أبد الآبدين ثم يدعوهم الحق تبارك وتعالى الى زيارته كل يوم جمعة مرة ومن القوم من يدعوهم في كل سنة مرة ومن القوم من يدعوهم في كل شهر مرة ومنهم من يشاهده في كل ثلاث سنين ومن القوم من يراه في المدة كلها

«خذوا العطاء مادام عطاء فاذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه بل تمنعكم من ذلك الحاجة والفقر ألا ان رحى السلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار ألا ان الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب إلا انه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم مالا يقضون لكم ان عصيتموهم قتلوكم وان أطعتموهم أضلوكم» قالوا يارسول الله كيف نصنع قال كما تصنع أصحاب عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب والذى نفسى بيده لموت فى طاعة الله خير من حياة فى معصية الله وفى حديث الشيخين عن حذيفة رضى الله عنه قال «كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت يارسول الله انا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم وفيه دخن فقلت وما دخنه قال قوم يستنون بغير سنتى ويهتدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر قلت هل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها فقلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت يا رسول الله فما تأمرنى ان أدركت ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وامامهم قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» وفى رواية «يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهديى ولا يستنون بسنتى وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس قال قلت كيف أصنع يارسول الله ان أدركت ذلك قال تسمع وتطيع وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» وفى رواية لأبى داود «قال حذيفة يارسول الله ثم ماذا يعنى بعد الشر الواقع قال يخرج الدجال معه نهر ونار فمن دفع فى ناره وجب أجره وحط وزره ومن وقع فى نهره وجب وزره وحط أجره قال ثم ماذا قال هو قيام الساعة» وروى أنه لا تقوم الساعة حتى يقع الفساد فى القلوب فيتقول بعضهم بعضا ويظهرون الصلح والاتفاق وفى باطنهم خلاف ذلك والله أعلم .

﴿ باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ﴾

روى مسلم عن أبى بكرة رضى الله عنه : قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قال فقلت أو قال فقيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه أراد قتل صاحبه» وفى رواية «انه كان حريصا على قتل صاحبه» قال العلماء وهذا محمول على من قاتل على الدنيا لا على الدين والاصلاح كقتال البغاة بدليل حديث البزار مرفوعا إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول فى النار بخلاف قتال نحو معاوية وعلى فانه على الدين لا على الدنيا والله أعلم . وروى مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا يدرى القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل فقيل كيف يكون ذلك قال الهرج . القاتل والمقتول فى النار» (وروى) أنه ﷺ قال «سيكون بين أصحابى فتنة يغفر الله لهم بصحبتهم إياى ثم يستن بها قوم من بعدهم فيدخلون النار بسببها» انتهى وفى هذا الحديث دليل على أن قتال الصحابة مغفور لأنه بتأويل صحيح والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء ان الله تعالى جعل بأس هذه الأمة بينها ﴾

قال الله تعالى «أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض» (وروى) مسلم عن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض يعنى الذهب والفضة كما قاله ابن ماجه وانى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربى قال يا محمد انى إذا قضيت قضاء فانه لا يرد وانى قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط

مرة واحدة وذلك على قدر منازلهم عند الله ومحبته وخدمتهم فى الدنيا لربهم فأما الذين يشاهدونه فى كل جمعة فالقوم الذين كسروا شبابهم وأفنوا أعمارهم فى خدمته من البلوغ إلى يوم الرحيل والذين يشاهدونه فى كل شهر مرة واحدة فهم القوم الذين أطاعوه وفيهم رمق الشباب والقوم الذين يرونه فى كل سنة مرة واحدة فهم الذين خدموا ربهم فى آخر عمرهم والقوم الذين يرونه فى المدة كلها مرة واحدة فهم الذين قد أفنوا أعمارهم فى المعاصى ما أحبهم ربهم ولكن لما تابوا لم يخيبهم فهم أقل أهل الجنة درجة . فبادروا أيام شبابكم بالطاعة واخدموا شوقا إلى لقائه فان له يوما يتجلى فيه لأوليائه وذلك أنه إذا كان يوم الجمعة واسمه عند أهل الجنة يوم المزيد يبعث الله عز وجل إلى أبواب القصور تفاحا من عنده

عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا » زاد في رواية أبي داود « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وانه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم انه نبي واني خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » وروى ابن ماجه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما صلاة فأطال فيها فلما انصرف قلت يا رسول الله أطلت اليوم الصلاة قال اني صليت صلاة رغبة ورهبة سألت الله فيها لأمتي ثلاثا فأعطاني اثنتين ورد علي واحدة سألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يهلكهم غرقا فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فردها علي ظاهرها » وفي رواية لمسلم « سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » وروى ابن ماجه عن أبي موسى الأشعري قال حدثنا رسول الله ﷺ « ان بين يدي الساعة لهرجا فقلت يا رسول الله ما الهرج قال القتل القتل فقال بعض المسلمين يا رسول الله انا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بقتل المشركين ولكن يقتل بعضكم بعضا حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته » الحديث .

﴿ باب ما يكون من الفتن التي أخبر النبي ﷺ بها وذكر الفتنة التي تموج موج البحر ﴾

روى مسلم عن حذيفة قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه » وفي رواية لأبي داود والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا إلا سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته (وروى) مسلم عن حذيفة قال « والله اني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وما بي الا أن يكون رسول الله ﷺ أسر إلي في ذلك شيئا لم يحدثه غيري ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن فقال وهو يعد الفتن منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار » قال حذيفة فذهب أولئك الرهط كلهم غيري * وروى أبو داود عن عبد الله بن عمر قال « كنا قعودا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن فأكثر فيها حتى ذكر فتنة الاحلاس فقالوا يا رسول الله وما فتنة الاحلاس قال هي هرب وحرب ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني وإنما أوليائي المتقون ثم تصطلح الناس على رجل كورك على ضلع ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدا من هذه الأمة الا لطمته لطمة فاذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا حتى يصير الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه فاذا كان ذلك فانتظروا الدجال من يومه أو من غده » (وروى) الترمذي عن أبي سعيد الخدري . قال « صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه » (وقوله) في الحديث السابق فتنة الاحلاس مراده بها فتنة الدوام أي يطول زمنها كما يلزم الحلس ظهر البعير يقال فلان حلس بيته أي لا يكاد يبرح منه وأما قوله وحرب فالمراد به زوال الأهل والمال يقال حرب الرجل فهو حرب إذا سلب أهله وماله (قال الامام القرطبي) وفي هذه الأحاديث دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعلمون ما يكون إلى يوم القيامة لكنهم لم يشيعوها كما أشاعوا أحاديث الأحكام المتعلقة بأعمال

فيسلمون إلى كل ولي تفاحة فاذا أمسكها الولي في يده انشقت نصفين ويخرج من وسطها جارية معها كتاب مختوم فتقول السلام يقرئك السلام وهذا كتابه اليك فيفتحه فاذا فيه مكتوب هذا كتاب من الله العزيز العليم إلى فلان ابن فلان اني قد اشتقت إليك فزرني ان كنت تشتاق إلي فيقول ومن أنا حتى يسأل عني إنما ذلك من تفضله سبحانه فاذا كان سيدي ومولاي يشتاق إلي فأنا إليه أشد شوقا فيركب الرجال النجائب والنساء الهوادج وتسير جميع الرجال إلى سيدنا محمد المصطفى ﷺ والنساء عند فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها ويركب النبي ﷺ البراق ويعقد له لواء الحمد وهو أربعة آلاف شقة من السندس الأخضر مكتوب عليه بالنور أمة مذنبة ورب غفور ويعقد اللواء فترفعه الملائكة على

المكلفين ويؤيد ذلك ما رواه البخارى عن أبى هريرة قال « حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين أما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم » أى مجرى الطعام وأما الفتنة التى تموج موج البحر فهو قول النبى ﷺ « هلاك أمتى على يدى اغيلمة من سفهاء قريش » (وروى) الشيخان وابن ماجه عن حذيفة قال « كنا جلوسا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ فى الفتنة قال حذيفة أنا فقال إنك لجرىء وكيف قال قلت سمعت رسول الله ﷺ يقول فتنة الرجل فى أهله وماله ونفسه وولده وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال عمر ليس هذا أريد إنما أريد به الفتنة التى تموج كموج البحر قال فقلت مالك ولها ياأمير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال أفيكسر الباب أم يفتح قال قلت لا بل يكسر قال ذلك أجدر أن لا يغلق أبدا قال شقيق لحذيفة أكان عمر يعلم من الباب فقال نعم كما يعلم أن دون غد الليلة انى حدثته حديثا ليس بالأغاليط قال فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب فقلنا لمسروق سله فسأله فقال هو عمر » (وروى) الحافظ أبو بكر الخطيب ان عمر بن الخطاب دخل على ابنته فوجدها تبكى فقال مايبكيك فقالت هذا اليهودى لكعب الأحبار يقول انك باب من أبواب جهنم فقال عمر ماشاء الله إنى لأرجو أن يكون الله قد خلقنى سعيدا قال ثم خرج فأرسل الى كعب فلما جاءه كعب قال ياأمير المؤمنين والذى نفسى بيده لاينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة فقال عمر أى شىء هذا مرة فى الجنة ومرة فى النار فقال والذى نفسى بيده انا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فاذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها الى يوم القيامة » (وروى) البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « هلاك أمتى على يدى أغيلمة من قريش فقال مروان لعنة الله عليهم من أغيلمة فقال أبو هريرة لو شئت أن أقول بنى فلان وبنى فلان لفعلت قال عمرو بن يحيى بن سعيد فكنت أخرج مع جدى إلى بنى مروان حين ملكوا بالشام فاذا رآهم غلمانا أحداثا قال لنا عسى هؤلاء أن يكونوا منهم قلنا أنت أعلم » (قال الامام القرطبى) وكان من هؤلاء الأغيلمة والله أعلم يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ومن ينزل منزلتهم من أحداث ملوك بنى أمية فقد صدر منهم مالا يخفى من الفساد وقتل أهل بيت رسول الله ﷺ وسبيهم وقتل خيار المهاجرين والأنصار بالمدينة وبمكة . وغير خاف ماصدر من الحجاج وسليمان بن عبد الملك وولده من سفك الدماء واتلاف الأموال واهلاك الناس بالحجاز والعراق وغيرهما وقد حصروا من قتلهم الحجاج فوجدوا مائة وعشرين ألف نفس وبالجملة فقد قابل بنو أمية وصية رسول الله ﷺ على أهل بيته بالمخالفة والعقوق فسفكوا دماءهم وأخذوا أموالهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم وخربوا ديارهم وجحدوا شرفهم وفضلهم واستباحوا لعنهم وسبهم فخالفوا رسول الله ﷺ فى وصيته وقابلوه بنقيض قصده وأمنيته فوا خجلهم إذا وقفوا بين يديه يوم القيامة يطلبون منه الشفاعة ويا فضيحتهم يوم يعرضون عليه فى ذلك اليوم العظيم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

﴿ باب ما جاء أن اللسان فى الفتنة أشد من وقع السيف ﴾

روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « ستكون فتنة تستنظف العرب قتلاها فى النار » أى ترميهم والاستنطاف الرمى « اللسان فيها أشد من قتل السيف » (وفى رواية أخرى) أن رسول الله ﷺ قال « ستكون فتنة عمياء صماء بكماء من أشرف لها استشرفت له واشراف اللسان فيها كوقع السيف وفى رواية لابن ماجه اياكم والفتن فان اللسان فيها مثل وقع السيف » أى من حيث الكذب عند أهل الجور ونقل أخبار الناس اليهم فربما نشأ من ذلك النهب والقتل والجلاء والمفاسد العظيمة أكثر

أعمدة من نور فوق رأس النبى صلى الله عليه وسلم ثم تسير خلفه السادات من أمته صلى الله عليه وسلم وهو عسكر عظيم على خيولهم بأيديهم رايات الوصال فيسيرون حتى يصلوا الى قصر آدم عليه السلام فيقول آدم ماهذا فتقول الملائكة هذا ولدك محمد صلى الله عليه وسلم وأمته دعاهم الله تعالى إلى زيارته فيقول آدم ياحبيبى يامحمد قف حتى أجىء فان الله سبحانه وتعالى قد دعانى فينزل آدم عليه الصلاة والسلام وتركب أولاده شيث وهابيل وإدريس والصالحون تلك الخيول ثم يسيرون الى موسى فيسمع موسى عليه الصلاة والسلام صهيل الخيل وخفق أجنحة الملائكة فيقول ماهذا فتقول الملائكة هذا أخوك محمد صلى الله عليه وسلم فيقول ياحبيبى يامحمد قف حتى أجىء فان الله تعالى قد دعانى فيهبط موسى عليه الصلاة والسلام

من وقوع الفتنة نفسها » وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « ان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا – وفي رواية مايتبين فيها – يهوى بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » وفي رواية يهوى بها في النار سبعين خريفا (وفي الحديث) عن النبي صلى الله عليه وسلم « ويل للذي يتكلم الكلمة من الكذب ليضحك الناس ويل له ويل له انتهى فنسأل الله من فضله أن يحفظنا من الوقوع فيما يسخط ربنا من غيبة أو نميمة أو بهتان أو فحش إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب الأمر بالصبر عند الفتن وتسليم النفس للقتل عندها وان السعيد من جنب الفتن ﴾

روى أبو داود عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف بك إذا أصاب الناس موت يكون البيت بالوصيف أي القبر قال فقلت الله ورسوله أعلم قال عليك بالصبر أو قال تصبر ثم قال لي يا أباذر قلت لبيك وسعديك فقال كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم قلت ما خار الله لي ورسوله قال عليك بمن أنت منه قال قلت يا رسول الله أفلا آخذ سيفي فأضعه على عاتقي قال شاركت القوم اذن قال فما تأمرني قال تلزم بيتك قال قلت فان دخل أحد على بيتي قال وان خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ثوبك على وجهك يبوء بإثمه وإثمك » وزاد في رواية ابن ماجه بعد ذلك « كيف بك يا أباذر في جوع يصيب الناس حتى تأتي مسجدك فلا تستطيع أن ترجع الى فراشك أو لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك قال قلت الله ورسوله أعلم قال عليك بالعفة ثم قال كيف أنت يا أبا ذر وقتل يصيب الناس حتى تغرق حجارة الزيت بالدم فذكر الحديث الى أن قال فألق طرف ردائك على وجهك فيبوء باثمه واثمك فيكون من أصحاب النار » وحجارة الزيت موضع بالمدينة تكون الملحمة عندها وكانت ثلاثة أحجار يضع الزياتون عليها رواياهم وفي رواية ابن مسعود في حديث الفتنة قال فان دخل على بيتي فقال الزم بيتك وكن مثل الجمل الأورق الثقال الذي لا ينبعث إلا كرها ولا يمشي إلا كرها (وروى) أبو داود أن رسول الله ﷺ قال « ان السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلى فصبر فواها » (وروى) الترمذي عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر » (قال الامام القرطبي) الصحيح عند علمائنا إن من دخل على انسان بيته ليقتله لا يجوز له الاستسلام له بل يقاتله لما في صحيح مسلم « عن أبي هريرة أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالي قال فلا تعطه مالك فقال أرأيت ان قاتلني فقال قاتله قال أرأيت ان قتلني قال فأنت شهيد قال أرأيت ان قتلته قال هو في النار » وقد ثبت في الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال « من قتل دون ماله فهو شهيد » وثبت عن جماعات من أهل العلم أنهم رأوا قتال اللصوص ودفعهم عن أنفسهم وأموالهم وبه قال ابن عمر و الحسن البصري وقتادة ومالك بن أنس والشافعي وأحمد واسحق والنعمان. قال ابن المنذر وأبو بكر بن العربي وبهذا قال عوام أهل العلم أن للرجل أن يقاتل عن نفسه وماله إذا أريد ظلما للأخبار التي جاءت عن رسول الله ﷺ لم يخص فيها وقتا من الأوقات ولا حالا من الأحوال الا السلطان فان جماعة أهل العلم كالمجتمعين على أن من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله الا بالخروج على السلطان ومحاربته أنه لا يحاربه ولا يخرج عليه للأخبار التي جاءت عن رسول الله ﷺ الآمرة بالصبر على ما يكون من السلطان من الظلم والجور انتهى . وقال جماعة يجب على المسلم أن يستسلم للقتل اذا أريدت نفسه ولا يدفع عنها وحملوا الأحاديث على ظواهرها وقالوا كل من المسلمين يرى أنه محق في قتاله والله تعالى أعلم .

﴿ باب ما جاء في أول هذه الأمة عافيتها وفي آخرها بلاؤها ﴾

روى مسلم عن عبد الله بن عمر قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنادى مناديه الصلاة جامعة

فاجتمعنا

والصالحون من قومه فيصلون الى روح الله عيسى عليه الصلاة والسلام فيقول عيسى ما هذا الضجيج فتقول الملائكة هذا محمد صلى الله عليه وسلم قد دعاه الله الى زيارته فيطلع عيسى عليه السلام من قصره ويقول يا حبيبي يا محمد اصبر حتى أجيء اليك فان الله سبحانه وتعالى قد دعاني ثم يسيرون الى مشاهدة الحق عز وجل تحت لواء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الرجال على الخيول والنساء على الهوادج فاذا وصلوا تمضي الملائكة بالنساء الى فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها والرجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فينزلون الى ميدان أرضه من المسك يسمى حظيرة القدس وفيه كراسي منصوبة من ياقوت وكراسي من ذهب وكراسي من فضة وفوق تلك الكراسي مراتب خضر وكراسي من نور فتأخذ الملائكة بأيديهم فيجلس كل

فاجتمعنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « انه لم يكن نبي الا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير مايعلمه لهم وان أمتكم هذه تجعل عافيتها فى أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجىء فتن يتلو بعضها بعضا تجىء فتنة فيقول المؤمن هذه تهلكنى ثم تنكشف وتجىء فتنة فيقول هذه هذه فمن أحب أن يزحزح عن النار أو يدخل الجنة فاتأته فتنته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس بالذى يحب أن يؤتى اليه ومن بايع اماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر » وكان عبد الله بن عمر يقول : أطعه يعنى السلطان فى طاعة الله واعصه فى معصية الله قال بعض العلماء والمراد بقوله فاضربوا عنق الآخر هو عزله وخلعه لا قتله وموته وقال بعضهم المراد به قطع رأسه واذهاب نفسه يدل على هذا قوله فى حديث آخر « فاضربوه بالسيف كائنا من كان » وهو ظاهر الحديث لكن شرط فى ذلك أن يكون الاول عدلا والله أعلم .

﴿ باب جواز الدعاء بالموت عند الفتن وماجاء فى أن بطن الارض خير من ظهرها ﴾

روى مالك رحمه الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه « اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين واذا أردت بالناس فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون » قال مالك وكان أبو هريرة اذا لقى الرجل يقول له مت إن استطعت فيقول له لم فيقول تموت وأنت تدرى علاما تموت خير لك من أن تموت وأنت لاتدرى علاما تموت عليه قال مالك والذى أراه أن عمر بن الخطاب ما كان يطلب الشهادة الاخوفا من التحويل والتغيير والفتن وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ويل للعرب من شر قد اقترب موتوا ان استطعتم » (قال الامام القرطبى) رحمه الله وهذا غاية فى التحذير من الفتن والخوض فيها حيث جعل الموت خيرا من مباشرتها وفى حديث الترمذى أن رسول الله ﷺ قال « اذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها » (وفى البخارى) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى كنت مكانه » زاد فى رواية « لما به من البلاء » (وكان) عبد الله بن مسعود يقول ليأتين على الناس زمان يأتى الرجل القبر فيقول ياليتنى مكان هذا ليس به حب الله تعالى ولكن من شدة مايرى من البلاء أى من شدة الأنكاد والمشاق والمحن الواقعة للانسان فى نفسه وولده وماله حتى يذهب أكثر دينه والله تعالى أعلم .

﴿ باب مقتل السيد الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ﴾

قال الامام القرطبى فى ترجمته ولا رضى عن قاتله انتهى * والحق أن قاتله ان مات على الاسلام فمن المعروف سؤال الله العفو عنه والله تعالى أعلم . ذكر الحافظ أبو شعيب عثمان بن السكن رحمه الله تعالى بسنده عن أنس بن الحرث قال قال رسول الله ﷺ « ان ابنى هذا يقتل بأرض من أرض العراق فمن أدركه منكم فلينصره قال فقتل أنس هذا مع الحسين رضى الله عنهما * وخرج الامام أحمد فى مسنده عن أنس أن ملك المطر استأذن أن يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأذن له فقال لأم سلمة املكى علينا الباب لايدخل علينا أحد قال فجاء الحسين ليدخل فمنعته فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبى صلى الله عليه وسلم وعلى منكبيه وعلى عاتقه قال فقال الملك للنبى صلى الله عليه وسلم أتحبه فقال نعم قال فان أمتك ستقتله وان شئت أريتك المكان الذى يقتل فيه ثم ضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أم سلمة فصرتها فى خمارها قال ثابت بلغنا أنها كربلاء قال مصعب بن الزبير وحج الحسين رضى الله عنه خمسا وعشرين حجة ماشيا وكانت تقاد الجنائب بين يديه لايركبها وقال النبى صلى الله عليه وسلم فيه وفى الحسن « انهما سيدا شباب أهل الجنة » وكان يقول هما ريحانتاى من الدنيا وكان اذا رآهما هش لهما وربما حملهما كما روى أبو داود أنهما دخلا

واحد منهم على مرتبة ويجلسون قوما منهم على تلك الكراسى وقوما منهم على كثبان من المسك على قدر منازلهم عند الله عز وجل ودرجاتهم ثم يسلم عليهم الحق سبحانه وتعالى رجلا رجلا وامرأة امرأة والنساء الصالحات يجلسن جميعهن عند السيدة فاطمة الزهراء فى ايوان من درة بيضاء تحت شجرة طوبى وتنصب لهن كراسى على قدر درجاتهن نسأل الله أن يمتعنا بذلك من فضله وكرمه ويسلم عليهم الحق امرأة امرأة ورجلا رجلا يقول الله سبحانه وتعالى مرحبا بعبادى وأوليائى وأهل طاعتى وخدمتى ومحبتى ياملائكتى أضيفوهم فتقدم لهم الملائكة موائد من الدر عليها ألوان الأطعمة فاذا أكلوا يقول الله سبحانه وتعالى مرحبا بعبادى ياملائكتى اسقوهم فتقدم اليهم الملائكة أقداحا من ذهب كل قدح مكلل بسبعين

المسجد وهو يخطب فقطع خطبته ونزل فأخذهما وصعد بهما وقال «قد رأيت هذين فلم أصبر» وكان يقول فيهما «اللهم اني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما» وقتل رحمه الله ـ قال القرطبي ولا رحم قاتله ـ في يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة احدى وستين بكربلاء بالقرب من موضع يقال له الطف من الكوفة (قال) أهل التاريخ ولما مات معاوية وأفضت الخلافة الى يزيد ولده وذلك في سنة ستين ووردت بيعته على الوليد ابن عتبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها أرسل الى الحسين بن علي والى عبد الله بن الزبير ليلا فأتى بهما فقال بايعا فقالا مثلنا لا يبايع ليلا أو قال سرا ولكنا نبايع على رءوس الناس اذا أصبحنا فرجعا الى بيوتهما وخرجا من أهلهما الى مكة وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة فبعث عبيد الله بن زياد خيلا لمقتل الحسين وأمر عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص فأدركه بكربلاء. وقيل ان عبيد الله بن زياد كتب الى الحواء بن يزيد الرياحي أن جعجع بالحسين قال أهل اللغة أراد احبسه وضيق عليه ـ والجعجع والجعجاع الموضع الضيق من الارض ـ ثم أمده بعمر ابن سعد في أربعة آلاف ثم ما زال عبيد الله يزيد العساكر ويستنفر الجماهير الى أن بلغوا اثنين وعشرين ألفا وأميرهم عمر بن سعد ووعده أن يملكه مدينة الرى. فباع الفاسق الرشد بالغى . وفي ذلك يقول :

لأنزل ملك الرى والرى منيتي * وأرجع مأثوما بقتل حسين

فضيق عليه اللعين أشد تضييق وسد بين يديه واضح الطريق الى أن قتله يوم الجمعة وقيل يوم السبت العاشر من المحرم وقال ابن عبد البر وقيل يوم الاحد لعشر مضين من المحرم بموضع من أرض الكوفة يقال له كربلاء ويعرف أيضا بالطف وعليه جبة من خز دكناء وهو ابن ست وخمسين سنة قال نسابة قريش الزبير بن بكار وكان مولده لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وفيها كانت غزوة ذات الرقاع وفيها قصرت الصلاة وفيها تزوج النبي ﷺ أم سلمة واتفقوا على أنه قتل رضي الله عنه يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة احدى وستين ويسمى عام الحزن وقتل معه اثنان وثمانون رجلا من أصحابه مبارزة فيهم الحسن بن يزيد لانه بارز وقتل مع الحسين ثم قتل جميع بنيه الا عليا المسمى زين العابدين فانه كان مريضا فأخذ أسيرا بعد قتل أبيه وقتل أكثر اخوة الحسين وبني أعمامه

عين ابكي بعبرة وعويل * واندبي ان ندبت آل الرسول
سبعة كلهم لصلب علي * قد أصيبوا وتسعة لعقيل

قال الامام جعفر الصادق وجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة واختلفوا فيمن قتله فقال يحيى بن معين أهل الكوفة يقولون ان الذي قتل الحسين عمر بن سعد بن أبي وقاص. قال يحيى وكان ابراهيم ابن سعيد يروي فيه حديثا أنه لم يقتله عمر بن سعد وقال ابن عبد البر انما نسب قتل الحسين الى عمر ابن سعد لانه كان الامير على الخيل التي أخرجها عبيد الله بن زياد الى قتال الحسين وأمر عليهم عمر بن سعد ووعده أن يوليه الرى ان ظفر بالحسين وقتله وكان في تلك الخيل والله أعلم قوم من مصر ومن اليمن وكان سليمان ابن قتة يقول ان دم الحسين اشترك فيه جماعة ولعلهم من ذكرنا من أهل مصر واليمن وقيل قتله سنان ابن أويس النخعي وقال مصعب النسابة الثقة قتل الحسين بن علي سنان بن أبي سنان النخعي وهو جد شريك القاضي ويصدق ذلك قول الشاعر :

وأي رزية عدلت حسينا * غداة تبيره كفا سنان

وقال خليفة بن خياط الذي ولي قتل الحسين هو شمر بن ذي الجوشن وأمير الجيش عمر بن سعد وكان شمر أبرص وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير حز رأسه وأتى به الى عبيد الله بن زياد وقال :

أوقر ركابي فضة وذهبا * اني قتلت الملك المحجبا

ألف لؤلؤة وأقداحا من بلور مكللة بالياقوت الأحمر في كل قدح لون من الشراب الطهور قال الله تعالى «وسقاهم ربهم شرابا طهورا» فيتناول كل واحد منهم قدحا فيشرب من ذلك الشراب الطهور حتى يكتفي فيقول القدح ياولي الله ان كنت شربت مني لبنا فاشرب مني خمرا وان كنت شربت مني خمرا فاشرب مني عسلا مصفى فيشرب من ذلك حتى يكتفي ثم تقول الملائكة قد أمرنا ربنا أن نسقيهم بهذه القداح من أنواع الشراب سبعين لونا كل لون ألذ من الآخر فاذا اكتفوا يقول الله سبحانه وتعالى مرحبا بعبادي وأهل طاعتي وخدمتي ومحبتي ياملائكتي فكلوهم فتقدم اليهم الملائكة أطباقا من الذهب فيها ألوان الفاكهة فاذا أكلوا يقول الله عز وجل مرحبا بعبادي وأهل طاعتي ومحبتي ياملائكتي طيبوهم فتحمل اليهم الملائكة

قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم ان ينسبوه نسبا

انتهى ذكره ابن عبد البر وقال غيره تولى حمل الرأس بشر بن مالك ودخل به على ابن زياد وهو يقول هذا الشعر فغضب ابن زياد من قوله وقال فاذا علمت أنه كذلك فلم قتلته والله لانلت منى خيرا أبدا ولألحقنك به ثم قدمه فضرب عنقه وقال بعضهم ان يزيد بن معاوية هو الذى قتل قاتل الحسين. وروى الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رأيت رسول الله ﷺ نصف النهار أشعث أغبر ومعه قارورة فيها دم يتتبعه من الأرض ويلتقطه فيها فقلت يارسول الله ماهذا فقال هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه من الأرض منذ اليوم قال عمار بن ياسر فحفظنا ذلك اليوم فوجدنا الحسين قد قتل ذلك اليوم. قال الإمام القرطبي وهذا اسند صحيح لامطعن فيه قال ابن عباس وساق القوم حرم رسول الله ﷺ فى ذلك اليوم كما تساق الأسارى حتى اذا بلغوا بهم الى الكوفة خرج الناس وجعلوا ينظرون اليهم وكان فى الأسارى يومئذ على بن الحسين رضى الله عنهما وكان شديد المرض قد جمعت يداه الى عنقه وزينب بنت على من فاطمة الزهراء وأختها أم كلثوم وفاطمة وسكينة بنتا الحسين وساق الفسقة معهم رءوس القتلى وكان محمد بن الحنفية رضى الله عنه يقول قتل مع الحسين بن على ستة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة الزهراء رضى الله عنها وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول قتل مع الحسين بن على ستة عشر رجلا من أهل بيته لم يكن على وجه الأرض لهم شبيه وقال غيره انه قتل مع الحسين بن على من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا (وفى) صحيح البخارى عن أنس بن مالك قال أتى برأس الحسين الى عبيد الله بن زياد فجعل فى طشت فجعل ينكت فيه ويقول فى حسنه شىء وكان أنس يقول كذب عبيد الله بن زياد كان الحسين أشبه الناس برسول الله ﷺ وكان مخضوبا بالوسمة قال أهل اللغة ومعنى ينكت أى يضرب الرأس بالقضيب الذى فى يده حتى يؤثر فيه قال أصحاب السير ثم أمر عبيد الله بن زياد من فوره بالرأس حتى ينصب فى الريح فتحاماه أكثر الناس فقام رجل يقال له طارق بن المبارك بل هو المشئوم الملعون المذموم فقوره ونصبه بباب ولد عبيد الله بن زياد ونادى فى الناس ثم جمعهم فى المسجد الجامع وخطب بهم خطبة لا يحل لمسلم ذكرها ثم دعا زياد بن حر الجعفى فسلم اليه رأس الحسين ورءوس اخوته وبنيه وأهل بيته وأصحابه ودعا بعلى بن الحسين فحمله وحمل عماته وأخواته الى يزيد على بعير وطىء والناس يخرجون الى لقائهم فى كل بلد ومنزل حتى قدموا دمشق فأقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبى ثم وضع الرأس المكرم بين يدى يزيد فأمر أن يجعل فى طشت من ذهب وجعل ينظر اليه ويقول:

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة * وأسيافنا يقطعن كفا ومعصما
ففلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم تكلم بكلام قبيح وأمر بالرأس أن تصلب بالشام ولما رأى خالد بن عبد الله ذلك قال :

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد * مترملا بدمائه ترميلا * وكأنما بك يا ابن بنت محمد
قتلوا جهارا عامدين رسولا * قتلوك عطشانا ولم يترقبوا * فى قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبرون بأن قتلت وانما * قتلوا بك التكبير والتهليلا

وكان خالد هذا من أجل عباد التابعين وقد اختفى شهرا وهم يطلبونه ليقتلوه فلم يظفروا به (واختلف) الناس فى موضع الرأس المكرم وأين حمل من البلاد فروى الحافظ أبو العلاء الهمدانى أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به الى المدينة مع أقوام من موالى بنى هاشم وضم اليهم جماعة من موالى أبى سفيان وبعث بنقل الحسين ومن بقى من أهله معهم ولم يدع لهم حاجة بالمدينة الا وقد أمر لهم بها وقد كان الذى تلقى

المسك الأذفر الأبيض من تحت العرش فيذرونه عليهم ثم يقول الله تعالى مرحبا بعبادى وأهل طاعتى بالملائكتى اكسوهم فتناولهم الملائكة خلعا خضرا وحمرا وصفرا وبيضا مصقولة بنور الرحمن لولا الله سبحانه وتعالى يحفظ أبصارهم لاختطفت من نور تلك الخلع فيلبس كل واحد منهم خلعة ثم يقول الله سبحانه وتعالى مرحبا بعبادى وأهل طاعتى ومحبتى يا ملائكتى حلوهم فتقدم اليهم الملائكة الحلواء من جميع الأصناف وسبب حبس الحور على أصحابهن اطلاعهن عليهن فى سائر الأحوال فتقول إحداهن لصاحبتها ما الذى وجدت سيدك عليه من العمل فتقول قد وجدته يصلى ويبكى ويتضرع الى الله سبحانه وتعالى فتقول الأخرى وأنا قد وجدت سيدى نائما فتقول الأخرى ان سيدى كثير المجاهدة وسيدك كثير الغفلة

رأس الحسين بالمدينة حين قدموا بها عمر بن سعيد بن العاصي وهو إذ ذاك عامل على المدينة ليزيد فقال عمر وددت أنه لم يبعث به الي ثم أمر عمر بن سعيد برأس الحسين فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة الزهراء رضي الله عنهما * قال الإمام القرطبي وهذا أصح ماقيل فيه وبه قال الزبير بن بكار الذي هو أعلم بالأنساب (وقال الامامية) ان الرأس أعيد الى الجثة بكربلاء بعد أربعين يوما قال القرطبي رحمه الله تعالى وماذكر من أنه دفن بعسقلان في المشهد المعروف بها أو بالقاهرة فهو شيء باطل لا يصح انتهى (قلت) قد ثبت أن طلائع بن رزيك الذي بنى المشهد بالقاهرة نقل الرأس الى هذا المشهد بعد أن بذل في نقلها نحو أربعين ألف دينار وخرج هو وعسكره فتلقاها من خارج مصر حافيا مكشوف الرأس هو وعسكره . وهي في برنس حرير أخضر في القبر الذي هو في المشهد موضوعة على كرسي من خشب الآبانوس ومفروش هناك نحو نصف إردب من الطيب كما أخبرني بذلك خادم المشهد (ومما) وقع لي أنني قلت لسيدي الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي مفتي المسلمين رضي الله عنه أترى أن تزور معنا رأس الحسين في المشهد بخان الخليلي فقال انه لم يثبت كون الرأس هناك فقلت له نزوره بالنية على تقدير صحة ذلك فقال نعم فلما دخلنا مقصورته بالمشهد قلت للشيخ اجلس مراقبا بقلبك للرأس فجلس متخيلا لها في ذهنه فحصل له ثقل رأس فنام فرأى نقيبا مشدود الوسط قد خرج من القبر فمازال ببصره يتبعه حتى دخل مقصورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يارسول الله ان الشيخ شهاب الدين بن الشلبي وعبد الوهاب الشعراني يزوران رأس ولدك الحسين فقال ﷺ تقبل الله منهما انتهى فاستيقظ الشيخ شهاب الدين وتواجد حتى وقعت عمامته من فوق رأسه وقال آمنت وصدقت بأن الرأس هنا وحكى الواقعة ولم يزل يزوره حتى مات * فزر ياأخي هذا المشهد بالنية الصالحة ان لم يكن عندك كشف فقول الإمام القرطبي رحمه الله تعالى ان دفن الرأس في مصر باطل بل صحيح في أيام القرطبي فان الرأس انما نقلها طلائع بن رزيك بعد موت القرطبي فافهم والله تعالى أعلم (قال الامام القرطبي) وقد قتل الله تعالى قاتل الحسين المسمى شمرا أشد قتلة وقاسى حزنا طويلا وألقى رأسه المذموم في الموضع الذي كان لقي فيه رأس الحسين رضي الله عنه وذلك بعد قتله الحسين بستة أعوام وبعث المختار به الى المدينة فوضع بين يدي بني الحسين رضي الله عنهم وكذلك ضربت أعناق عمر بن سعد وأصحابه وماتوا اشر قتلة وقد كان الحسن البصري رضي الله عنه يقول لو لم يكن على قاتل الحسين من الاثم والمقت الا اغضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه لكان في ذلك كفاية ثم انه رضي الله عنه يحلف ويقول والله لو أنه كان لي في دم الحسين مدخل وخيرت بين دخول الجنة والنار لاخترت النار خوفا أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة فينظر الي نظرة غضب انتهى (وروى) الترمذي عن عمارة بن عمر قال لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وألقيت تلك الرءوس في رحبة المسجد صار كل من دخل يقول خاب عبيد الله وأصحابه وخسر دنيا هم وآخرتهم ثم تباكى الناس حتى انتحبوا من البكاء على الحسين وأولاده وأصحابه فبينما الناس كذلك إذ جاءت حية سوداء فدخلت في منخري عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فغابت ثم جاءت فدخلت منخريه ثانيا حتى فعلت ذلك ثلاث مرات من بين تلك الرءوس والناس يقولون قد خاب عبيد الله وأصحابه وخسروا * قال العلماء وكان ذلك مكافأة له على مافعل برأس الحسين وهي من علامات العذاب الظاهر الذي حل به فضلا عن العذاب الباطن (ثم) ان الله تعالى سلط المختار على أصحاب عبيد الله كلهم فقتلهم شر قتلة حتى أوردهم النار وذلك أن الأمير مذحج بن ابراهيم بن مالك لقي عبيد الله بن زياد على خمسة فراسخ من الموصل وعبيد الله في ثلاثة وثمانين ألفا وابراهيم في أقل من عشرين ألفا فتطاعنوا بالرماح

عسى تصير ن ميراثا لسيدي فتقول لها حاشا سيدي من القطيعة مافرق الله عز وجل بيننا وبينه أبدا ولا جعله من المحرومين فان قصر العبد عن طاعة الله وانقلب الى معصية محي اسمه من القصور ويتوارث أهل الجنة منازله وخدمه وان داوم على طاعة الله عز وجل وصل الى النعيم المقيم فلازم الباب وجدد المتاب وتضرع الى الله العزيز الوهاب تحظ في الجنان بملاقاة الأحباب والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب (وقد) تم هذا الكتاب المرتب على عشرة أبواب للامام العلامة أبي الليث السمرقندي رحمه الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

وتراموا بالسهام وتضاربوا بالسيوف إلى أن اختلط الظلام فنظر ابراهيم إلى رجل عليه بردة حسناء ودرع سابغة وعمامة من خز دكناء وديباجة خضراء من فوق الدرع وقد أخرج يده من الديباجة ورائحة المسك تفوح منه وفي يده صحيفة مذهبة فقصده الأمير ابراهيم لا لشيء وانما هو ليأخذ من يده تلك الصحيفة مع الفرس الذي تحته فلما قرب منه لم يلبث أن ضربه ضربة كانت فيها نفسه فتناول الصحيفة وفر الفرس فلم يقدر عليه وكان الناس لا يبصر بعضهم بعضا من شدة الظلمة فتراجع أهل العراق إلى عسكرهم والخيل لا تطأ إلا على القتلى فأصبح الناس وقد فقدوا من أهل العراق ثلاثة وسبعين رجلا وقتل من أهل الشام سبعون ألفا فلما أصبح الناس وجدوا فرس عبيد الله فردوه إلى الأمير ابراهيم وعلم أن الذي كان قتله في الظلمة هو عبيد الله بن زياد فكبر الأمير ابراهيم وخر ساجدا لله عز وجل وقال الحمد لله الذي أجرى قتله على يدي ثم بعث به إلى المختار ومع الرأس سبعون ألف رأس ذكره الحافظ أبو الخطاب ابن دحية رحمه الله (قال الامام القرطبي رحمه الله) ومثل ما فعل بعبيد الله بن زياد كذلك فعل ببشر بن أرطاة العامري الذي هتك الاسلام وسفك الدم الحرام وقتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرع له الذمام وذبح ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما صغيران بين يدي أمهما يمرحان وهما قثم وعبد الرحمن فذهل عقل أمهما وصارت كالمجنونة وروى ابن أبي شيبة في مسنده أن معاوية أرسل بشر بن أرطاة في جيش عظيم بعد تحكيم الحكمين فساروا من الشام حتى قدموا المدينة وعامل المدينة يومئذ من جهة علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففر أبو أيوب الأنصاري ولحق بعلي رضي الله عنه ودخل بشر المدينة فصعد منبرها وقال أين شيخي الذي عهدته هنا بالأمس يعني عثمان بن عفان رضي الله عنهما ثم قال والله يا أهل المدينة لولا ما عهد إلي معاوية ما تركت في المدينة محتلما إلا قتلته ثم أمر أهل المدينة أن يبايعوا لمعاوية وأرسل إلى بني سلمة وقال ما لكم عندي أمان ولا سابقة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله فأخبر بذلك جابر فانطلق حتى دخل على أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أماه انهم يطلبون أن أبايع لمعاوية فقالت له أرى أن تبايع وإلا قتلوك فقال هذه بيعة ضلالة ثم ان جابرا أتى بشرا وبايعه لمعاوية وهدم بشر دورا كثيرة بالمدينة ثم انطلق حتى أتى مكة وبها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فخاف أبو موسى على نفسه أن يقتله فهرب فقيل ذلك لبشر فقال ما كنت لأقتله بعد أن خلع عليا فلم يطلبه بشر بعد ذلك ثم كتب أبو موسى إلى اليمن أن خيلا مبعوثة اليكم من معاوية لينذر أصحاب علي وعامله باليمن فقبل الناس من أبي موسى ذلك ثم مضى بشر إلى اليمن وكان عامل علي فيها عبيد الله بن العباس فلما بلغه أمر بشر فر إلى الكوفة حتى أتى عليا واستخلف على المدينة عبد الله بن المدائني الحارثي فأتى بشر فقتله وقتل معه ابنه ورجع إلى الشام * قال أبو عمرو الشيباني ولما وجه معاوية بشرا إلى قتل شيعة علي رضي الله عنه سار حتى أتى المدينة فقتل ابني عبيد الله بن العباس وفر أهل المدينة حتى دخلوا الحرة حرة بني سليم ثم في هذه السفرة أغار بشر على همدان فقتل رجالهم وسبى نساءهم فكن أول نساء سبين في الاسلام وقتل خلقا كثيرا من أحياء بني سعد وربطوا الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت الخيل بين القبر والمنبر وأزيلت بكارة نحو ألف بكر * قال العلماء وأرسل معاوية بشرا إلى اليمن في سنة أربعين وعليها عبيد الله بن العباس أخو عبد الله بن العباس رضي الله عنهم فلما فر عبيد الله أقام بشر على اليمن وباع دينه بأبخس ثمن وذبح ولدي عبيد الله بن العباس وباع المسلمات وهتك الحرمات ولما بعث علي اليه حارثة بن قدامة الأشعري هرب بشر إلى الشام ورجع عبيد الله بن عباس إلى بلاد اليمن ولم يزل واليا بها حتى قتل علي رضي الله عنه قال أحمد بن

﴿كتاب روح السنة وروح النفوس المطمئنة﴾ لسند العارفين وقطب المحققين سيدي أحمد ابن ادريس رضي الله عنه

(بسم الله الرحمن الرحيم) اللهم صل وسلم وبارك على مولانا محمد وعلى آله في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علمك آمين * عنه ﷺ أنه قال « بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج » وعنه ﷺ أنه قال « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله » وعنه ﷺ أنه قال « من توضأ مرة مرة فتلك وظيفة الوضوء الذي لا تجزئ الصلاة بدونه ومن توضأ مرتين مرتين كان له كفلان من الأجر ومن توضأ ثلاثا ثلاثا فذلك وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ومن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم » * وعنه ﷺ

أنه قال « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر اليه » وعنه ﷺ أنه قال « من صلى صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج » * وعنه ﷺ أنه قال العلم ثلاثة آية محكمة وسنة ماضية ولا أدرى » * وعنه ﷺ أنه قال « من كذب على متعمدا أو رد شيئا أمرت به فليتبوأ له بيتا في جهنم » وعنه ﷺ أنه قال « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ومن بلغه عنى حديث فرده فأنا خصمه يوم القيامة وإذا بلغكم عنى حديث فلم تعرفوه فقولوا الله أعلم » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المسبل ازاره والمنان الذي لا يعطى شيئا إلا منة والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ازرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بين ذلك والكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار » وعنه ﷺ أنه قال « لا ينظر الله إلى من جر رداءه خيلاء »

حنبل وغيره من الأئمة ولم يثبت لبشر هذا صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسول الله ﷺ قد قبض وبشر صغير قالوا وخرف بشر في آخر عمره وكان رجل سوء انتهى قال ابن دحية كانت خاتمته خاتمة سوء بدعوة على رضى الله عنه فانه لما بلغه أنه ذبح ابني عبيد الله بن عباس قال اللهم أطل عمره وأذهب عقله فاستجاب الله تعالى دعاء على فيه وكانت له أخبار سوء في جانب على وأصحابه رضى الله عنهم قال ابن دحية ولما ذبح الصغيرين وفقدت أمهما عقلها كانت تقف في الموسم وتنشد الأشعار التي تهيج الأحزان وتبكى العيون حتى ينتحب الناس (وروى) أن السيدة سكينة أخت الحسين أخرجت رأسها من الخباء فوق الجمل وأنشدت تقول :

ماذا تقولون ان قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي * منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم * أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

ووجدوا حجرا قديما من أيام الجاهلية مكتوبا عليه :

أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

وروى أنه قتل بسبب زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل سبعون ألفا وقتل بسبب الحسين سبعمائة ألف أو كما قال انتهى وروى الحافظ أبو نعيم أن الفسقة لما قتلوا عليا الأكبر ولد الحسين طلبوا زين العابدين الذي هو على الأصغر ليقتلوه فوجدوه مريضا فتركوه وكان عمره حين قتلوا أخاه ثلاث عشرة سنة ثم انهم قتلوه بعد ذلك بمدة وحملوا رأسه إلى مصر في مشهده قريبا من مجراة القلعة من نيل مصر كما رأيته مكتوبا على قبره بخط قديم وعنده رأس السيد زيد أخيه وبالقرب منهما مما يلي جامع القراء قبر الامام الحسن أخي زين العابدين والد السيدة نفيسة كما هو مكتوب في عمود رخام موضوع على رأس القبر وإنما يقول الناس عن السيدة نفيسة يا بنت زين العابدين لكونه رباها حين قتل أبوها وإلا فهو عمها لا أبوها وممن علمناه من أهل البيت الذين أخرجوا من ديارهم إلى مصر السيدة سكينة أخت الامام الحسين المدفونة عند حارة الخلالتية بالقرب من المراغة والسيد محمد الأنور أخو زين العابدين بالقرب منها مما يلي جامع ابن طولون والسيدة زينب ابنة الامام على بجوار قناطر السباع ورأيت سيدى عليا الخواص يخلع نعله من القنطرة ويمشى حافيا حتى يجاوز قبرها وكذلك ممن علمناه دخل مصر من أولاد السيد على السيدة أم كلثوم والسيدة فاطمة المدفونتان على رأس الزقاق الذي يدخل منه إلى قبر الامام الليث بن سعد والسيدة رقية المدفونة بالقرب من جامع شجرة الدر بالقرب من داخل الخليفة أمير المؤمنين العباسى وقيل انها من اماء السيد على لا من بناته * وكذلك ممن علمناه دخل مصر من أهل البيت السيدة عائشة بنت جعفر الصادق المدفونة بجوار باب القرافة وعلى باب تربتها منارة قصيرة * وكذلك ممن علمناه دخل مصر من أهل البيت رأس الامام ابراهيم ابن الامام زيد المدفونة خارج الطرية * وممن علمناه دفن من أهل البيت بمصر باجماع السيدة نفيسة وإنما اختلفوا في تعيين قبرها قال شيخنا سيدى على الخواص رحمه الله والحق أنها دفنت بالمراغة تجاه القبرين الطويلين في الشارع بالقرب من باب القرافة مما يلي جامع ابن طولون ولكنها ظهرت في المكان الذي هي فيه الآن وكانت تعبد الله فيه حال حياتها وكان الامام الشافعي رضي الله عنه يصلي بها التراويح في رمضان فيه فتعلق قلبها به فظهرت منه وخاطبت أهل الكشف منه لأن القبر الذي هو باب البرزخ إذا نزل فيه الميت كان حكمه حكم من دلى في تيار البحر فتارة يطف من قريب وتارة من بعيد وقد طفت السيدة نفيسة من هذا

الوضع التى هى فيه الآن ثم إذا نفخ فى الصور وبعثر مافى القبور طلعت من المراغة من المحل الذى أنزلوها القبر منه وفى ذلك جمع بين الأقوال والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب أسباب الفتن والمحن والبلاء ﴾

روى الحافظ أبو نعيم أن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إنا لله وإنا اليه راجعون فقال النبى ﷺ إنا لله وإنا اليه راجعون فمم ذلك فقال ان أمتك ستفتن بعدك بقليل زمان من دهرك غير كثير فقلت فتنة كفر أو فتنة ضلال فقال كل ذلك سيكون فقلت ومن أين وإنما فيهم كتاب الله تعالى فقال بكتاب الله تعالى يفتنون وذلك من قبل أمرائهم وقرائهم يمنع الأمراء القراء الحقوق فيظلمون حقوقهم ولا يعطونها فيقتتلون ويفتنون ويتبع القراء أهواء الأمراء فيمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون فقلت ياجبريل فكيف يسلم من يسلم فقال بالكف والصبر إن أعطوا الذى لهم أخذوه وان منعوا تركوه وروى البزار وابن ماجه عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال « ما ظهرت الفاحشة فى قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ولا نقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولا منعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم فأخذوا بعض ما كان فى أيديهم ولا تركأ ئمتهم الحكم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » (وكان) عطاء الخراسانى رضى الله تعالى عنه يقول إذا كان خمس كان خمس إذا أكلوا الربا كان الخسف والزلازل وإذا جار الحكام قحط المطر وإذا ظهر الزنا وأعلنوا به كان الموت وكثر فى الناس وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية وإذا تعدى على أهل الذمة كانت الدولة (وروى) الترمذى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم أبناء فارس والروم سلط شرارهم على خيارهم » والمطيطاء التبختر فى المشى (وروى) ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعذاب » (وروى) مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا فتح عليكم فارس والروم تنافستم وتحاسدتم وتدابرتم وتباغضتم ثم تنطلقون فى مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض » (وروى) مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه لما أتى أبو عبيدة بمال البحرين « أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » وفى رواية « فتلهيكم كما ألهتهم » (وروى) الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء » (وروى) ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال » (وروى) البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا وكان فيما قال « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها وناظر كيف تعملون ألا فاتقوا الله واتقوا النساء » وأخرجه مسلم أيضا وفى رواية « فاتقوا النار واتقوا النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء » (وروى) الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان لكل أمة فتنة وان فتنة أمتى المال » * وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن » والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ باب ما جاء أن الطاعة سبب الرحمة والعافية ﴾

روى أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قال « ان الله عز وجل يقول أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملوك وملك الملوك قلوب الملوك فى يدى وان العباد إذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة وان العباد إذا

وشمروا وكلوا فى أنصاف بطونكم تدخلوا فى ملكوت السموات » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « طهروا قلوبكم بالصمت وقلة الطعم والشرب تصفوا وترقوا وتشفقوا فى ذات الله تعالى » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من ائتمنه الناس على دمائهم وأموالهم والمهاجر من هجر مانهى الله عنه والمجاهد من جاهد نفسه وهواه لله » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أما بعد ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب وانى تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ كان على الهدى ومن أخطأه ضل فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ستكون فتنة قيل فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم هو الفصل ليس بالهزل وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم من تركه من

عصونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع إلىّ أكفكم ملوككم » انتهى فاعلموا ذلك واعملوا به والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

﴿ أبواب الملاحم ﴾

﴿ باب أمارات الملاحم ﴾

روى أبو داود عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال » (وروى) البخارى عن عوف بن مالك قال « أتيت النبى ﷺ فى غزوة تبوك وهو فى قبة أدم » فقال اعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا » والغاية هى الراية كما سيأتى فى الباب بعده والله أعلم .

﴿ باب ما ذكر فى ملاحم الروم وتواترها وتداعى الأمم على أهل الاسلام ﴾

فيه الحديث السابق آخر الباب قبله وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ستصالحكم الروم صلحا آمنا ثم تغزون أنتم وهم عدوا فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم تنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذى تلول فيرفع الرجل بين أهل الصليب الصليب فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدفعه فعند ذلك يغزو الروم ويجتمعون للملحمة فيأتون تحت ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفا » زاد أبو داود وتثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تعالى تلك العصابة بالشهادة وفى رواية أخرى لأبى داود وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة أشهر » وفى رواية لابن ماجه والترمذى بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين وخروج الدجال فى السابعة » (وروى) مسلم أن ريحا حمراء هاجت بالكوفة وهناك عبد الله بن مسعود فأتاه رجل فقال جاءت الساعة فقال ابن مسعود ان الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح لغنيمة ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام وقال عدو يجتمعون لأهل الاسلام ويجتمع لهم أهل الاسلام فقلت له الروم تعنى قال نعم قال ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون ويقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيفىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة فاذا كان يوم الرابع نهض إليهم بقية أهل الاسلام فيجعل الله الدائرة عليهم فيقتتلون مقتلة لم ير مثلها حتى ان الطير ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدون بقى منهم إلا الرجل الواحد فبأى غنيمة يفرح أو أى ميراث يقاسم فبينما هم كذلك إذ سمعوا بناس هم أكثر من ذلك فجاءهم الصريخ فقال إن الدجال قد خلفهم فى ذراريهم فيرفضون ما بأيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة قال رسول الله ﷺ « انى لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ » أو قال من خير فوارس يومئذ (وروى) أبو داود عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » فقال قائل من قلة نحن يومئذ فقال بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة وليقذفن

جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الألسن ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته عن أن قالوا « إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به » من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى إلى صراط مستقيم » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ليأتين على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك فان بنى اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا ما أنا عليه وأصحابى » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة من السنة الصلاة خلف كل امام لك صلاتك وعليه اثمه والجهاد مع كل أمير لك جهادك وعليه شره والصلاة على كل ميت من أهل التوحيد وان كان قاتل نفس » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه » وعنه

فى

فى قلوبكم الوهن فقال قائل يارسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهة الموت * وبنو الأصفر هم الروم وسموا بذلك لنسبتهم الى بنى الأصفر من الروم ابن عيصو بن اسحق بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل غير ذلك (وفى) حديث حذيفة الطويل ان الله تعالى يرسل الى المهدى فى الصلح ملكا يقال له ضمارة صاحب الملاحم وذلك لظهور المسلمين على المشركين فيصالحه الى سبعة أعوام فيضع عليهم الجزية عن يد وهم صاغرون ولا يبقى لرومى حرمة ويكسرون لهم الصليب ثم يرجع المسلمون الى دمشق فبينما الناس كذلك اذا برجل من الروم قد التفت فرأى أبناء الروم وبناتهم فى القيود والأغلال فتعز نفسه فيرفع الصليب ويرفع صوته ويقول ألا من كان يعبد الصليب فلينصره فيقوم رجل من المسلمين فيكسر الصليب ويقول الله أغلب وأعز وأنصر فحينئذ يغدرون وهم أولى بالغدر فيجمعون عند ذلك ملوك الروم فى بلادهم خفية فيأتون الى بلاد المسلمين حيث لا يشعر بهم المسلمون والمسلمون قد أخذوا منهم الأمن وهم على غفلة فانهم مقيمون على الصلح فيأتون الى انطاكية فى اثنى عشر ألف راية تحت كل راية اثنا عشر ألفا فلا يبقى بالجزيرة ولا بالشام ولا بانطاكية نصرانى الا ويرفع الصليب فعند ذلك يبعث المهدى الى أهل الشام والحجاز واليمن والكوفة والبصرة والعراق يعرفهم بخروج الروم وجمعهم ويقول لهم أعينونى على جهاد عدو الله وعدوكم فيبعث اليه أهل المشرق أنه قد جاءنا عدو من خراسان على ساحل الفرات وحل بنا واشتغلنا عنك فيأتى اليه بعض أهل الكوفة والبصرة فيخرج المهدى ومعه المسلمون الى لقائهم فيلتقى بهم المهدى ومن معه من المسلمين فيأتون الى دمشق فيدخلون فيها فيأتى الروم الى دمشق فيكونون عليها أربعين يوما فيسدون البلاد ويقتلون العباد ويهدمون الديار ويقطعون الأشجار ثم ان الله تعالى ينزل صبره ونصره على المسلمين فيخرجون اليهم فتشتد الحرب بينهم ويستشهد من المسلمين خلق كثير فيالها من وقعة ومقتلة ما أعظمها وأعظم هولها ويرتد من العرب يومئذ أربع قبائل سليم ونهد وغسان وطيء فيلحقون بالروم ويتنصرون مما يعاينون من الهول العظيم والأمر الجسيم ثم ان الله تعالى ينزل الصبر والنصر والظفر على المسلمين فيقتل من الروم مقتلة عظيمة حتى يخوض الخيل فى دمائهم وتشتعل الحرب بينهم حتى ان الحديد يقطع بعضه بعضا وان الرجل من المسلمين ليطعن العلج بالسفود فينفذه وعليه الدرع من الحديد فيقتل المسلمون من المشركين خلقا كثيرا حتى تخوض الخيل فى الدماء وينصر الله تعالى المسلمين ويغضب على الكافرين وذلك رحمة من الله تعالى لهم فالعصابة المسلمون يومئذ خير خلق الله تعالى وأما المخلصون من عباد الله فليس لهم مارد ولا مارق ولا شارق ولا مرتاب ولا منافق ثم ان المسلمين يدخلون الى بلاد الروم ويكبرون على المدائن فتقع أسوارها بقدرة الله تعالى فيدخلون المدائن والحصون ويغنمون الأموال ويسبون النساء والأطفال وتكون أيام المهدى أربعين سنة عشرة منها بالمغرب واثنتا عشرة سنة بالمدينة واثنتا عشرة سنة بالكوفة وستة بمكة وتكون منيته فجأة فبينما الناس كذلك اذ تكلم الناس بخروج الدجال وسيأتى من أخبار المهدى ما فيه كفاية ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

باب ما جاء فى قتال الترك

روى البخارى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال « لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر » (وفى) رواية لمسلم أن رسول الله ﷺ قال « تقاتلون بين يدى الساعة قوما نعالهم الشعر » وفى رواية « يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر » رواه البخارى وأبو داود والترمذى وغيرهم وفى رواية لابن ماجه « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين عراض الوجوه كأن أعينهم حدق الجراد كأن وجوههم المجان

صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أحب أن يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليؤد الأمانة وليحسن الى جاره » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة من كن فيه أو واحدة منهن زوجه الله يوم القيامة من الحور العين ما شاء رجل اؤتمن أمانة شهية خفية فأداها من مخافة الله تعالى ورجل عفا عن قاتل ورجل قرأ دبر كل صلاة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أم فليتق الله وليعلم أنه ضامن » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أئمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أم قوما وفيهم من هو خير منه لم يزل فى سفال الى يوم القيامة » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلوا وراء كل بر وفاجر فان أحسنوا

المطرقة ينتعلون الشعر ويتخذون الدرق ويربطون خيولهم بالنخيل » وفى رواية لأبى داود « يقاتلونكم قوم صغار الأعين يعنى الترك تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقوهم بجزيرة العرب فأما فى السياقة الأولى فينجو من هرب منهم وأما الثانية فينجو بعض ويهلك بعض وأما فى الثالثة فيصطلحون » (قال الإمام القرطبى) والترك هم بنو قنطوراء كما فى رواية وقنطوراء اسم جارية كانت لابراهيم عليه الصلاة والسلام ولدت له أولادا من نسلهم كان الترك وقيل هم من ولد يافث وهم أجناس كثيرة منهم أصحاب مدن وحصون ومنهم قوم فى رءوس الجبال والبرارى والشعاب ليس لهم غير الصيد ومن لم يصد منهم ودج دابته فشوى الدم فى مصران فأكله وكذلك يأكلون الرخم والغربان وغيرهما وليس لهم دين ومنهم من كان على دين المجوسية * وقال وهب بن منبه الترك بنو عم يأجوج ومأجوج والله تعالى أعلم وروى الحافظ أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قال « يوشك الله تعالى أن يملأ أيديكم من العجم ثم يجعلهم أشداء لايفرون منكم فيقتلون مقاتلتكم ويأكلون فيأكم وغنائمكم والله تعالى أعلم » والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب منه وفيما جاء فى البصرة وبغداد واسكندرية وماجاء فى فضل الشام وأنه معقل الملاحم أى مستقرها وموضعها ﴾

روى أبو داود الطيالسى عن رسول الله ﷺ أنه قال « لتنزلن طائفة من أمتى أرضا يقال لها البصرة ويكثر فيها عددهم وخيلهم ثم تجىء بنو قنطوراء عراض الوجوه صغار العيون حتى ينزلوا على جسر لهم يقال له دجلة فيفترق المسلمون ثلاث فرق فرقة تأخذ بأذناب الإبل فتلحق بالبادية فتهلك وفرقة تأخذ على أنفسها وتكفر فهذه وتلك سواء وفرقة جعلت عيالهم خلف ظهورهم وقاتلوا فقتيلهم شهيد ـ قال ـ ويفتح الله تعالى على بقيتهم » وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « تبنى مدينة بين الفرات ودجلة يكون فيها ملك بنى العباس وهى الزوراء يكون فيها حرب مقطعة تسبى فيها النساء ويذبح فيها الرجال كما تذبح الغنم » فقيل لعلى ياأمير المؤمنين لم سماها رسول الله ﷺ بالزوراء فقال « لان الحرب يزور فى جوانبها حتى يطبقها » اه قلت وفى هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد قتل التتار من أهل بغداد حين دخولهم فيها نحو خمسمائة ألف انسان وهى المرة التى استقر خرابها عليها الى الآن . فبذلك كوشف الشيخ نجم الدين الشهيد فانهم سألوه أن يسأل الله فى تخميد الفتنة فقال هذه فتنة لاتخمد الا بعد قتل ثلث أهل بغداد قال وأول مايضرب فيها عنقى ثم عنق فلان ثم فلان حتى عد جماعة فكان الأمر كما قال وكان وقع بينه وبين بعض العلماء مجادلة فى أن محل العقل فى الرأس أو فى القلب فقال لأصحابه اذا قطعت رأسى فطأطأت وأخذت رأسى ومشيت بها فاعلموا أن العقل فى القلب لافى الرأس فلما ضربوا عنقه طأطأ وأخذ الرأس ومشى بها ثم وقع فى مكان دفنه الآن هكذا أخبرنى شيخى الإمام المحدث الشيخ أمين الدين الإمام بجامع الغمرى رحمه الله والله تعالى أعلم (وذكر) ابن وهب عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه قيل له بالاسكندرية ان الناس قد فزعوا فأمر بسلاحه وفرسه فجاءه رجل فقال من أين هذا الفزع فقال سفر تراب من ناحية قبرس فقال انزعوا عن فرسى فقلنا له أصلحك الله ان الناس قد ركبوا فقال ليس هذه ملحمة الاسكندرية انما يأتون من ناحية المغرب من نحو طرابلس الغرب فتأتى مائة ثم مائة ثم مائة حتى عد تسعمائة (وروى) الوائلى عن كعب الأحبار رضى الله عنه أنه قال وجدت فى كتاب الله المنزل على موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام ان للاسكندرية شهداء يستشهدون فى بطحائها خير من مضى وخير من بقى وهم الذين يباهى الله تعالى بهم شهداء

قال « اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقنى من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد اللهم انى أعوذ بوجهك الكريم أن تصد عنى وجهك الكريم يوم القيامة » وكان صلى الله عليه وسلم فى بعض الأوقات إذا كبر تكبيرة الاحرام قال « الله أكبر كبيرا (ثلاثا) والحمد لله كثيرا (ثلاثا) وسبحان الله بكرة وأصيلا (ثلاثا) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » وكان صلى الله عليه وسلم فى بعض الأوقات اذا كبر تكبيرة الاحرام قال « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت (ثلاثا) اهدنى لأحسن الأخلاق لايهدى لأحسنها الا أنت واصرف عنى

شهداء بدر انتهى * وروى البزار عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به فأتبعته بصري فعمد به إلى الشام ألا وان الايمان حين تقع الفتن بالشام » وفي رواية عمود الاسلام بدل عمود الكتاب (قال الامام القرطبي) ولعل هذه الفتن هي التي تكون عند خروج الدجال والله تعالى أعلم وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استيقظ من منامه فزعا فقالت له عائشة رضي الله تعالى عنها يارسول الله مالي أراك فزعا فقال سل عمود الاسلام من تحت رأسي ثم رميت ببصري فاذا هو غرز في وسط الشام فقيل لي يا محمد ان الله تعالى اختار لك الشام وجعلها لك محشرا ومنعة وعزا (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أراد الله به خيرا أسكنه الشام وأعطاه نصيبه منها ومن أراد به شرا أخرجه منها » (وروى) أن الله تعالى عز وجل قال للشام « أنت صفوتي من أرضي وبلادي أسكنتك خيرتي من خلقي وإليك المحشر من خرج منك رغبة عنك فانما ذلك بسخط مني عليه ومن دخلك رغبة فيك فإنما ذلك رضا مني عليه » (وروى) أبو داود عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام » (وروى) ابن أبي شيبة أن رسول الله ﷺ قال « معقل المسلمين من الملاحم دمشق ومعقلهم من الدجال بيت المقدس ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور » (وروى) ابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال « إذا وقعت الملاحم بعث الله جيشا من الموالي هم أكرم العرب فرسا وأجودهم سلاحا يؤيد الله بهم الدين » والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء في المدينة ومكة وخرابهما ﴾

روى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبلغ المساكن اهاب قيل لزهير وما اهاب قال سألت عنه سهيلا فقال هو من المدينة على كذا وكذا ميلا » وروى أبو داود عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح » قال الزهري وهو مكان قريب من خيبر (وروى) مسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافي يعني السباع والطير ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما » وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن إلى قيام الساعة فما منه شيء إلا وقد سألته عنه إلا أني لم أسأله عما يخرج أهل المدينة من المدينة زاد في رواية لابن أبي شيبة عن أبي هريرة مرفوعا « يخرجهم منها أمراء السوء » وفي رواية أخرى « يخرج أهل المدينة من المدينة ثم يعودون إليها فيعمرونها حتى تملأ ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبدا وقيل فمن يأكل رطبها وبسرها قال الطير والسباع » (وروى) ابن أبي شيبة عن أبي هريرة قال « والذي نفسي بيده ليكونن بالمدينة ملحمة يقال لها الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين فاخرجوا من المدينة ولو على قدر بريد » وعن الشيباني قال لتخربن المدينة والفتوة قائمة (وروى) مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة » (وروى) البخاري عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « كأني به أسود أفحج يقلعها - يعني الكعبة - حجرا حجرا » وفي حديث حذيفة الطويل « كأني بحبشي أفحج الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن وأصحابه ينقضونها - يعني الكعبة - حجرا حجرا ويتناولونها حتى يرموا بها إلى البحر » وكان أبو عبيد القاسم بن سلام رضي الله عنه يقول استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فكأني برجل من الحبشة أصعل أصمع حمش الساقين

أستغفرك وأتوب إليك » * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أفضل الايمان الحب في الله والبغض في الله » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يؤمن أحدكم حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها كلمة لا إله إلا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يؤمن أحدكم حتى تكون ذاتي أحب إليه من ذاته ونفسي أحب إليه من نفسه وعترتي أحب إليه من عترته » وقيل لرسول الله ﷺ أي الاسلام خير قال ﷺ « تطعم الطعام وتفشي السلام على من عرفت ومن لم تعرف » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فمن حكمت له بحق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار » وعنه صلى الله عليه وسلم كان إذا كبر للصلاة قال « اللهم

قاعد عليها وهي تهدم * والأصعل صغير الرأس والأصمع صغير الأذن (وروى) أبو داود الطيالسي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يبايع رجل بين الركن والمقام وأول من يستحل هذا البيت أهله فاذا استحلوه فلا تسأل عن هلاك العرب ثم تجيء الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده وهم الذين يستخرجون كنزه » وثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال « المدينة كالكير تنفي خبثها » وفي رواية « لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد » ورواه مسلم وغيره أيضا وذكر الحليمي أن هدم الكعبة يكون في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام يأتيه الصراخ بأن ذا السويقتين الحبشي قد سار إلى الكعبة يهدمها فيرسل له عيسى طائفة ما بين الثمان إلى التسع وقال بعضهم ان ذلك يكون بعد رفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف وذلك بعد موت عيسى فالله تعالى أعلم بحقيقة الحال (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أراد لأهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء » (وفي الحديث) « لا يصبر أحد على المدينة ولأوائها وشدتها إلا كنت له شفيعا ـ أو قال شهيدا ـ يوم القيامة » (وفي الحديث) « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فاني أشفع لمن مات بها » (قال الامام القرطبي) وما ورد من الحث على سكنى المدينة إنما محله قبل توارد الفتن والأهوال عليها كما في حياته ﷺ أما بعدها فلا حرج على المؤمن في خروجه منها والله تعالى أعلم فقد خرج منها كثير من الصحابة كما هو مذكور في كتب التواريخ (قال الامام القرطبي) وقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من خراب المدينة لما ارتحل أهلها منها وتحولت الخلافة إلى الشام وكانت معقل الخلافة فوجه يزيد ابن معاوية مسلم بن عقبة في جيش عظيم من أهل الشام فنزل بالمدينة وقاتل أهلها حتى هزمهم وقتلهم بحرة المدينة قتلا ذريعا واستباح المدينة ثلاثة أيام فسميت وقعة الحرة (وذكر) أهل الأخبار أنها خلت من أهلها وبقيت ثمارها للطير والسباع كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تراجع الناس اليها وفي حال خلائها عدت الكلاب على سواري المسجد وفي رواية عن كعب الأحبار قال ليغشين أهل المدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها وهي مذللة يعني بالثمار حتى تبول السنانير على قطائف العنب ما يردها عن ذلك أحد وحتى تمشي الثعالب في أسواقها ما يروعها أحد والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ باب ما جاء في الخليفة الكائن في آخر الزمان المسمى بالمهدي وعلامة خروجه ﴾

روى مسلم عن أبي نضرة قال : كنا جلوسا عند جابر بن عبد الله فقال يوشك أهل العراق أن لا يجبي إليهم قفيز ولا درهم قلنا من أين ذاك فقال من قبل العجم يمنعون ذاك ثم قال : يوشك أهل الشام أن لا يجبي إليهم دينار ولا مدي أي مد قلنا له من أين ذاك فقال من قبل الروم ثم سكت هنيهة ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا ولا يعده عدا » قيل لأبي نضرة وأبي العلاء أتريان أنه عمر ابن عبد العزيز قالا : لا (وروى) أبو داود عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال أهل الشام وعصائب العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقي الاسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » (وذكر) ابن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : يجيء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة فيقتل المقاتلة ويبقر بطون النساء ويقولون للحبلى في

رب جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل فاطر السموات والأرض أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الدين النصيحة » قيل لمن يا رسول الله قال « لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » وعنه ﷺ أنه قال « تآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ودع عنك أمر العوام » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ليس مؤمنا بالقرآن ولا بي » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صلى قبل الظهر أربعا وأربعا بعدها حرمه الله على النار » وعنه ﷺ أنه قال « أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم تفتح لهن أبواب السماء » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « رحم الله أمرأ صلى قبل العصر أربعا » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « صلوا قبل المغرب ركعتين صلوا قبل المغرب ركعتين صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شاء » وعنه ﷺ أنه قال :

البطن اقتلوا اصابة السوء فاذا علوا البيداء من ذي الحليفة خسف بهم فلا يدرك أسفلهم أعلاهم ولا أعلاهم أسفلهم . وفي الحديث أن جيشا يؤمون البيت الحرام فاذا استووا على البيداء نادى أولهم آخرهم ارفقوا خسف بهم وبأمتعتهم وأموالهم وذراريهم الى يوم القيامة ثم قال قال عبدالله بن عمرو اذا خسف بالجيش بالبيداء فذلك علامة على خروج المهدي اه وسيأتي له علامات أخر قريبا ان شاء الله تعالى .

﴿ باب منه في المهدي وخروج السفياني عليه وبعث الجيش لقتاله وأنه الجيش الذي خسف به ﴾

روى عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق وجيشا الى المدينة فيسير الجيش نحو المشرق حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة يعني مدينة بغداد قال فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويفتضون أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلثمائة كبش من ولد العباس ثم يخرجون متوجهين الى الشام فتخرج راية المهدي من الكوفة فيلحق ذلك الجيش منها على ليلتين فيقتلونهم ثم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام وقال له اذهب فأهلكهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم وذلك قوله تعالى « ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب » فلا يبقى منهم الا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة ومن هنا قيل عند جهينة الخبر اليقين ولفظ حديث ابن مسعود أطول من هذا الحديث وفيه « ثم ان محمد بن عروة السفياني يبعث جيشا الى الكوفة فيه خمسة عشر ألف فارس ويبعث جيشا آخر فيه خمسة عشر ألف راكب الى مكة والمدينة لمحاربة المهدي ومن تبعه فأما الجيش الأول فانه يصل الى الكوفة فيغلب عليها ويسبي من كان فيها من النساء والأطفال ويقتل الرجال ويأخذ ما يجد فيها من الأموال ثم يرجع فتقوم صيحة بالمشرق فيتبعهم أمير من أمراء بني تميم يقال له شعيب بن صالح فيستنقذ ما في أيديهم من السبي ويرجع الى الكوفة وأما الجيش الثاني فانه يصل الى مدينة رسول الله ﷺ فيقاتلونها ثلاثة أيام ثم يدخلونها عنوة ويسبون ما فيها من الأهل والولد ثم يصيرون الى مكة لمحاربة المهدي ومن معه فاذا وصلوا الى البيداء مسخهم الله أجمعين » زاد في رواية ابن ماجه « فلا يبقى منهم الا الشريد الذي يخبر عنهم » (وروى) ابن ماجه « اذا طلعت الرايات السود من قبل المشرق فانه خليفة الله المهدي فبايعوه اذا رأيتموه ولو حبوا على الثلج » (وروى) ابن ماجه أيضا عن رسول الله ﷺ قال « يخرج أناس من المشرق فيوطئون للمهدي كرسي سلطانه » وفي رواية لأبي داود « يخرج رجل من وزراء المهدي يقال له الحرث بن حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن لآل محمد ﷺ وعليهم كما مكنت قريش للنبي ﷺ ويجب على كل مؤمن نصرته أو قال اعانته » والله تعالى أعلم .

﴿ باب منه فيما جاء في ذكر المهدي وصفته واسمه وعطائه ومكثه وأنه يخرج مع عيسى عليه الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجال ﴾

روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال « يكون في أمتي المهدي ان قصر فسبع والا فتسع وينمو المال في زمنه ويكثر عنده يقوم الرجل فيقول يامهدي أعطني فيقول خذ » وفي حديث أبي داود أيضا « المهدي مني واسع الجبهة أقنى الانف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يملك سبع سنين » (وروى) أن رسول الله ﷺ قال « ليصيبن هذه الأمة بلاء حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم فيبعث الله تعالى رجلا من عترتي أهل بيتي يملأ به الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى

« اذا أملقتم فتاجروا الى الله بالصدقة » وعنه ﷺ أنه قال « ثلاثة أقسم عليهن مانقصت صدقة من مال وان الصدقة لاتزيد المال الا كثرة وماصبر عبد على مظلمة ظلمها الا زاده الله بها عزا وما فتح عبد على نفسه باب مسألة يسأل فيه الناس الا فتح الله عليه باب فقر والرابعة لو شئت لأقسمت عليها ماستر الله على عبد في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « طهروا أموالكم بالزكاة وداووا امرضاكم بالصدقة » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مانع الزكاة يوم القيامة في النار » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ادرءوا الحدود بالشبهات * وعنه ﷺ أنه قال « لأن يخطأ الحاكم في العفو خير من أن يخطأ في العقوبة » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لاتزال أمتي بخير مالم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم ومالم يؤخروا الصبح حتى تمحى النجوم » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لاتزال أمتي بخير ما عجلوا الفطور وأخروا السحور » * وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « قال موسى يارب وددت أني أعلم من تحبه من عبادك فأحبه قال اذا رأيت عبدي يكثر ذكري فانا أذنت له في ذلك وأنا

عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدع السماء من قطرها شيئا الا صبته مدرارا ولا تدع الأرض من نباتها شيئا الا أخرجته حتى يتمنى الأحياء العيش يمكث على ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين » وفي حديث أبي داود « لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يبعث الله تعالى فيه رجلا من أمتي أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي » وخرجه الترمذي بمعناه وقال حسن صحيح وفي رواية له أيضا « لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يليهم رجل من أهل بيتي تكون الملائكة بين يديه ويظهر الاسلام ويكثر فيه المال ويأتيه الرجل فيقول يا مهدي أعطني فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله » وفي رواية للحافظ أبي نعيم أن رسول الله ﷺ قال « المهدي منا أهل البيت يصلحه الله عز وجل في ليلة أو قال في يومين » (وروى) ابن ماجه وغيره أن رسول الله ﷺ قال « لا يزداد الأمر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس على الدنيا الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا مهدي الا عيسى بن مريم » (قال الامام القرطبي) وهذا لا ينافي ما تقدم في أحاديث المهدي لأن معناه تعظيم شأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام على المهدي أي أنه لا مهدي الا عيسى لعصمته وكماله فلا ينافي وجود المهدي كقولهم لا فتى الا علي والله أعلم ويؤيد ذلك حديث « المهدي من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا وانه يخرج مع عيسى عليه الصلاة والسلام يساعده على قتال الدجال بباب لد من أرض فلسطين وانه يؤم هذه الأمة ويصلي خلفه عيسى بن مريم » والله تعالى أعلم .

باب من أين يخرج المهدي وفي علامة خروجه وأنه يبايع مرتين ويقاتل عروة بن محمد السفياني ويقتله

تقدم حديث أبي هريرة وغيره أن المهدي يبايع بين الركن والمقام (وروى) أنه يخرج في آخر الزمان رجل يقال له المهدي من أقصى المغرب يمشي النصر بين يديه أربعين ميلا راياته بيض وصفر فيها رقوم وفيها اسم الله الأعظم مكتوب فيها فلا تهزم له راية وقيام هذه الرايات وانبعاثها من ساحل البحر بموضع يقال له ماسة من جبل المغرب فيعقد هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله تعالى لهم ميثاق النصر والظفر « أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون » وأطال في الحديث الى أن قال فيأتي الناس من كل جانب ومكان فيبايعونه يومئذ بمكة بين الركن والمقام وهو كاره لهذه المبايعة الثانية بعد البيعة الأولى التي بايعها الناس بالمغرب ثم ان المهدي يقول أيها الناس اخرجوا الى قتال عدو الله وعدوكم فيجيبونه ولا يعصون له أمرا فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة الى الشام لمحاربة عروة بن محمد السفياني ومن معه من كلب ثم يتبدد جيشه ثم يوجد عروة السفياني على أعلى شجرة على بحيرة طبرية والخائب من خاب يومئذ من قتال كلب ولو بكلمة أو تكبيرة أو صيحة (وفي الحديث) أن حذيفة رضي الله عنه قال يا رسول الله كيف يحل قتلهم وهم مسلمون موحدون فقال النبي ﷺ : انما ايمانهم على ردة لأنهم خوارج ويقولون برأيهم ان الخمر حلال ومع ذلك انهم يحاربون الله . قال الله تعالى « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا » الى آخر الآية . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال « ستفتح بعدي جزيرة تسمى بالاندلس فيتغلب عليهم أهل الكفر فيأخذون أموالهم وأكثر بلادهم ويسبون نساءهم وأولادهم ويهتكون الأستار ويخربون الديار وترجع أكثر البلاد فيافي وقفارا ويتخلى أكثر الناس عن ديارهم وأموالهم فيأخذون أكثر الجزيرة ولا يبقى الا أقلها ويكون في المغرب الهرج والخوف ويستولي عليهم الجوع والغلاء وتكثر الفتنة ويأكل الناس بعضهم بعضا فعند ذلك يخرج رجل من المغرب الأقصى من ولد فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهو المهدي القائم في آخر الزمان وهو أول أشراط الساعة (قال الامام القرطبي) وقد شاهدنا جميع هذه الأمور وعايناها في بلادنا الا خروج المهدي انتهى وفي حديث شريك ان الشمس تكسف مرتين في رمضان قبل خروج المهدي والله أعلم .

الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب وإن أبعد القلوب من الله تعالى القلب القاسي » * وعنه ﷺ أنه قال « أفضل العباد درجة عند الله تعالى يوم القيامة الذاكرون الله كثيرا قيل ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويتخضب دما لكان الذاكر لله أفضل منه درجة » وعنه ﷺ أنه قال « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « جددوا إيمانكم أكثروا من قول لا اله الا الله » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « ان لله ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم

﴿ باب ما جاء أن المهدي يملك جبل الديلم والقسطنطينية ويستفتح رومية وانطاكية وكنيسة الذهب وغير ذلك ﴾

روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوله الله عز وجل حتى يملك رجل من أهل بيتي جبل الديلم والقسطنطينية » واسناده صحيح ثم ان المهدي ومن معه من المسلمين يأتون الى مدينة انطاكية وهي مدينة عظيمة على البحر فيكبرون عليها ثلاث تكبيرات فيقع سورها في البحر بقدرة الله عز وجل فيقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال ويأخذون الأموال ثم يملك المهدي انطاكية ويبني فيها المساجد وتعمر بعمارة أهل الإسلام ثم يسيرون الى رومية والقسطنطينية وكنيسة الذهب فيستفتحون القسطنطينية ورومية ويقتلون بها أربعمائة ألف مقاتل ويفتضون بها سبعين ألف بكر ويستفتحون المدائن والحصون ويأخذون الأموال ويقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال ويأتون كنيسة الذهب فيجدون فيها الأموال التي كان المهدي أخذها أول مرة وهذه الأموال هي التي أودعها فيها ملك الروم قيصر حين غزا بيت المقدس فوجد في بيت المقدس هذه الأموال فأخذها واحتملها على سبعين ألف عجلة الى كنيسة الذهب بأسرها كاملة كما أخذها ما نقص منها شيء فيأخذ المهدي تلك الأموال فيردها الى بيت المقدس زاد في رواية فقال حذيفة يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسيم الخطر عظيم القدر فقال رسول الله ﷺ هو من أجل البيوت ابتناه الله على يد سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد وذلك أن سليمان بن داود عليهما السلام سخر الله تعالى له الجن فأتوه بالذهب والفضة من المعادن وأتوه باليواقيت والجواهر والزمرد من البحار يغوصون كما قال الله تعالى « كل بناء وغواص » فلما أتوه بهذه الأصناف بناه منها فجعل فيها بلاطا من فضة وبلاطا من ذهب وأعمدة من ذهب وأعمدة من فضة وزينه بالدر والياقوت والزمرد وسخر الله تعالى له الجن فأتوه حتى بنوه من هذه الأصناف قال حذيفة فقلت يا رسول الله وكيف أخذت هذه الأشياء من البيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني إسرائيل لما عصوا وقتلوا الأنبياء سلط الله تعالى عليهم بختنصر وهو من المجوس وكان ملكه سبعمائة سنة وهو قوله تعالى « فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد » الآية فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال وأخذوا الأموال وجميع ما كان في بيت المقدس من الأصناف المذكورة فاحتملوها على سبعين ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل فأقاموا يستخدمون بني إسرائيل وينتهكونهم بالخزي والعقاب والنكال مائة عام ثم ان الله عز وجل رحمهم فأوحى الله الى ملك من ملوك فارس أن يسير الى المجوس في أرض بابل وأن يستنقذ من في أيديهم من بني إسرائيل فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل الى أرض بابل فاستنقذ من بقي من بني إسرائيل من أيدي المجوس واستنقذ ذلك الحلي الذي كان في البيت المقدس ورده اليه كما كان أول مرة وقال لهم يا بني إسرائيل إن عدتم الى المعاصي عدنا اليكم بالسبي والقتل وهو قوله تعالى « عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا » يعني ان عدتم الى المعاصي عدنا إليكم بالعقوبة فلما رجعت بنو إسرائيل الى البيت المقدس عادوا الى المعاصي فسلط الله تعالى عليهم ملك الروم قيصر فهو قوله تعالى « فاذا جاء وعد أولاهما »(١) الآية فغزاهم في البر والبحر وسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم وأخذ جميع حلي بيت المقدس واحتمله على سبعين ألف عجلة حتى أودعه كنيسة الذهب فهو فيها الآن حتى يأخذه المهدي ويرده الى البيت المقدس ويكون المسلمون ظاهرين على أهل الشرك بعد ذلك فعند ذلك يرسل الله ملك الروم وهو الخامس من أهل هرقل والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) هكذا بالأصل ولعلها فاذا جاء وعد الآخرة اهـ.

الى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي فيقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول هل رأوني فيقولون لا والله ما رأوك فيقول كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا فيقول فما يسألون فيقولون يسألونك الجنة فيقول هل رأوها فيقولون لا والله يا رب ما رأوها فيقول كيف لو أنهم رأوها فيقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون فيقولون من النار فيقول هل رأوها فيقولون لا والله يارب ما رأوها فيقول كيف لو أنهم رأوها فيقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد مخافة فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول ملك منهم فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « حدثني جبريل قال يقول الله تعالى لا إله إلا الله حصني ومن دخله أمن من عذابي » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لكل شيء صقالة وان صقالة القلوب ذكر الله وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله ولو أن تضرب بسيفك حتى ينقطع »

الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «أولياء الله الذين إذا رؤوا ذكر الله» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما فان ابليس قال أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالهوى ويحسبون أنهم مهتدون» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من اتبع عورة أخيه المسلم اتبع الله عورته ومن اتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «الزنا يورث الفقر من زنا افتقر» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر» وعنه ﷺ أنه قال «من أسف على دنيا فاتته من

﴿ باب ما جاء في فتح القسطنطينية ومن أين تفتح وفتحها علامة خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله إياه ﴾

روى مسلم «عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لاتقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فاذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لانخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون اذ صاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلفكم في أهاليكم فيخرجون وذلك باطل فاذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف اذا أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فيؤمهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله تعالى بيده فيريهم دمه في حربته» (وروى) ابن ماجه عن عمرو بن عوف عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تقوم الساعة حتى يكون أدنى مسالح المسلمين ببولاء» ثم قال صلى الله عليه وسلم «ياعلي ياعلي ياعلي فقال بأبي بأبي يارسول الله فقال إنكم ستقاتلون بني الأصفر ويقاتلونهم من بعدكم حتى يخرج اليهم روقة الإسلام وروقة الإسلام أهل الإسلام الذين لايخافون في الله لومة لائم يفتتحون قسطنطينية بالتسبيح والتكبير فيصيبون غنائم لم يصيبوا مثلها حتى يقتسموها بالأترسة فيأتي آت فيقول ان المسيح قد خرج في بلادكم ألا وهي كذبة فالآخذ نادم والتارك نادم» وروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه يوما «سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر قالوا نعم يارسول الله قال لاتقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني اسحق فاذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها قال ثور لا أعلمه إلا قال الذي في البحر ثم يقولوا الثانية لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقول الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر فتفرج لهم فيدخلونها فيغنمون فبينما هم يقتسمون المغانم اذ جاءهم الصريخ فقال ان الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون» وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال فتح القسطنطينية مع قيام الساعة والقسطنطينية مدينة الروم وتفتح عند خروج الدجال وقد فتحت في زمن عثمان رضي الله عنه ثم دخل سنة سبع وعشرين ففيها كان فتح إفريقية على يد عبدالله بن أبي سرح وذلك ان عثمان لما ولى عمرو بن العاص على عمله بمصر كان لايعزل أحدا الا عن شكاية وكان عبدالله بن أبي سرح من جند مصر فأمره عثمان على الجند ورماه بالرجال وسرحه الى افريقية وسرح معه عبدالله بن نافع بن عبدالقيس وعبدالله ابن نافع بن الحصين الفهريين فلما فتح الله تعالى افريقية خرج عبد الله وعبد الله الى الأندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان الى من انتدب الى الأندلس أما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الأندلس وانكم ان افتتحتموها كنتم الشركاء في الأجر فيقال انها فتحت في تلك الأزمان وستفتح مرة أخرى كما في الأحاديث (قال القرطبي رحمه الله) حديث أبي هريرة أول الباب يدل على أنها تفتح بالنبال وحديث ابن ماجه يدل على أنها تفتح بغير ذلك ولعل فتح المهدي لها يكون مرتين مرة بالقتال ومرة بالتكبير كما أنه يفتح كنيسة الذهب مرتين فان المهدي اذا خرج بالمغرب انحاز اليه أهل الأندلس فيقولون له ياولي الله انصر جزيرة الأندلس فقد تلفت وتلف أهلها وتغلب عليها أهل الكفر والشرك من أبناء الروم فيبعث كتبه الى جميع قبائل المغرب وهم قولة وجدالة وقذالة وغيرهم من القبائل

من أهل المغرب أن انصروا دين الله وشريعة محمد ﷺ فيأتون اليه من كل مكان ويجيبونه ويقفون عند أمره ويكون على مقدمة عسكره صاحب الخرطوم وهو صاحب الناقة الغراء وصاحب المهدى وناصر دين الاسلام وولى الله حقا فعند ذلك يبايعه ثمانون ألفا من المقاتلة ما بين فارس وراجل قد رضى الله عنهم «أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون» فباعوا أنفسهم لله والله ذو الفضل العظيم فيعبرون البحر حتى ينتهوا الى حمص وهى اشبيلية فيصعد المهدى المنبر فى المسجد الجامع ويخطب خطبة بليغة فيأتى اليه أهل الأندلس فيبايعه جميع أهل الاسلام فيها ثم يخرج بجميع المسلمين متوجها الى بلاد الروم فيفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الروم يخرجها من أيدى العدو عنوة ثم ان المهدى ومن معه يصلون الى كنيسة الذهب فيجدون فيها أموالا عظيمة فيأخذها المهدى فيقسمها بين الناس بالسوية ثم يجد فيها تابوت السكينة وفيها عكازة عيسى وعصا موسى عليهما الصلاة والسلام وهى العصا التى هبط بها آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة حين أخرج منها وكان قيصر ملك الروم قد أخذها من البيت المقدس واحتمل جميع ما فيه من المتاع والأموال الى كنيسة الذهب فهو فيها الى الآن حتى يأخذه المهدى فاذا أخذ المسلمون العصا تنازعوا فيها وكل واحد منهم يريد أن تكون له فاذا أراد الله قيام أهل الاسلام من الاندلس خذل رأيهم وسلب ذوى الألباب عقولهم فيقسمون العصا على أربعة أجزاء فيأخذ كل عسكر منهم جزءا وهم يومئذ أربع عساكر واذا فعلوا ذلك رفع عنهم الظفر والنصر ووقع الخلاف بينهم وظهر عليهم أهل الشرك حتى يأتوا البحار فيبعث الله عليهم ملكا فى صورة إبل فيجوزبهم من القنطرة التى بناها ذو القرنين لهذا المعنى خاصة فيأخذ الناس وراءه حتى يأتوا الى مدينة فارس والروم وراءهم فلا يزالون كذلك كلما ارتحل المسلمون مرحلة ارتحل المشركون كذلك حتى يأتوا إلى أرض مصر والروم وراءهم فيتملكون مصر الى الفيوم ثم يرجعون والله تعالى أعلم.

﴿ أبواب أشراط الساعة وعلاماتها ﴾

أما وقت قيامها فلا يعلمه الا الله وفى حديث جبريل الذى رواه مسلم ما المسئول عنها بأعلم من السائل وفى القرآن العظيم «يسألونك عن الساعة قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو» وقال تعالى «لا تأتيكم إلا بغتة» وروى عن الشعبى قال لقى جبريل عيسى عليهما الصلاة والسلام فقال له عيسى متى الساعة فانتفض جبريل فى أجنحته وقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة (وروى) الحافظ أبو نعيم عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ «للساعة أشراط قيل يا رسول الله ما أشراطها قال علو أصوات أهل الفسق فى المساجد وظهور أهل المنكر على أهل المعروف فقال أعرابى فما تأمرنى يا رسول الله فقال دع ما تنكر وخذ ما تعرف وقال كن حلس بيتك أى الزم الجلوس فى بيتك كلزوم الحلس لظهر الدابة» قال العلماء رحمهم الله تعالى والحكمة فى تقديم أشراط الساعة عليها تنبيه الناس من رقدة الغفلة وحثهم على الأخذ بالاحتياط لأنفسهم بالتوبة والانابة وتأدية الحقوق الى أربابها قبل أن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ومن قبل أن يحال بينهم وبين سعادتهم (قال الإمام القرطبى) رحمه الله تعالى فينبغى للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة على أهبة واستعداد لقيام الساعة الموعود بها فان تلك الأشراط قد جعلها الله تعالى علامة على انتهاء مدة الدنيا * فمنها خروج الدجال ونزول عيسى وقتله الدجال وخروج يأجوج ومأجوج والدابة التى تخرج من الأرض تكلمهم أى تسم الناس فى وجوههم من مسلم وكافر * ومنها طلوع الشمس من مغربها فهذه هى الآيات العظام وأما ما تقدم هذه الآيات من قبض العلم وغلبة الجهل واستيلاء أهله وبيع الحكم وظهور المعازف واستفاضة شرب الخمر واكتفاء النساء بالنساء

أنه قال «من زهد فى الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا وكشف عنه الغم» وعنه ﷺ قال: «من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «أكبر الكبائر حب الدنيا» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «اذا عظمت أمتى الدنيا نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى واذا تسابت أمتى سقطت من عين الله» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «مهلا عن الله مهلا فانه لولا شباب خشع وشيوخ ركع وبهائم رتع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صبا» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة الا رحيم قالوا كلنا رحيم قال لا حتى يرحم العامة» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «يقول الله عز وجل ان كنتم تحبون رحمتى

والرجال بالرجال وإطالة البنيان وزخرفة المساجد وإمارة الصبيان ولعن آخر هذه الامة أولها وكثرة الهرج يعنى القتل بغير حق فانما هى أسباب حادثة مصدقة لرسول الله ﷺ فيما أخبر وأنذر فهى من معجزاته ﷺ والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ﴾

روى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « بعثت أنا والساعة كهاتين » قال وضم السبابة والوسطى وقد روى هذا الحديث من طرق فى البخارى والترمذى وغيرهما ومعناها كلها على اختلافها تقريب أمر الساعة التى هى القيامة وسرعة مجيئها وقد أشار الى ذلك بقوله تعالى « فقد جاء أشراطها » وقوله تعالى « وما أمر الساعة الا كلمح البصر » وقوله تعالى « اقترب للناس حسابهم » وقوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر » وكان الضحاك والحسن يقولان أول أشراط الساعة هو محمد ﷺ وكان الامام زين العابدين رضى الله عنه يقول من اقتراب الساعة ظهور الجذام والبواسير وموت الفجأة والله تعالى أعلم * قال العلماء وليس فى الحديث السابق مايعلم منه أن رسول الله ﷺ كان يعلم وقت قيام الساعة لاحتمال أن يكون مراده ﷺ أنه آخر نبى يكون فليس بعده الا الساعة كما أنه ليس بعد السبابة الا الوسطى وقال بعض العلماء ان الله تعالى أطلع رسوله ﷺ على اليوم الذى تقوم فيه الساعة لا على وقتها من ذلك اليوم والله أعلم .

﴿ باب ذكر أمور تكون بين يدى الساعة ﴾

روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى فيه وحتى يتطاول الناس فى البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين « لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا » ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى منه ابله ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها » (قال الامام القرطبى) رحمه الله تعالى فهذه ثلاث عشرة علامة رواها أبو هريرة فى حديث واحد ولا حاجة لما ورد فى الأحاديث الضعيفة من العلامات المؤذنة بوقوع أمور معينة فى سنين معينة كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فى سنة ثمانين يكون كذا وكذا وفى سنة عشر ومائتين يكون كذا وكذا وفى العشرين ومائتين كذا وفى الثلاثين ومائتين كذا وفى سنة ستين ومائتين تكسف الشمس ساعة فيموت نصف الانس والجن انتهى وقد مضت هذه المدة ولم يقع شىء مما قيل ولو أنه وقع لم يخف على الناس نقله لمن بعدهم وأيضا فان التاريخ انما وضع فى زمن عمر بن الخطاب بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم على أنه قد مضى كثير من العلامات فى حديث حذيفة الصحيح وانما الكلام فى تعيين التاريخ لاغير وحاصل الامر أن جميع ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم من الفتن والكوائن لا بد من وقوعه وأما تعيين وقته فيحتاج الى طريق صحيح والحمد لله رب العالمين * ومعنى حديث لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى كنت مكانه أى لما يرى فى ذلك الزمان من شدة البلاء وتعظيم الجهال وظهور رياستهم وخمول العلماء وغبن الاولياء

واستيلاء

الله عليه وآله وسلم أنه قال « من يسره أن يقيه الله من فور جهنم يوم القيامة ويجعله فى ظله فلا يكن على المؤمنين غليظا وليكن بهم رحيما » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ان العبد ليقف بين يدى الله تعالى فيطيل الله وقوفه حتى يصيبه من ذلك كرب شديد فيقول يارب ارحمنى اليوم فيقول فهل رحمت شيئا من خلقى من أجلى فأرحمك هات ولو عصفورا » فكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن مضى من سلف الأمة يتبايعون العصافير فيطلقونها . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما ساغ لكم الطعام والشراب » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من ترك معصية مخافة من الله أرضاه الله » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من يتق الله أهاب الله منه كل شىء ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شىء » وعن زيد ابن أرقم رضى الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ بم أتقى النار قال « بدموع عينيك فان عينا بكت

واستيلاء الباطل في الأحكام وعموم الظلم والجهر بالمعاصي واستيلاء الحرام على أموال الخلق والتحكم في الأبدان والأموال والأعراض بغير حق (قال الامام القرطبي) وقد وجد غالب هذا في زماننا هذا قال روينا عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقول: يوشك أن يأتي على الناس زمان يغبط فيه خفيف الحاذ يعني الذي لا أهل له ولا ولد كما يغبط اليوم أبو عشرة من الأولاد ويغبط الرجل ببعده عن السلطان كما يغبط اليوم بقربه منه لمصالح العباد وتمر الجنازة في السوق فيهز الناس رؤوسهم ويقولون ليت أحدنا كان مكانه قال عبادة ابن الصامت يا أباذر ان هذا الأمر عظيم فقال نعم الأمر أعظم مما تظنون (قال الامام القرطبي) رحمه الله تعالى وهذا هو ذلك الزمان فقد استولى فيه الباطل على الحق وتغلب فيه العبيد على الأحرار وباعوا الأحكام ورضي بذلك منهم الحكام فصار الحكم مكسا والحق عكسا لا يوصل إليه ولا يقدر عليه بدلوا دين الله وغيروا حكم الله «سماعون للكذب أكالون للسحت» وفي الحديث «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن. ولقد أحسن ابن المبارك في قوله: وهل أفسد الدين إلا الملوك * وأحبار سوء ورهبانها (قال الامام القرطبي) ومن علامات الساعة أيضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة» انتهى وقد وجدت الصفتان وكان مكحول رحمه الله تعالى يقول: يأتي على الناس زمان يكون عالمهم أنتن من جيفة حمار (وروى) الحكيم الترمذي في نوادر الأصول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يكون في آخر الزمان ديدان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من شرهم وهم الأنتنون ثم تظهر قلانس البرد فلا يستحيا يومئذ من الرياء والمستمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين قالوا أمنا أو منهم فقال بل منكم» وكان معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقول: سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب يتهافت يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أعمالهم طمع لا يخالطه خوف ان قصروا قالوا سنبلغ وان أساءوا قالوا سيغفر لنا إنا لم نشرك بالله شيئا وتقدم في باب قوله تعالى «وقودها الناس والحجارة» عدة أحاديث تشير إلى أن من قرأ القرآن وقال من أقرأ مني فهو أول من تسعر به النار وفي الحديث «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل يقال له الجهجاه» وفيه أيضا «لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه» وفي البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى» وروى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ستخرج نار من حضرموت أو من نحو حضرموت قبل يوم القيامة قالوا يا رسول الله فما تأمرنا قال عليكم بالشام» وفي البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» وفي الترمذي أن رسول الله ﷺ قال «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا امامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويلي أموركم شراركم» وفي الحديث أيضا «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس ويكلم الرجل سوطه ونعله ويخبره بحديث أهله» وفي رواية «حتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وحتى يفيض المال فيخرج بزكاته فلا يجد من يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا» وفي الحديث «لا تذهب الليالي والأيام حتى تعبد اللات والعزى» (قال الامام القرطبي) رحمه الله تعالى وقوله ﷺ «حتى تخرج نار من أرض الحجاز» فقد خرجت نار عظيمة وكان بدؤها زلزلة عظيمة وذلك ليلة الأربعاء بعد الفجر الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت وظهرت النار بقريظة عند قاع التنعيم بطرف الحرة ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط بها عليه شراريف كشراريف الحصون وأبراج ومآذن ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا

من خشية الله لا تأكلها النار» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «إنما يسلط على ابن آدم ما يخافه ابن آدم ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله لم يتسلط عليه أحد وإنما وكل ابن آدم لمن رجا ابن آدم ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله الله إلى غيره» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «خشية الله تعالى رأس كل حكمة والورع سيد العمل» وعنه ﷺ أنه قال «لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحار ولزالت بدعائكم الجبال ولو خفتم الله حق مخافته لعلمتم العلم الذي ليس معه جهل ولكن لم يبلغ ذلك أحد قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الله أعز شأنا وأعظم من أن يبلغ أحد أمره كله» وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «الزهد في الدنيا أن تحب ما يحب خالقك وأن تبغض ما يبغض خالقك وأن تتحرج من حلال الدنيا كما تتحرج من حرامها فإن حلالها حساب وحرامها عذاب وأن ترحم جميع المسلمين كما ترحم نفسك وأن تتحرج من الكلام فيما لا يعنيك كما تتحرج من الحرام وأن تتحرج من كثرة الأكل كما تتحرج من الميتة التي قد اشتد نتنها وأن تتحرج من حطام الدنيا وزينتها كما تتحرج

دكته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوى كدوى الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهى إلى محيط الركب العراقى فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار إلى قرب المدينة وكان مما يلى المدينة نسيم بارد ببركته صلى الله عليه وسلم وكانوا يشاهدون من هذه النار غليانا كغليان القدور وانتهت إلى قرية من قرى اليمن فأحرقتها (قال الامام القرطبى) وذكر لى بعض أصحابى أنه رأى تلك النار صاعدة فى الهواء من مسيرة خمسة أيام من المدينة الشرفة وذلك من أعلام النبوة (قال القرطبى رحمه الله) وفشا بعد هذه النار نار أخرى أرضية بحرم المدينة فأحرقت جميع الحرم حتى انها أذابت الرصاص الذى فى العمد فوقعت العمد ولم يبق غير السور واقفا وفشا بعد ذلك أخذ بغداد بتغلب التتار عليها فقتل من كان فيها وسبى وذلك عمود الاسلام ومأواه فانتشر الخوف وعظم الكرب وعم الرعب وكثر الحزن وبقى الناس حيارى سكارى بغير خليفة ولا امام انتهى وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لتقصدنكم نار هى اليوم خامدة فى واد يقال له برهوت تغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال تدور الدنيا كلها فى ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب حرها بالليل أشد من حرها بالنهار ولها بين السماء والأرض دوى كدوى الرعد القاصف هى من رؤوس الخلائق أدنى من العرش . فقال حذيفة يارسول الله أسليمة هى يومئذ على المؤمنين والمؤمنات قال : وأين المؤمنون والمؤمنات الناس يومئذ شر من الحمر يتسافدون كما تتسافد البهائم وليس هناك رجل يقول لأحدهم مه مه » رواه الحافظ أبو نعيم (قال الامام القرطبى) ولعل هذه النار المرادة بقوله صلى الله عليه وسلم «ستخرج نار من حضرموت » والله تعالى أعلم .

﴿ باب منه ﴾

(روى) عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لاتقوم الساعة حتى يكون التسليم على الخاصة دون العامة وحتى تفشو التجارة وتعيب المرأة زوجها على التجارة وحتى تقطع الأرحام ويفشو الظلم وتظهر شهادة الزور وتكتم شهادة الحق » وفى رواية ويفشو العلم بدل الظلم والمراد به ظهور كثرة الكتاب كما رواه أبو داود الطيالسى وفى رواية « من أشراط الساعة أن تظهر التجارة ويظهر العلم » وفى رواية « لاتقوم الساعة حتى يرفع العلم ويفيض المال ويظهر الجهل » قال الحسن ولقد أتى علينا زمان انما كان يقال فيه كاتب بنى فلان أو تاجر بنى فلان ما يكون فى الحى إلا الكاتب الواحد أو التاجر الواحد انتهى وكان عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه يقول ان من أشراط الساعة أن تتخذ المساجد طرقا وأن يسلم الرجل على الرجل بالمعرفة وأن يتجر الرجل وامرأته جميعا وأن تغلو مهور النساء والخيل ثم يرخص فلا يغلو إلى يوم القيامة (وروى) البخارى أن رسول الله ﷺ قال « ان من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء وتقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » وفى حديث مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحدا يأخذها منه وأن يرى الرجل الواحد تتبعه أربعون امرأة » يريد والله تعالى أعلم بذلك أن النساء يلذن بالرجل الواحد من قلة الرجال وكثرة النساء وذلك لقتل الرجال فى الملاحم وتبقى نساؤهم أرامل فتراهن يقبلن على الرجل الواحد يقوم بمصالحهن من بيع وشراء وأخذ وعطاء وقال بعضهم إنما ذلك لغلبة الشبق على النساء وقلة الرجال فيتبع الرجل الواحد أربعون امرأة كل واحدة تقول له انكحنى انكحنى والمعنى الأول أشبه وكان عبد الله بن مسعود يقول : سيأتى عليكم زمان يقل فيه العلم ويظهر فيه الجهل بالكتاب والسنة وكان يقول ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف وإنما حفظه باقامة حدوده وفى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تعالى لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا وإنما ينزعه بقبض العلماء فتبقى ناس جهال

فيستفتون

من النار وأن تقصر أملك فى الدنيا فهذا هو الزهد فى الدنيا » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « سبعة لعنتهم الملائكة ولعنهم الله وكل نبى مجاب الزائد فى كتاب الله والمستحل الحرام والمستحل من عترتى ما حرم الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعز الله والمستأثر بالفئ والتارك لسنتى » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « يقول الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » وعنه صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل من لم يصن جوارحه عن محارمى فلا حاجة لى فى أن يدع طعامه وشرابه » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصائم فى عبادة مالم يغتب مسلما أو يؤذه » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصوم جنة لأحدكم مالم يخرقها قيل وبم يخرقها يا رسول الله قال بكذب أو غيبة » وعنه ﷺ قال « اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك فى قبضتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت

فيستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون (وروى) أبو داود أن رسول الله ﷺ قال « ان من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد الامامة فلا يجدون إماما يصلى بهم » والله تعالى أعلم .

﴿ باب ماجاء أن الأرض تخرج مافى جوفها من الكنوز والأموال ﴾

(روى) أئمة الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يوشك الفرات أن ينحسر عن كنز من ذهب فمن حضر فلا يأخذ منه شيئا » وفى رواية للشيخين « عن جبل من ذهب » وفى رواية لمسلم « يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل واحد لعلى أكون أنا الذى أنجو » وفى رواية لابن ماجه « فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل عشرة تسعة » وفى رواية لمسلم والترمذى أن رسول الله ﷺ قال « تقىء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا » قال الحليمى ويشبه أن يكون هذا فى الزمن الذى أخبر النبى ﷺ أن المال يفيض فيه فلا يقبله أحد وذلك فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فلعل الجبل الذى حصل من ذلك الفيض العظيم مع مايغنمه المسلمون من أموال المشركين قال ويحتمل أن يكون نهيه ﷺ عن الأخذ من ذلك الجبل لتقارب الأمر وظهور أشراط الساعة فان الركون الى الدنيا والاستكثار منها مع شهود ذلك جهل واغترار ويحتمل أن يكون سببه خوف التدافع والتقاتل عليه كما يدل عليه الحديث وهذا أولى والله تعالى أعلم .

﴿ باب فى ولاة آخر هذا الزمان وفيمن يتكلم فى أمر العامة ﴾

روى البخارى « أن أعرابيا دخل على رسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه فقال بعض القوم سمع ماقال فكره ماقال وقال بعضهم بل لم يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال هاأنا ذا يارسول الله قال فاذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال وكيف إضاعتها قال إذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة » وفى حديث جبريل الطويل الذى رواه مسلم وغيره « أن جبريل سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرنى عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان » وفى رواية فقال « اذا رأيت الأمة تلد ربتها فذاك من أشراطها واذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذلك من أشراطها » (وروى) الترمذى أن رسول الله ﷺ قال « لاتقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع » وفى رواية « لاتقوم الساعة حتى يكون المطر قيظا والولد غيظا » وسيأتى فى رواية أن رسول الله ﷺ قال « سيأتى على الناس سنوات خدعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة قيل يارسول الله وما الرويبضة قال الرجل التافه ينطق فى أمر العامة » والتافه هو الخسيس من الناس الخامل الذكر . وفى رواية « لاتقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التحوت قالوا يارسول الله وما الوعول وما التحوت قال الوعول وجوه الناس والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لايعلم بهم » قال العلماء وقد وجدت هذه العلامات وصار الولاة لايسمعون موعظة ولاينزجرون عن معصية صم عن استماع الحق بكم عن التكلم به عمى عن الابصار له فالله تعالى يلطف بنا وبولاتنا ويميتنا وإياكم على الاسلام آمين .

به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور بصرى وشفاء صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى ماقاله عبد أصابه هم أو حزن الا أذهب الله همه وأبدل مكان حزنه فرحا » رواه الحاكم وأحمد * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى عائشة رضى الله عنها تأكل الطين فقال ﷺ « ياعائشة لاتأكلى الطين فان الله خلق آدم من الطين فحرم الطين على ذريته » وعنه ﷺ أنه قال « من مات وفى قلبه مثقال حبة خردل من طين أكبه الله فى نار جهنم على وجهه » * وعنه ﷺ أنه قال « لايغتسل أحدكم فى الماء الدائم وهو جنب » * وعنه ﷺ أنه قال « من بنى فوق عشرة أذرع ناداه ملك الى أين ياعدو الله » * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى رجلا يصلى وثيابه مسبلة فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة فأعاد الوضوء فصلى على ذلك الحال وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فأمره باعادة الوضوء والصلاة فقال رجل يارسول الله رأيتك أمرته باعادة الوضوء والصلاة مرتين فقال له صلى الله عليه وسلم « انه صلى مسبلا ولا يقبل الله صلاة مسبل » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « اتزروا كما تتزر

حتى تدخل تحت قدميه فقد عصى الله ورسوله ومن عصى الله ورسوله فله نار جهنم» وعنه ﷺ أنه قال «ياسعد بن زرارة لاتسبل ازارك فان الله لا يحب المسبلين» قال عبد الله بن عمر رآني النبي صلى الله عليه وسلم وازاري مسبل فقال «من هذا» فقلت عبد الله قال «ان كنت عبد الله فارفع ازارك» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «اذا وقع في رجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصرا وللقوم زاجرا وقم عنهم» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «من اغتاب مسلما جاء يوم القيامة ولسانه معقود على قفاه لا يحله الاعفو الله أو عفو من اغتابه» وعنه ﷺ انه قال «أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك» قالت عائشة يارسول الله ما أحسن صفية لولا أنها هكذا فأشارت بيدها الى أن عنقها قصير فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» وعنه ﷺ أنه قال «الغيبة أشد من

﴿ باب اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء ﴾

روى الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء» قيل وماهي يارسول الله قال «اذا كان المغنم دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا» زاد في رواية أخرى على الخمسة عشر «وتعلم العلم لغير الدين وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره» الحديث وفيه «اذا فعلت الأمة ذلك تتابعت الآيات كنظام بالقطع سلكه فتتابع» (وروى) الحافظ أبو نعيم أن رسول الله ﷺ قال «يمسخ قوم من أمتي آخر الزمان قردة أو خنازير» زاد في رواية أخرى فقيل يارسول الله ويشهدون أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ويصومون قال نعم قيل فما بالهم يارسول الله قال «يتخذون المعازف والقينات والدفوف ويشربون الأشربة فبينما هم على شربهم ولهوهم اذ أصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير» وفي حديث ابن ماجه «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها تضرب على رؤوسهم المعازف والقينات يخسف الله تعالى بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير الى يوم القيامة» (وروى) الخطيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه وجه نضلة بن معاوية الى القادسية فلما دخل وقت العصر أذن نضلة فقال الله أكبر الله أكبر فاذا مجيب من الجبل يجيبه كبرت كبيرا يانضلة ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله فقال كلمة الاخلاص يانضلة ثم قال أشهد أن محمدا رسول الله قال هو النذير وهو الذي بشر به عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وعلى رأس أمته تقوم الساعة ثم قال حي على الصلاة قال طوبى لمن مشى اليها وواظب عليها ثم قال حي على الفلاح قال أفلح من أجاب محمدا ﷺ وهو البقاء لأمة محمد ﷺ قال الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله قال أخلصت الاخلاص كله يانضلة فحرم الله تعالى جسدك على النار فلما فرغ نضلة من أذانه وقاموا قالوا له يعني لمن كان يجيب المؤذن من ناحية الجبل من أنت يرحمك الله أملك أنت أم ساكن من الجن أم طائف من عباد الله أسمعتنا صوتك فأرنا صورتك فانا وفد الله ووفد رسول الله ﷺ ووفد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فانفلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس واللحية وعليه طمران من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقالوا له وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت يرحمك الله فقال أنا زرنب بن برثملا وصي العبد الصالح عيسى ابن مريم أسكنني هذا الجبل ودعا لي بطول البقاء الى نزوله من السماء فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبرأ مما استحلته النصارى فأما اذ فاتني لقي محمد ﷺ فأقرئوا عمر مني السلام وقولوا له عمر سدد وقارب فقد دنا الأمر وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها فاذا ظهرت في أمة محمد ﷺ فالهرب الهرب اذا استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وانتسبوا الى غير مناسبهم وانتموا الى غير مواليهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ولم يوقر صغيرهم كبيرهم وترك المعروف فلم يؤمر به وترك المنكر فلم ينه عنه وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير والدراهم وكان المطر قيظا والولد غيظا وطولوا المنارات وفضضوا المصاحف وشيدوا البناء واتبعوا الشهوات وباعوا الدين بالدنيا واستخفوا بالدماء وقطيعة الأرحام وبيع الحكم وأكل الربا وصار الغنى عزا وخرج الرجل من بيته فقام له من هو خير منه فسلم عليه وركبت النساء السروج ثم غاب عنا يعني زرنب بن برثملا فلم نره فكتب بذلك نضلة الى سعد بن أبي وقاص فكتب به سعد الى عمر وكتب عمر رضي الله عنه الى سعد ياسعد لله أبوك سر أنت ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزلوا بهذا الجبل فان لقيته فأقرئه مني السلام فان رسول الله ﷺ أخبرنا أن بعض أوصياء عيسى بن مريم عليه السلام قد

ستة(١) وثلاثين زنية في الاسلام» وعنه ﷺ أنه قال «من غصب شبرا من الأرض طوقه الله الى سبع أرضين

(١) هكذا بالأصل ومقتضى القاعدة ست اهـ

قد نزل ذلك الجبل ناحية العراق قال فخرج سعد في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار حتى نزل ذلك الجبل أربعين يوما ينادي بالأذان في كل وقت صلاة فلا جواب انتهى (وروى) الحكيم الترمذي في نوادر الأصول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يكون في أمتي فزعة فتصير الناس إلى علمائهم فاذاهم قردة وخنازير » قال العلماء وإنما مسخ الله هؤلاء العلماء قردة وخنازير لأن المسخ تغيير الخلقة عن جهتها فعوقبوا بنظير مافعلوا من تغيير الحق عن جهته وتحريف الكلم عن مواضعه فكما مسخوا أعين الخلق وقلوبهم عن رؤية الحق كذلك مسخ الله صورهم وغير خلقتهم كما بدلوا الحق باطلا والله تعالى أعلم * فنسأل الله من فضله أن يحفظنا واخواننا من الفقهاء من الزيغ عن الحق ويميتنا على الاسلام آمين اللهم آمين .

﴿ باب في رفع الأمانة والإيمان من القلوب ﴾

روى الشيخان وغيرهما عن حذيفة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا ان الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال يعني وسط قلوبهم ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة الحديث وفي رواية « ان الأمانة ترفع من قلب الرجل وهو نائم فينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فتنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال ان في بني فلان رجلا أمينا وحتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان » الحديث نسأل الله اللطف بنا وبالمسلمين آمين .

﴿ باب في ذهاب العلم ورفعه وما جاء أن الخشوع وعلم الفرائض أول علم يرفع من الناس ﴾

روى ابن ماجه عن زياد بن لبيد قال : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال ذاك عند أوان ذهاب العلم قلت يارسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة فقال « ثكلتك أمك يازياد ان كنت لأراك أفقه رجل بالمدينة أوليس هؤلاء اليهود والنصارى يقرءون التوراة والانجيل لا يعملون بشيء منهما » وخرج الترمذي عن أبي الدرداء قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره إلى السماء ثم قال هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء فقال زياد يارسول الله كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا فقال « ثكلتك أمك يازياد ان كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم » وكان عبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول ان شئتم لأحدثنكم بأول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلا خاشعا . وإسناده صحيح كما قاله الامام القرطبي رحمه الله * قال العلماء والمراد برفع العلم رفع العمل كما قاله عبد الله بن مسعود كان يقول ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ولكن اقامة حدوده (قال القرطبي رحمه الله) ثم بعد رفع العلم من القلوب يرفع الرقم والكتابة ولا يبقى في الأرض من القرآن آية واحدة على ما يأتي في الباب بعده (وروى) ابن ماجه والدار قطني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « تعلموا الفرائض وعلموه الناس فانه نصف العلم وهو ينسى وهو أول شيء ينزع من أمتي » والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب ما جاء في اندراس الاسلام وذهاب القرآن ﴾

روى ابن ماجه عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « أول من تسعر بهم النار ثلاثة عالم وشهيد وغني » *وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من شفع لأحد شفاعة فأهدى إليه هدية فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ان الله نظيف يحب النظافة » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « نظفوا أفنيتكم فان اليهود لا تنظف أفنيتها » * وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والموقدين عليها السرج » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « أيما امرأة تطيبت ثم خرجت فهي زانية » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى عن تجصيص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه وأن يوطأ * وعن علي كرم الله وجهه أنه قال : نهاني خليلي أن أصلي في المقابر وفي مرابض الابل * وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « الميت يسمع الأذان والإقامة وسلام من يسلم عليه ما لم يطين عليه القبر فلا تطينوا قبور موتاكم » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « كسر عظم المؤمن

لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز فيقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقر بها فقال له صلة فما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة وما صيام وما صدقة ولا نسك فأعرض عنه حذيفة ثم رددها عليه ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل حذيفة عليه فقال يا صلة تنجيهم من النار قالها ثلاثا (قال الامام القرطبي) وهذا إنما يكون بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام لا عند خروج يأجوج ومأجوج كما تقدم والحمد لله رب العالمين .

﴿ باب الآيات العشر التي تكون قبل الساعة ﴾

(روى) عن حذيفة قال كنا جلوسا بالمدينة في ظل حائط وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفة فأشرف علينا وقال ما يجلسكم فقلنا نتحدث فقال فيما ذا قلنا عن الساعة فقال إنكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات أولها طلوع الشمس من مغربها ثم الدخان ثم الدجال ثم الدابة ثم ثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وخروج عيسى وخروج يأجوج ومأجوج ويكون آخر ذلك نار تخرج من اليمن من قعر عدن لا تدع خلفها أحدا إلا تسوقه إلى المحشر وخرج مسلم بمعناه عن حذيفة وفي رواية وعد من العشر نزول عيسى عليه الصلاة والسلام . وفي البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب» وروى مسلم عن عبد الله بن عمر قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى» (قال الامام القرطبي) وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا منها وفي رواية أخرى «إذا هدمت الكعبة وطرحوا احجارها في البحر فعند ذلك يكون علامات منكرات طلوع الشمس من مغربها ثم الدجال ثم يأجوج ومأجوج ثم الدابة» الحديث . وفي صحيح مسلم مرفوعا «لا تقوم الساعة حتى يخرج ريح يلقي الناس في البحر» وبالجملة فقد جاءت الآيات مرتبة وغير مرتبة فالله أعلم بما يقع قبل والحمد لله رب العالمين (قال الامام القرطبي) وقد جاء في الروايات إذا خرج يأجوج ومأجوج وقتلهم الله بالنغف في أعناقهم وقبض الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام وخلت الأرض منهم وتطاولت الأيام على الناس وذهب معظم دين الاسلام أخذ الناس في الرجوع إلى عاداتهم وأحدثوا الاحداث من الكفر والفسوق كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله تعالى بينه وبينهم حجة عليهم ثم قبضه فيخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض فتميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم والفساق عن فسقهم ويستبصروا ويرجعوا عما هم فيه من الفسوق والعصيان ثم تغيب الدابة عنهم ويمهلون فاذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها ولم يقبل بعد ذلك من كافر ولا فاسق توبة وأزيل الخطاب والتكليف عنهم ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك قريبا لأن الله تعالى يقول «وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون» فاذا قطع عنهم التعبد لم يقرهم بعد ذلك في الأرض زمانا طويلا هكذا قال بعض العلماء رحمهم الله * وأما الدخان فقد روى عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم «ان من أشراط الساعة دخانا يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث في الأرض أربعين يوما فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من أنفه ومنخره وعينيه وأذنيه ودبره» وقيل هذا الدخان من آثار جهنم يوم القيامة روى ذلك عن علي وغيره من أكابر الصحابة وهو يعني قوله تعالى «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين» وقال ابن مسعود في هذه الآية ان الدخان هو ما أصاب قريشا من القحط والجهد حتى صار الرجل منهم يرى بينه وبين السماء دخانا من شدة الجهد حتى أكلوا العظام وكان ابن مسعود يقول إذا وقع الدخان

والبطشة

ميتا ككسره حيا» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما رأى الكعبة قال لها «ما أعظمك وما أعظم حرمتك وحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ان الله جعلك حراما وحرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وان يظن به ظنا سيئا» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «ثلاثة معصومون من إبليس وجنوده الذاكرون الله كثيرا بالليل والنهار والمستغفرون بالأسحار والباكون من خشية الله عز وجل» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من أحبه الله لم يضره ذنب * وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث» * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «الصلاة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد» وفي الحديث جاء رجل فقال يا رسول الله ان جدي طلق زوجته ألف تطليقة فهل له من مخرج فقال صلى الله عليه وآله وسلم «ان أباكم لم يتق الله فيجعل له في أمره مخرجا بانت منه بثلاثة وسبعة وتسعون وتسعمائة اتخذ بها آيات الله هزوا» وكان عبد الله ابن عمر يسجد سجود التلاوة على غير وضوء * وعنه ﷺ أنه قال «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي وعد الله»

والبطشة الكبرى فعند ذلك يبعث الله الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس * وأما الدابة فقد ذكر الله تعالى فيها أنها تكلم الناس وهو قوله تعالى « واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم » وذكر أهل التفسير أنها خلق عظيم تخرج من صدع من الصفا لا يفوتها أحد فتسم المؤمن فتنير وجهه وتسم الكافر فتسود وجهه وتكتب بين عينيه كافر بالله وكان عبدالله بن عمر يقول ان هذه الدابة هي الجساسة كما سيأتي في خبر الدجال . وروى عن ابن عباس أنه الثعبان الذي كان بئر الكعبة فاختطفته العقبان كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى . وفي البخاري أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر نصفين والجبل بينهما فقال اشهدوا ويؤيده قوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر » وقال بعض العلماء ان المراد بقوله تعالى « وانشق القمر » أي سينشق كما قال تعالى « أتى أمر الله » أي يأتي قال الحليمي فان كان المراد بانشقاق القمر هذا الذي وقع بمكة فقد أتى قال وقد رأيت ببخارى الهلال وهو ابن ليلتين منشقا نصفين عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس ومازلت أنظر اليهما حتى اتصلا كما كانا ولكنهما صارا في شكل أترجه ولم أمل طرفي عنها الى أن غابت وكان معي جماعة من الاشراف والعلماء فرأوا كما رأيت قال وأخبرني من أثق به أيضا أنه رأى الهلال وهو ابن ثلاث منشقا نصفين قال الحليمي فقد ظهر أن قول الله تعالى « وانشق القمر » انما خرج على الانشقاق الذي هو من أشراط الساعة دون الانشقاق الذي جعله الله تعالى آية لرسول الله ﷺ والله أعلم .

﴿ باب ماجاء أن الآيات بعد المائتين ﴾

روى ابن ماجه عن أبي قتادة قال قال رسول الله ﷺ « الآيات بعد المائتين » وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمتي على خمس طبقات فأربعون سنة أهل بر وتقوى ثم الذين يلونهم الى عشرين ومائة سنة أهل تراحم وتواصل ثم الذين يلونهم الى ستين ومائة أهل تدابر وتقاطع ثم الهرج الهرج النجاء النجاء » وفي رواية أخرى أمتي على خمس طبقات كل طبقة أربعون عاما فأما طبقتي وطبقة أصحابي فأهل علم وايمان وأما الطبقة الثانية ما بين الاربعين الى الثمانين فأهل بر وتقوى ثم ذكر نحو ما تقدم والله تعالى أعلم .

﴿ باب ماجاء فيمن يخسف به أو يمسخ ﴾

روى أبو داود عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا أنس « ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال له البصرة أو البصيرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك وسباخها وكلأها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فانه يكون لها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون فيصبحون قردة وخنازير » وروى ابن ماجه أن رجلا أتى ابن عمر فقال ان فلانا يقرأ عليك السلام فقال انه بلغني أنه أحدث فان أحدث فلا تقرئه مني السلام فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون في أمتي أو قال في هذه الامة خسف ومسخ وقذف » وتقدم في حديث مسلم ذكر الجيش الذي يخسف به وهو خارج لمكة لقتال المهدى وفي حديث البخاري « اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها الدمار فذكر فيها أن قوما يبيتون على لهو ولعب فيصبحون وقد مسخوا قردة وخنازير » وروى الثعلبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والبصرة تجتمع فيها جبابرة الارض تجبى اليها الخزائن يخسف بها » وفي رواية « يخسف بأهلها فلهن أسرع ذهابا في الارض من الوتد الجيد في الارض الرخوة » انتهى ويقال انها بغداد والله تعالى أعلم .

رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يشرب قائما فقال له ﷺ « أترضى أن يشرب معك الهر فقال لا قال فقد شرب معك من هو شر منه الشيطان » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « يا عائشة أتاك شيطانك فقالت يا رسول الله أمعي شيطان فقال نعم لكل أحد شيطان فقالت له حتى أنت فقال نعم الا أنه أعانني الله عليه فأسلم فلا يأمرني الا بخير » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ان الله ليبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في الغزو « يد الله بين الصفين ان شاء قال هكذا وان شاء قال هكذا » وفي الحديث « لو لم يرد الله أن يعصى لما خلق ابليس » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من شرب قائما فأصابه الجنون لم يبرأ أبدا » وفي الحديث

﴿ باب ذكر الدجال وصفته وبعثه ومن أين يخرج وما علامة خروجه وما معه اذا خرج وما ينجي منه وأنه يبرئ الأكمه والابرص ويحيي الموتى ﴾

روى مسلم عن أبي الدرداء أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال » وفي رواية من آخر سورة الكهف وروى عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ « الدجال أعور عين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار » وعنه أيضا قال قال رسول الله ﷺ « أنا أعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان . أحدهما رأى العين ماء أبيض . والآخر رأى العين نار تأجج فاما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارا وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فانه ماء بارد وان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب » قال أبو الخطاب بن دحية كذا رواه عنه مسلم فاما أدركن ولم يعرف ادخال نون التأكيد على لفظ الماضي الا ههنا وصوابه ما قرره العلماء في صحيح مسلم « فاما أدركه أحد » والله تعالى أعلم وعن عبد الله ابن عمر قال ذكر رسول الله ﷺ يوما بين ظهراني الناس المسيخ الدجال فقال « ان الله ليس بأعور ألا ان المسيخ الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية » ثم قال قال رسول الله ﷺ « أراني الليلة في المنام عند الكعبة فاذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم ابن آدم تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا قالوا هذا المسيخ الدجال » (وروى) أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « الدجال أعور جعد هجان أقمر كأن رأسه غصنة شجرة أشبه الناس بعبد العزى بن قطن » (وروى) أبو داود الطيالسي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « أما مسيخ الضلالة فانه أعور العين اجلى الجبهة عريض المنخر فيه اندفاء أي انحناء كما في نسخة مثل عبد العزى بن قطن فقال رجل يا رسول الله يضرني يا رسول الله شبهه فقال لا أنت مسلم وهو كافر » وخرج أبو داود الطيالسي أيضا عن أبي هريرة قال ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم أو قال ذكر النبي ﷺ الدجال فقال « احدى عينيه كأنها زجاجة خضراء ونعوذ بالله من عذاب القبر » (وروى) الترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة » انتهى واسناده صحيح كما قاله الامام القرطبي (وروى) عبد الرزاق عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال « يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفا عليهم الطيالسة الخضر » وفي رواية عليهم السيجان جمع ساج قال الازهري وهو الطيلسان المقور ينسج كذلك (وروى) الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا عنده الدجال فقال رسول الله ﷺ « ان قبل خروجه ثلاثة أعوام تمسك السماء في العام الاول ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والعام الثاني تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والعام الثالث تمسك السماء قطرها يعني كله والارض نباتها يعني كله حتى لا يبقى ذات ضرس ولا ذات ظلف الا مات » وذكر الحديث وأخرجه أبو داود الطيالسي وابن ماجه أيضا وفي رواية « وفي العام الثالث يمسك الله القطر وجميع النبات فلا ينزل من السماء قطرة ولا تنبت الارض خضرة ولا نباتا حتى تكون الارض كالنحاس والسماء كالزجاج فيبقى الناس يموتون جوعا وجهدا وتكثر الفتن والهرج ويقتل بعضهم بعضا ويخرج الناس بأنفسهم ويستولي البلاء على أهل الارض فعند ذلك يخرج الملعون الدجال من ناحية أصبهان من قرية يقال لها اليهودية وهو راكب حمارا أبتر يشبه البغل ما بين أذني حماره أربعون ذراعا ومن صفة الدجال أنه عظيم الخلقة طويل القامة جسيم أجعد قطط أعور العين اليمنى كأنها لم

يبارك لكم فيه » وفي الحديث « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » وفسر صلى الله عليه وآله وسلم الكنود بأنه الذي يأكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من أحيا سنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد » وتكلم رجل بحضرته صلى الله عليه وآله وسلم بما نهى الله عنه فقال له قم لا شهادة لك فقال يا رسول الله لست أعود فقال له صلى الله عليه وآله وسلم « أصبحت تهزأ بالقرآن ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وأكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان الفم والفرج » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة لا حساب عليه ولا عقاب » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ان الله أغناني عن صلاتكم ولكن أمر بها كرامة لكم » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لا يدخل الجنة نمام » وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال « من أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة »

تخاق وعينه الأخرى ممزوجة بالدم وبين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل مؤمن بالله عزوجل فاذا اخرج يصيح ثلاث صيحات يسمع أهل المشرق والمغرب» وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «انه لم يكن نبى قبلى إلا وقد حذر أمته المسيخ الدجال انه أعور عينه اليمنى بعينه اليسرى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر معه واديان أحدهما جنة والآخر نار معه ملكان يشبهان نبيين من الأنبياء لو شئت سميتهما بأسمائهما وأسماء آبائهما أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فيقول الدجال ألست بربكم ألست أحيي وأميت فيقول أحد الملكين كذبت لا يسمعه أحد من الناس الا صاحبه فيقول له صدقت فيسمعه الناس فيظنون أنه صدق الدجال فذلك فتنته ثم يسير الدجال حتى يأتى المدينة فلا يؤذن له ويقول هذه قرية ذلك الرجل ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عزوجل عند عقبة فيق» وروى أبو داود وغيره عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال «انى كنت حدثتكم عن المسيخ الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا ان المسيخ الدجال قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء فان التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور» قال العلماء: قد جاء فى بعض الأحاديث أن الدجال أعور العين اليمنى وجاء فى بعضها أنه أعور العين الشمال ويجمع بين الروايتين بأن المراد بالعور النقص فعين مطموسة بالكلية وعين عليها ظفرة قد أشرفت على العمى فالمراد أن الاله من شرطه الكمال فى ذاته والدجال ناقص الذات لا يقدر على زوال نقصه وكفى بذلك عجزا وتحقيرا للدجال عند كل من نور الله بصيرته وأما قوله ﷺ «وإن ربكم ليس بأعور» المراد به وصفه تعالى بالكمال وأنه لا يشبه الدجال بوجه من الوجوه ولو كان على أكمل صورة وأجملها لاجماع أهل السنة والجماعة أن الله تعالى مباين لجميع خلقه فى سائر الذوات والصفات مباينة لا يصح فيها اتحاد فى حال من الأحوال والله تعالى أعلم.

﴿باب ما يمنع الدجال من دخوله من البلاد اذا خرج﴾

روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال «ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة» وفى رواية أخرى «فلا يدع قرية إلا هبطها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمان على الدجال كلتاهما - وفى رواية أخرى - إلا الكعبة وبيت المقدس وجبل الطور - فى رواية للطحاوى - فلا يبقى موضع إلا دخله غير مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور فان الملائكة تطرده عن هذه المواضع» والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿باب ما جاء أن الدجال اذا خرج يزعم أنه الله وذكر من يتبعه ومن يكفر به﴾

روى ابن أبى شيبة عن سمرة بن جندب عن النبى صلى الله عليه وسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حديث الدجال «وانه متى يخرج يزعم أنه الله فمن آمن به واتبعه وصدقه فليس ينفعه صالح من عمل سلف ومن كفر به وكذبه فليس يعاقب بشىء من عمل سلف وانه سيظهر على الأرض كلها الا الحرم وبيت المقدس وأنه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس» الحديث والله تعالى أعلم.

﴿باب فى عظم خلق الدجال وسبب خروجه وصفة حماره وسعة خطوه وكم يمكث فى الأرض﴾

روى مسلم عن عمران بن حصين قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال» وفى رواية أمر بدل خلق وفى حديث تميم الدارى المشهور «فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا أعظم انسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا» الحديث وسيأتى عن ابن عمر أنه لقى ابن صياد فى بعض طرق المدينة فقال قولا أغضبه فانتفخ حتى سد السكة فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت له رحمك الله ما أردت من ابن صياد أما علمت أن رسول الله ﷺ قال «انما يخرج من غضبة يغضبها» انتهى وسيأتى من أخبار ابن صياد ما يدل على أنه هو الدجال وفى الحديث «يخرج الدجال فى خفقة من الدين

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «من أطال القيام فى الصلاة خفف الله عنه القيام يوم يقوم الناس لرب العالمين» وقرأ صلى الله عليه وآله وسلم سورة الأعراف فى المغرب فقسمها فى الركعتين وقرأ أبو بكر فى صلاة الصبح سورة البقرة وقرأ عمر فى الصبح بآل عمران وكانت تقام الصلاة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضى حاجة الانسان فيرجع ويدركه فى الركعة الأولى * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «شر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «الحلال ما أحل الله فى كتابه والحرام ما حرم الله فى كتابه وما سكت عنه فقد عفا عنه فاقبلوا من الله عافيته» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «من رآنى فقد رآنى فانى أظهر فى كل صورة» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «ياويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه مرة واحدة من الويل وويل لمن علم ولم يعمل سبع مرات من الويل» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فأجملوها وأكلوا أثمانها فان الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه» وفى الترمذى نهى رسول

وادبار من العلم أربعون ليلة يسيحها فى الأرض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا فيقول للناس أنا ربكم وهو أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب يرد كل ماء ومنهل الا المدينة لقيام الملائكة بأبوابها » الحديث وفى بعض الروايات « وان كل خطوة يخطوها حماره مقدار ميل ولا يبقى له سهل ولا وعر إلا يطؤه ولا يبقى له موضع إلا ويأخذه غير مكة والمدينة » وسيأتى الكلام على ذكر آياته ان شاء الله تعالى وفى الحديث « ان الدجال يمكث فى الأرض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضرام السعفة فى النار » والله تعالى أعلم .

﴿باب ما يجىء به الدجال من الفتن والشبهات اذا خرج وسرعة مسيره فى الأرض وكم يمكث فيها وفى نزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونعته وكم يكون فى الأرض يومئذ من الصلحاء وفى قتله الدجال واليهود وخروج يأجوج ومأجوج وموتهم وفى حج عيسى وتزوجه ومكثه فى الأرض وأين يدفن إذا مات عليه الصلاة والسلام﴾

قد تقدم فى حديث حذيفة أن مع الدجال جنة ونارا وأن ناره جنة وجنته نار (وروى) أبو داود عن عمران ابن حصين أن رسول الله ﷺ قال « يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين ممن سمع بالدجال ينادى بأعلى صوته ألا من سمع بالدجال فلينىء عنه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه لما يبعث به من الشبهات » (وروى) مسلم عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال « يخرج الدجال فيتوجه اليه رجل من المؤمنين فيلقاه المسالح مسالح الدجال فيقولون أين تعمد فيقول له أعمد الى هذا الرجل الذى خرج فيقولون له أوما تؤمن بربنا فيقول ما بربنا خفاء فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه قال فينطلقون به الى الدجال فاذا رآه المؤمن قال يأيها الناس هذا الدجال الذى ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فيأمر به الدجال فيشج فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره ضربا قال فيقول أما تؤمن بى قال فيقول أنت المسيخ الدجال الكذاب قال فيأمر به فيئشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال ثم يمشى الدجال بين القطعتين ثم يقول قم فيستوى قائما فيقول له أتؤمن بى فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة قال فيقول يأيها الناس انه لا يفعل بعدى بأحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاسا فلا يستطيع اليه سبيلا قال فيأخذه بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنه انما قذفه فى النار وانما ألقى به فى الجنة ـ قال رسول الله ﷺ ـ وهذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين » قال أبو اسحق السبيعى : يقال ان هذا الرجل هو الخضر عليه السلام وقال الشيخ محيى الدين بن العربى ليس هو الخضر انما هو شاب ممتلىء شبابا ووافقه أهل الكشف على ذلك وسيأتى قريبا فى هذا الباب وفى رواية « ان الدجال يأتى المدينة فلا يقدر يدخلها لأنها محرمة عليه فينتهى الى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج اليه حينئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول أشهد أنك الدجال الذى حدثنا به رسول الله ﷺ حديثه فيقول الدجال أرأيتم ان قتلت هذا فتشكون فى الأمر فيقولون لا قال فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة منى الآن قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه » رواه البخارى وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس من بلد الا وسيطؤه الدجال الا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج له كل كافر ومنافق » وفى رواية « كل منافق ومنافقة » رواه البخارى أيضا وعن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال « ماغير الدجال أخوفنى عليكم ان يخرج وأنا فيكم

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفعون أيديهم عند كل خفض ورفع كأنها المراوح * وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من حج ثم شد لزيارتى كتبت له حجتان مبرورتان » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من أحب أحدا فليعلمه » وكان صلى الله عليه وآله وسلم يوصى عبد الله بن عمر فقال له لا يغرنك ما سبق لأبويك من قبلى دينك دينك انما هو لحمك ودمك فانظر عمن تأخذ خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين قالوا » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « يقول ابن آدم مالى مالى وليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه » وكانت عائشة رضى الله عنها تسرع المشى فأتانا

فأنا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الأرض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ضروعا وأكثر لبنا ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول أخرجي كنوزك فيتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حيث يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى عليه الصلاة والسلام قوم قد عصمهم الله تعالى منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هم كذلك إذا أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام إني قد أخرجت عبادا لا يد لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله تعالى النغف في رقابهم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله تعالى فيرسل الله تعالى طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تعالى ثم يرسل الله تعالى مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة الواحدة ويستظلون بقحفها ويبارك الله تعالى في الرسل أي في اللبن حتى ان اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس وان اللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله تعالى ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة» وفي رواية أخرى زيادة بعد قول يأجوج ومأجوج «لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون قد قتلنا من في الأرض فهلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى نحو السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبا دما» أخرجه الترمذي في جامعه وفي رواية لغير الترمذي فتطرحهم في المهبل والمهبل هو البحر الذي عند مطلع الشمس أي تحمل الطير يأجوج ومأجوج لتطرحهم في البحر المذكور ولعله المراد بقوله في الرواية السابقة حيث شاء الله تعالى وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «يستوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم وأتراسهم سبع سنين» وفي الحديث «انه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله آدم عليه الصلاة والسلام أعظم من فتنة الدجال وان الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج عليكم لا محالة فان يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج كل مسلم وان يخرج

في الطواف وتجمع بين الأسابيع وتصلي لكل أسبوع ركعتين وكان ابن الزبير يفعل ذلك وعنه ﷺ أنه قال «ثلاثة لا ينجيهم ربك رجل سكن بيتا خربا ورجل سكن في محل السيل ورجل أرسل دابته وجعل يقول يا رب احبسها يا رب احبسها» وعنه ﷺ أنه قال «ثلاثة من فعلهن فقد استكمل الايمان بذل السلام للعالم والانصاف من نفسك والانفاق من الاقتار» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «من حضر ملاك امرئ مسلم فكأنما صام يوما في سبيل الله اليوم بسبعمائة يوم ومن حضر ختان امرئ مسلم فكأنما صام يوما في سبيل الله اليوم بسبعمائة يوم» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «بعدي قليلا يظهر الجور ما ظهر شيء من الجور الا ذهب مثله من العدل حتى يولد ناس في الجور لا يعرفون غيره ثم يأتي الله بالعدل ما ظهر شيء من العدل إلا ذهب مثله من الجور حتى يولد ناس في العدل لا يعرفون غيره» قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم وهو قابض على يديه يمينه وشماله فقال في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم

من بعدي فكل حجيج نفسه والله تعالى خليفتي على كل مسلم وانه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يمينا ويعيث شمالا يا عباد الله فاثبتوا فاني سأصفه لكم صفة لم يصفها اياه نبي قبلي انه يبدو فيقول أنا نبي وانه لا نبي بعدي ثم يثني فيقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وانه أعور وان ربكم ليس بأعور وانه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب وان من فتنته أن معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح سورة الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على ابراهيم وان من فتنته أن يقول لأعرابي أرأيت ان بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك فيقول له نعم فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان يا بني اتبعه فانه ربك وان من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها يأشرها بالمنشار حتى تلقى شقتين ثم يقول انظروا إلى عبدي هذا فاني أبعثه الآن ثم يزعم أن له ربا غيري فيبعثه الله فيقول له الخبيث من ربك فيقول له ربي الله وأنت عدو الله الدجال والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك مني اليوم » قال الامام أبو الحسن الطنافسي ورويناعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة » قال أبو سعيد الخدري ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى مضى لسبيله انتهى (ثم نرجع إلى الحديث فنقول) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وان من فتنته أيضا أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وان من فتنته أن يمر بالحي فيدعوهم فيكذبونه ويردون عليه قوله فينصرف عنهم فتتبعه أموالهم ويصبحون ليس بأيديهم شيء ثم يأتي القوم فيدعوهم فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وانه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة فانه لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف سلطة حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فينفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص فقالت أم شريك فأين العرب يومئذ قال هم قليل ومحلهم بيت المقدس وامامهم رجل صالح قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام للصبح فرجع ذلك الامام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى عليه الصلاة والسلام يصلي بالناس فيضع عيسى عليه الصلاة والسلام يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فانها لك أقيمت فيصلي بهم امامهم فاذا انصرف قال عيسى عليه الصلاة والسلام افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وتاج فاذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وانطلق هاربا ويقول عيسى عليه الصلاة والسلام ان لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه عند باب رملة لد الشرقي فيقتله فيهزم الله تعالى اليهود ولا يبقى شيء مما خلقه الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء وفي رواية لا يبقى حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فانها من شجرهم إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي تعال فاقتله » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وان أيامه أربعون سنة السنة كنصف السنة والسنة كالشهر والسنة كالجمعة وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي قالوا يا رسول الله كيف نصلي في تلك الأيام القصار قال تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ثم صلوا » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فيكون عيسى عليه الصلاة والسلام في أمتي حكما عدلا واماما مقسطا يدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في فم الحية فلا تضره وتغمز الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من

وقبائلهم وعشائرهم ثم أجمل على آخرهم لا يزاد فيه ولا ينقص ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من ربكم فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم ثم أجمل على آخرهم » ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم « فرغ ربكم » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه شيئا » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ويل لمن يغضب وينسى غضب الرب » وفي الحديث « من طلب الدنيا بعمل الآخرة ليس له في الآخرة من نصيب » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « تصلي اثنتي عشرة ركعة من ليل أو نهار وتتشهد في كل ركعتين فاذا جلست في آخر صلاتك فأثن على الله تعالى وصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم كبر واسجد ثم تقرأ وأنت ساجد فاتحة الكتاب سبع مرات وآية الكرسي سبع مرات وقل هو الله أحد سبع مرات والمعوذتين سبعا سبعا ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات ثم قل اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة

السلم

السلم كما يملأ الاناء من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد الا الله وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها وتكون الأرض كأنها فضة ينبت نباتها كما كانت فى عهد آدم عليه الصلاة والسلام حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ويكون الثور بكذا وكذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات قيل يارسول الله وما يرخص الفرس قال لا يركب لحرب أبدا فقيل له وما يغلى الثور قال تحرث الأرض كلها وان قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء فى السنة الأولى أن تحبس ثلث قطرها ويأمر الله الأرض أن تحبس ثلث نباتها ثم يأمر الله السماء فى السنة الثانية فتحبس ثلثى قطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثى نباتها ثم يأمر الله السماء فى السنة الثالثة فتحبس ماءها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض أن تحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء ولا تبقى ذات ظلف ولا سن الا هلكت الا ما شاء الله قيل فيم يعيش الناس فى ذلك الزمان فقال بالتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجزى ذلك عنهم مجزاة الطعام انتهى قال عبد الرحمن البخارى رحمه الله ينبغى أن يرفع هذا الحديث الى المؤدب حتى يعلمه الصبيان فى الكتاب والله أعلم وفى الحديث أنهم قالوا يارسول الله ذكرت الدجال فوالله ان أحدنا ليعجن عجينه فما يختبز حتى يخشى أن يفتتن وأنت تقول الأطعمة تزوى اليه فقال رسول الله ﷺ يكفى المؤمنين يومئذ ما يكفى الملائكة قالوا فان الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولكنها تقدس فقال رسول الله ﷺ طعام المؤمنين يومئذ التسبيح » وفى حديث مسلم أن رسول الله ﷺ قال « لينزلن عيسى بن مريم حكما عدلا فليكسرن الصليب وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله أحد » وفى الحديث « كيف بكم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم فأمكم منكم » قال ابن أبى ذئب أتدرون ما أمكم منكم يؤمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم ﷺ . وفى الحديث أيضا « والذى نفس محمد بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجا أو معتمرا أو بثنيتهما » وفى رواية « لينزلن عيسى ابن مريم على ثمانمائة رجل وأربعمائة امرأة خيار من على الأرض يومئذ وكصلحاء من مضى » وفى رواية أن عيسى بن مريم اذا نزل يتزوج ويولد له فيمكث خمسا وأربعين سنة ويدفن معى فى قبرى فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبى بكر وعمر وقيل انه يتزوج امرأة من العرب بعد ما يقتل الدجال وتلد له بنتا فتموت ويموت هو بعد ما يعيش سنين . ذكره الامام أبو الليث السمرقندى رحمه الله وخالفه كعب فى هذا وأنه يولد له ولدان وسيأتى ذلك وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « يمكث عيسى فى الأرض بعد ما ينزل أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه » ذكره أبو داود الطيالسى فى مسنده وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « الأنبياء اخوة علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين مهرودتين أى ثوبين مصبوغين وان رأسه تقطر ولم يصبه بلل وانه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال حتى يهلك الله فى زمانه الملل كلها غير الإسلام وحتى يهلك الله فى زمانه مسيخ الضلالة الأعور الكذاب وتقع الأمنة فى الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا يبقى فى الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه » وفى بعض الروايات انه يمكث فى الأرض أربعا وعشرين سنة وفى رواية سبع سنين قال ولا يبقى بين أحد عداوة ورواية أربعين سنة أصح الروايات وكان كعب الأحبار يقول يتسع الرزق فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام حتى ان الحى ليمر بالميت فيقول يا فلان قم فانظر ما أنزل

من كتابك واسمك الأعظم ووجهك الأكرم وأسمائك الحسنى وجدك الأعلى وكلماتك التامات كلها المباركات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى وتسلم وتبارك على مولانا محمد وعلى آله وأن تعطينى كذا وكذا وتصرف عنى كذا وكذا » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من قرأ عند مضجعه أم القرآن وآية الكرسى وآخر سورة الحشر والمعوذتين وكل به ملكان يحفظانه من كل سوء حتى يصبح وان مات غفر له » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من قال هذا الدعاء وجلس فى محل من الأرض لا يضره شىء حتى يرتحل يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما يدب عليك أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد عقدت ذنب العقرب ولسان الحية ويد السارق والجن والانس وشر كل ذى شر عنى وعن جميع أهلى بقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله » ومن أدعيته صلى الله عليه وآله وسلم الحمد لله الكافى سبحان الله الأعلى حسبنا الله وكفى ماشاء الله قضى سمع الله لمن دعا ليس من الله ملجا . ولا وراء الله ملتجا . توكلت على الله ربى وربكم

الله تعالى من البركة فى الأرض قال وان عيسى ليتزوج امرأة من آل فلان ويرزق منها ولدين يسمى أحدهما محمدا والآخر موسى عليهما الصلاة السلام ويكون الناس معه على خير زمان وذلك أربعين سنة ويقبض الله تعالى روح عيسى عليه الصلاة والسلام ويذوق الموت ويدفن الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم فى الحجرة ويموت خيار الأمة ويبقى الأشرار فى قلة المؤمنين فذلك قوله ﷺ بدا الإسلام غريباً وسيعود كما بدا * قال العلماء رضى الله عنهم واذا نزل عيسى عليه السلام فى آخر الزمان يكون مقررا لشريعة محمد ﷺ ومجددا لها لأنه لا نبى بعد رسول الله يحكم بشريعة غير شريعة محمد ﷺ لأنها آخر الشرائع ونبيها خاتم النبيين فيكون عيسى حكما مقسطا لأنه لا سلطان يومئذ للمسلمين ولا إماما ولا قاضياً ولا مفتياً قد قبض الله العلم وخلا الناس منه فينزل وقد علم بأمر الله تعالى فى السماء قبل أن ينزل ما يحتاج اليه من أمر هذه الشريعة ليحكم به بين الناس وليعمل به فى نفسه فيجتمع المؤمنون عند ذلك اليه ويحكمونه على أنفسهم ولا أحد يصلح لذلك غيره لأن تعطيل الحكم غير جائز وأيضا فان بقاء الدنيا انما يكون بالتكليف فلا يزال التكليف قائما الى أن لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله على ما يأتى ايضاحه ان شاء الله تعالى (وروى) مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « والذى نفسى بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجا أو معتمرا أو بنيتهما ـ وفى رواية ـ وليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج » فهذا صريح بأنه يحج البيت اذا نزل آخر الزمان والله تعالى أعلم .

﴿ باب ما جاء أن حوارى عيسى اذا نزل أهل الكهف وفى حجهم معهم ﴾

روى اسماعيل بن اسحاق أن رسول الله ﷺ قال لا تقوم الساعة حتى يمر عيسى بن مريم بالروحاء حاجا أو معتمرا أو ليجمعن الله له بين الحج والعمرة ويجعل الله تعالى حواريه أصحاب الكهف والرقيم فيمرون معه حجاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا انتهى والله تعالى أعلم .

﴿ باب منه ﴾

وأن عيسى اذا نزل يجد فى أمة محمد ﷺ خلقا من حواريه كما رواه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ولفظه ﷺ « والذى نفسى بيده أو والذى بعثنى بالحق ليجدن ابن مريم فى أمتى خلقا من حواريه » وفى رواية « ليدركن المسيح عليه الصلاة والسلام من هذه الأمة أقواما انهم لمثلكم أو خير منكم ثلاث مرات ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها » والله تعالى أعلم .

﴿ باب ما جاء أن الدجال لا يضر مسلما ﴾

روى البزار عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه « لفتنة بعضكم أخوف عندى من فتنة الدجال ليس من فتنة صغيرة ولا كبيرة الا تضع لفتنة الدجال فمن نجا من فتنة ما قبلها قد نجا منها والله لا يضر مسلما مكتوب بين عينيه كافر » ومعنى لا يضر مسلما أى لا يقدر على أن يفتنه فى دينه والا فقد ورد أنه يقتل بعض الناس يأشره بالمئشار والله تعالى أعلم .

﴿ باب ما ذكر من أن ابن صياد هو الدجال وأن اسمه صاف وصفة خروجه وصفة أبويه وأنه على دين اليهود ﴾

روى مسلم وغيره عن محمد بن المنكدر رضى الله عنه أنه كان يقول رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله ان ابن صياد الدجال فقلت أتحلف بالله فقال انى سمعت عمر بن الخطاب يحلف على ذلك عند النبى ﷺ فلم ينكره النبى ﷺ وكان عبد الله بن عمر يقول والله ما أشك أن المسيخ الدجال ابن

مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم « الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا » ومما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى تلقين الموتى « يافلان ابن فلانة اذكر ما كنت عليه فى دار الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من قال لا إله إلا الله ومدها غفر له أربعة آلاف ذنب من الكبائر » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لقنوا موتاكم لا إله الا الله فانها تهدم الذنوب هدما قالوا

صياد وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق هو وأبي بن كعب الى النخل التي فيها ابن صياد فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم طفق يتقي بجذوع النخل وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئا قبل أن يراه ابن صياد فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على فراش من قطيفة له فيها رمرمة فرأت أم ابن صياد رسول صلى لله عليه وسلم وهو يتقي بجذوع النخل فقالت لابن صياد ياصاف وهو اسم ابن صياد هذا محمد فثار ابن صياد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تركته بين . وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « اني خبأت لك خبيئا » فقال ابن صياد هو الدخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخسأ فلن تعدو قدرك » فقال عمر يارسول الله دعني أضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان يكنه فلن تسلط عليه وان لم يكنه فلا خير لك في قتله » وروى أبو داود عن جابر قال فقدنا الدجال يوم الحرة وكان أبو سعيد الخدري يقول والله اني لأعرف الدجال وأعرف مولده وأين هو الآن وكان ابن عمر يقول لقيت ابن صياد مرتين وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال « يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما ولد أعور أضر شيء وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه » ثم نعت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال « أبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وأمه امرأة فوضاحية طويلة اليدين » وروى أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله أخبرني عن الدجال أمن ولد آدم هو أم من ولد ابليس قال « هو من ولد آدم وأمه من ولد ابليس وهو على دينكم معشر اليهود » وقال بعضهم ان الدجال لم يولد بعد وسيولد في آخر الزمان (قال) الامام القرطبي رحمه الله تعالى والاول أصح والله تعالى أعلم وقد اختلف الناس في أمر الدجال اختلافا كثير الما يقع على يديه من الخوارق التي تنافي حال الكذابين مع أنه كذاب قال بعض العلماء والذي عندي أنه فتنة امتحن الله به عباده المؤمنين فيهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة وقد امتحن الله قوم موسى في زمانه بالعجل فافتتن به قوم فهلكوا ونجا من هداه الله وعصمه منهم * هذا كله بناء على أنه كان موجودا في حياة رسول الله ﷺ لا على أنه سيولد آخر الزمان والاول هو الصحيح والله تعالى أعلم .

﴿ باب نقب يأجوج ومأجوج السد وخروجهم وصفتهم وفي لباسهم وطعامهم
وبيان قوله تعالى « فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء » ﴾

روى ابن ماجه وغيره أن رسول الله ﷺ قال « ان يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله تعالى أشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال ارجعوا فستحفرونه غدا ان شاء الله تعالى فاستثنوا فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فيستقون الماء أي يشربونه كله ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون سهامهم الى السماء فترجع عليها الدم فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله نغفا في أعناقهم وأقفائهم فيقتلهم » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر شكرا من كثرة ما تأكل من لحومهم » وكان كعب الاحبار يقول إن يأجوج ومأجوج ينقرون السد بمنقارهم حتى اذا كادوا أن يخرجوا قالوا نرجع اليه غدا فنفرغ منه قال فيرجعون اليه وقد عاد كما كان فاذا بلغ الامر ألقى على بعض ألسنتهم أن يقول نرجع ان شاء الله تعالى غدا فنفرغ منه قال فيرجعون وهو كما تركوا فيخرقونه فيأتي أولهم البحيرة فيشربون ما فيها من ماء ويأتي أوسطهم عليها فيلحسون ما كان فيها من طين ويأتي آخرهم فيقولون قد كان هنا ماء ثم يرمون نشابهم نحو السماء فيقولون قد قهرنا من في الارض وظهرنا على من في السماء قال فيصب الله عليهم دواب يقال لها النغف فيأخذ في أقفائهم فيقتلهم النغف حتى تنتن الارض من

يارسول الله كيف هي للاحياء فقال هي أهدم وأهدم حتى حسبوها عشرين مرة وجاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يارسول الله أوصني قال لها « اهجري المعاصي وأكثري من ذكر الله فانك لا تلقين الله غدا بشيء أحب اليه من كثرة ذكره » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما آمن بي من بات شبعانا وجاره الى جنبه جائعا وهو يعلم » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « أيما قوم بات فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من كثر أكله كثر شربه ومن كثر شربه كثر دمه ومن كثر دمه كثر

ريحهم ثم يبعث الله تعالى طيرا فتنقل أبدانهم إلى البحر فيرسل الله السماء أربعين فتنبت الارض حتى ان
الرمانة لتشبع السكن قيل لكعب الاحبار وما السكن قال أهل البيت قال ثم يسمعون ذا السويقتين الحبشى »
وخرج ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : « يفتح سد يأجوج ومأجوج
فيخرجون كما قال الله تعالى وهم من كل حدب ينسلون فيعمون الارض وينحاز منهم المسلمون حتى يصير
بقية المسلمين فى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم حتى انهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذروا
فيه شيئا فيمر أحدهم على أثرهم فيقول قائلهم لقد كان بهذا المكان ماء ويظهرون على الارض فيقول
قائلهم هؤلاء أهل الارض قد فرغنا منهم لنتناول أهل السماء حتى إن أحدهم ليهز حربته الى نحو السماء فترجع
مخضوبة بالدم فيقولون قد قتلنا أهل السماء فبيناهم كذلك اذ بعث الله تعالى دواب كنغف الجراد فتأخذ
بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضا فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسا فيقولون هل من
رجل يشترى نفسه وينظر ما فعلوه فينزل اليهم رجل فيوطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى فيناديهم
ألا أبشروا فقد هلك عدوكم بأجمهم فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم فما يكون لهم مرعى الا لحومهم
فتجتر عليهم كأحسن ما تجتر من نبات أصابته قط » وخرج ابن ماجه وغيره عن عبد الله بن مسعود قال : لما كان
ليلة أسرى برسول الله ﷺ لقى ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام فتذاكروا الساعة
فبدأوا بابراهيم عليه الصلاة والسلام فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها
علم فردوا الحديث الى عيسى بن مريم قال قد عهد الى فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها الا الله عز وجل
فذكر فى الحديث الى خروج الدجال قال فأنزل فأقتله فيرجع الناس الى بلادهم فيستقبلهم يأجوج
ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء الا شربوه ولا بشىء الا أفسدوه فيجأرون الى الله
تعالى بعد ويدعون الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم فيلقيهم فى البحر ثم تنسف الجبال وتمد الارض مد
الاديم وقد عهد الى اذا كان ذلك كانت الساعة من الناس كالحامل التى لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادتها
من ليل أو نهار انتهى وتصديق ذلك فى كتاب الله قوله تعالى « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من
كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق » وكان عمرو بن العاص يقول ان يأجوج ومأجوج ذرء جهنم
ليس فيهم صديق وهم على ثلاثة أصناف على طول الشبر وعلى طول الشبرين وثلث منهم طوله وعرضه
سواء وهم من ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وكان عطية بن حسان رضى الله عنه يقول ان يأجوج
ومأجوج أمتان كل أمة أربعمائة ألف أمة ليس منها أمة يشبه بعضها بعضا وكان الامام عبد الرحمن الاوزاعى
رضى الله عنه يقول الارض سبعة أجزاء فستة منها يأجوج ومأجوج وجزء فيه سائر الخلق وكان قتادة
رضى الله عنه يقول الارض أربعة وعشرون ألف فرسخ يعنى الجزء الذى فيه سائر الخلق غير يأجوج
ومأجوج فاثناعشر ألفا للهند والسند وثمانية آلاف للصين وثلاثة آلاف للروم وألف فرسخ للعرب
انتهى وكان أرطاة بن المنذر رضى الله عنه يقول اذا خرج يأجوج ومأجوج أوحى الله تعالى الى عيسى
عليه الصلاة والسلام انى قد أخرجت خلقا من خلقى لا يطيقهم أحد غيرى فحرز من معك الى جبل الطور
ومعه من الذى أرى اثناعشر ألفا قال يأجوج ومأجوج ذرء جهنم وهم على ثلاثة أصناف ثلث على طول
الارز وثلث مربع وعرضه واحد وهم أشد وثلث يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى وهم ولد
يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم «ان يأجوج ومأجوج كل منهما
أمة لها أربعمائة أمير لا يموت أحدهم حتى ينظر ألف فارس من ولده صنف منهم كالارز طوله مائة وعشرون
ذراعا وصنف يفترش أذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا خنزير الا أكلوه ويأكلون كل من مات
منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ويمنعهم الله من مكة والمدينة

نومه ومن كثر نومه
قسا قلبه ومن قسا قلبه
فالنار أولى به » رأى
عيسى عليه السلام
رجلا يسرق فقال له
أسرقت فقال لا والذى
لا اله الا هو فقال : آمنت
بالله وكذبت عين
عيسى وعنه صلى
الله عليه وآله وسلم أنه
قال : ليس بمؤمن
مستكمل الايمان من
لم يعد البلاء نعمة والرخاء
مصيبة قالوا كيف
يارسول الله قال لأن
البلاء لا يتبعه الا الرخاء
وكذلك الرخاء لا يتبعه
الا البلاء وليس بمؤمن
مستكمل الايمان من
لم يكن فى غم ما لم يكن فى
صلاة قالوا ولم يارسول الله
قال لان المصلى يناجى
ربه واذا كان فى غير
صلاة فانما يناجى ابن
آدم . وعنه صلى الله عليه
وآله وسلم أنه قال « اذا

وبيت المقدس» وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول خلق الله يأجوج ومأجوج على ثلاثة أصناف صنف أجسامهم كشجر الأرز وصنف أربعة أذرع طولا وصنف أربعة أذرع عرضا وصنف يلتحفون آذانهم ويفترشون الأخرى (وروى) عن علي رضي الله عنه أنه قال يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف صنف منهم في طول شبر ولهم مخالب كالطير وأنياب كالسباع ويتسافدون كالبهائم وعواء كالذئب وشعور تقيهم الحر والبرد وآذان عظام إحداها وبرة يشتون فيها والأخرى جلدة يصيفون فيها وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول الأرض ستة أجزاء فخمسة أجزاء فيها يأجوج ومأجوج وجزء فيه سائر الخلق وكان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول احتلم آدم فاختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلق الله منه يأجوج ومأجوج *قال بعض العلماء وفي هذا نظر فان الأنبياء لا يحتلمون ويحتمل أنه وقع في مثل ذلك كما وقع في الأكل من الشجرة والله تعالى أعلم وكان الضحاك يقول يأجوج ومأجوج من الترك وقال مقاتل هم من ولد يافث بن نوح وهو أشبه كما تقدم والله أعلم .

باب صفة الدابة ومتى تخرج ومن أين تخرج وما معها اذا خرجت وصفة خروجها وكم لها من خرجة وحديث الجساسة وما فيه من ذكر الدجال

قال الله تعالى «وإذا وقع القول عليهم» يعني الغضب «أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم» يعني تحدثهم وقال بعض العارفين يعني تسمهم من السمة وهي العلامة فكما أن الكلام يؤثر في المتكلم فكذلك السمة تؤثر في الموسوم كالعلامة فكأنه تكلمه أي تجرحه وكان عبد الله بن مسعود يقول أكثروا من زيارة هذا البيت من قبل أن يرفع فقالوا يا أبا عبد الرحمن فهذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال يصبحون فيقولون قد كنا نتكلم بكلام ونقول قولا فيرجعون الى شعراء الجاهلية وأخبارها وذلك حين يقع القول عليهم قال العلماء أي يقع الوعيد عليهم لتماديهم في العصيان يقال وقع الأمر أي وجب فاذا صاروا لا يحبون موعظة ولا تؤثر فيهم تذكرة ولا تنجع فيهم موعظة أخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض تكلمهم أي دابة تعقل وتنطق وذلك ليقع لهم العلم بأنها آية من قبل الله عز وجل ضرورة فان الدواب في العادة لا كلام لها وكان بريدة رضي الله عنه يقول: ذهب بي رسول الله ﷺ الى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا أرض يابسة حولها رمل فقال رسول الله ﷺ «تخرج الدابة من هذا الموضع» فاذا هو فتر في شبر قال عبد الله بن بريدة فحججت بعد ذلك بسنتين فأرانا عصا له فاذا هو بعصاي هذه كذا وكذا والفتر ما بين السبابة والابهام اذا فتحتهما قاله الجوهري وروى ابن ماجه والترمذي أن رسول الله ﷺ قال «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصى موسى بن عمران فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقول أحدهم للمؤمن يا مؤمن ويقول أحدهم للكافر يا كافر» وروى أبو داود الطيالسي أن رسول الله ﷺ سئل عن الدابة فقال «لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية» يعني مكة قال رسول الله ﷺ: فبينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها عليه المسجد الحرام لن يروعهم الا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها شتى وتثبت لها عصابة من المؤمنين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كالكوكب الدري ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فتقبل عليه فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الأموال ويصطلحون في الأمصار ويعرف المؤمن من الكافر حتى ان المؤمن يقول يا كافر اقض حقي والكافر

أتى أحدكم البراز فليكرم قبلة الله فلا يستقبلها ولا يستدبرها ثم ليستطب بثلاثة أحجار أو ثلاثة أعواد أو ثلاث حثيات من تراب ثم ليقل الحمد لله الذي أخرج عني ما يؤذيني وأمسك علي ما ينفعني» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «يا أيها الناس قد تركت فيكم أمرين فان اعتصمتم بهما فلا تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «أطيعوني ما دمت بين أظهركم فاذا ذهبت فعليكم بكتاب الله تعالى أحلوا حلاله وحرموا حرامه فانه سيأتي زمان يسرى على القرآن في ليلة فينسخ من القلوب والمصاحف» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه

يقول يا مؤمن افض حتى وقيل انها تسم وجوه الفريقين بالنفخ فينتقش فى وجه المؤمن مؤمن وفى وجه الكافر كافر وكان عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول تخرج الدابة من صدع فى الكعبة كجرى الفرس ثلاثة أيام لا يخرج ثلثها (وفى الحديث) ان دابة الأرض تخرج من أجياد فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج ذنبها بعد وهى دابة ذات وبر وقوائم وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول تخرج الدابة من مكة من شجرة وذلك فى أيام الحج فيبلغ رأسها السحاب وما خرجت رجلاها بعد من التراب وكان عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما يقول قد جمعت الدابة من خلق كل حيوان فرأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل اثناعشر ذراعا ذكره الثعلبى والماوردى وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول الدابة هى الثعبان الملتف على جدار الكعبة التى اقتلعها العقاب حين أرادت قريش أن تبنى الكعبة (وروى) أنها دابة مزغبة شعراء ذات قوائم طولها ستون ذراعا ويقال انها الجساسة كما فى حديث مسلم الطويل وفيه أن رسول الله ﷺ جمع أصحابه وقال « ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكنى جمعتكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيخ الدجال حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعبت بهم الريح شهرا فى البحر ثم أرموا الى جزيرة فى البحر حيث تغرب الشمس فجلسوا الى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر انتهى وقال الترمذى ان ناسا من أهل فلسطين ركبوا سفينة فى البحر فجالت بهم حتى قذفتهم فى جزيرة من جزائر البحر فاذاهم بدابة لباسة ناشرة شعرها فقالوا اما أنت قالت أنا الجساسة زاد فى رواية لمسلم بعد أن ذكر وانحو ما تقدم من ركوب السفينة وطلوعهم الجزيرة قالوا وما الجساسة قالت أيها القوم انطلقوا الى هذا الرجل فى الدير فانه الى خبركم بالأشواق قسمت لنا رجلا فخفنا أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يداه الى عنقه ما بين لحييه الى كعبيه بالحديد وقال الترمذى فيه فاذا هو رجل مؤثق بسلسلة وقال أبو داود فاذا هو رجل يجر شعره مسلسل بالأغلال فقلت له ويلك ما أنت قال قد قدرتم على خبرى فأخبرونى ما أنتم فقالوا نحن ناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فصادفنا البحر قد اغتلم فلعب الموج بنا شهرا ثم أرمتنا الى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت قالت أنا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت أيها القوم انطلقوا الى هذا الرجل فى الدير فانه الى خبركم بالأشواق فأقبلنا اليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة قال أخبرونى عن نخل بيسان الذى بين الأردن وفلسطين قلنا عن أى شأنها تستخبر قال أسألكم عن نخلها هل يثمر قلنا له نعم قال انها يوشك أن لا تثمر قال أخبرونى عن بحيرة طبرية قلنا عن أى شأنها تستخبر قال هل فى العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال أخبرونى عن النبى الأمى ما فعل قلنا قد خرج من مكة ونزل بيثرب قال أقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فأخبرناه بأنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال لهم قد كان ذلك قلنا نعم قال أما ان ذلك خير لهم أن يطيعوه وانى مخبركم عنى انى أنا المسيخ الدجال وانى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج فأخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية الا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها وان كان على كل نقب منها ملائكة يحرسونها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته فى المنبر هذه طيبة هذه طيبة يعنى المدينة ألا كنت حدثتكم ذلك فقال الناس نعم

قال « أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ما هذه الكتب التى تبلغنى عنكم تكتبونها أكتاب مع كتاب الله يوشك أن يغضب الله لكتابه فيسرى عليه ليلا فلا يترك فى ورقة أو فى قلب منه حرفا إلا ذهب به ، من أراد الله به خيرا أبقى فى قلبه لا إله إلا الله » وعن ميمون بن مهران أنى عمر بن الخطاب رجل فقال يا أمير المؤمنين انا لما فتحنا مدينة خيبر أصبت كتابا فيه كلام معجب فجئت به فقال أمن كتاب الله فقال لا

قال فانه أعجبنى حديث تميم الدارى أنه وافق الذى كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة إلا أنه فى بحر الشام أو قال بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ماهو ومن قبل المشرق ماهو وأومأ بيده إلى المشرق قالت فحفظت هذا من رسول الله ﷺ وقد قيل ان الدابة التى تخرج هو الفصيل الذى كان لناقة صالح عليه الصلاة والسلام فلما قتلت هرب الفصيل بنفسه فانفتح له حجر فدخل فى جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه إلى وقت خروجه باذن الله تعالى ويدل على صحة هذا القول ماتقدم فى الحديث من ذكر الرغاء بقوله وهى ترغو فان الرغاء انما يكون للابل * وقوله فى الحديث إلا أنه فى بحر الشام أو بحر اليمن قصد به ﷺ الابهام على السامعين أولا ثم انه أضرب عن ذلك بالتحقيق وقال لا بل من قبل المشرق قاله الامام القرطبى رحمه الله تعالى ورضى الله عنه والله أعلم .

﴿ باب طلوع الشمس من مغربها وغلق باب التوبة وكم يمكث الناس فى الأرض بعد ذلك ﴾

روى مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض » (وروى) الترمذى وغيره عن صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه » وقال سفيان انه قبل الشام خلقه يوم خلق السموات والأرض مفتوحا يعنى للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها (وروى) أبو اسحق الثعلبى وغيره من حديث طويل ما معناه ان الشمس تحبس عن الناس حين تكثر المعاصى فى الأرض ويذهب المعروف فلا يأمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد مقدار ليلة تحت العرش كلما سجدت واستأذنت ربها سبحانه وتعالى من أين تطلع لم يرد عليها جوابا حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذنان من أين يطلعان فلا يرد عليهما جوابا حتى يحبسا مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة إلا المتهجدون فى الأرض وهم يومئذ عصابة قليلة فى كل بلدة من بلاد المسلمين فاذا تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى إليهما جبريل عليه السلام فيقول ان الرب سبحانه وتعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغربكما فتطلعا منه وانه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيطلعان من مغاربهما أسودين لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما فى كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى « وجمع الشمس والقمر » وقوله تعالى « إذا الشمس كورت » فيرتفعان كذلك مثل البعيرين أو القرينين فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهى منتصفها جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما وردهما إلى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما ولكن يغربهما من باب التوبة ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن بينهما صدع فاذا غلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة يعملها إلا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجرى عليه ما كان قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى « يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا » ثم ان الشمس والقمر يكسيان بعد ذلك الضياء والنور ثم يطلعان على الناس ويغربان كما كانا قبل ذلك يطلعان ويغربان قال عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم وتبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة (قال العلماء) ويكون خروج الدجال قبل طلوع الشمس من مغربها كما هو ظاهر الأحاديث قالوا ولو أن طلوع الشمس من مغربها كان قبل خروج الدجال لم ينفع اليهود إيمانهم وإذا لم ينفعهم فلا يصير الدين واحدا والله أعلم . وفى الحديث ما معناه أن أول الآيات الخسوفات فاذا نزل عيسى عليه السلام وقتل الدجال خرج حاجا إلى مكة فاذا قضى حجه انصرف إلى زيارة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاذا وصل إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل الله عز وجل عند ذلك ريحا عترية فتقبض روح عيسى عليه الصلاة والسلام ومن معه من

فدعا بالدرة فجعل يضربه بها وقرأ « الر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا إلى قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين » ثم قال إنما هلك من كان قبلكم بأنهم أقبلوا على كتب علمائهم وتركوا التوراة والانجيل حتى درسا وذهب ما فيهما من العلم . وعن على رضى الله عنه : قال ثلاثة لا يقبل معهن عمل الشرك والكبر والرأى قالوا ياأمير المؤمنين ما الرأى قال يدعون كتاب الله تعالى وسنة رسوله ويعملون بالرأى * وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من نظر إلى عورة أخيه متعمدا لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما ولم تستجب له دعوة أربعين صبحا » وعنه

المؤمنين ويدفن عيسى عليه السلام مع النبى صلى الله عليه وسلم فى روضته ثم تبقى الناس حيارى سكارى فيرجع أكثر أهل الاسلام إلى الكفر والضلالة ويستولى أهل الكفر على من بقى من أهل الاسلام فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها وعند ذلك يرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف ثم تأتى الحبشة إلى بيت الله تعالى فينقضونه حجرا حجرا ويرمون بالحجارة فى البحر ثم تخرج دابة الأرض تكلمهم ثم يأتى دخان يملأ ما بين السماء والأرض فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام وأما الكافر والفاجر فيدخل من أنوفهم فيثقب مسامعهم وتضيق أنفاسهم ثم يبعث الله ريحا من الجنوب من قبل اليمن مسها مس الحرير وريحها ريح المسك فتقبض روح المؤمن والمؤمنة وتبقى شرار الناس ويكون الرجال لا يشبعون من النساء والنساء لا يشبعن من الرجال ثم يبعث الله الرياح فتلقيهم فى البحر هكذا ذكر بعض العلماء الترتيب فى الأشراط وقيل إذا أراد الله تعالى انقراض الدنيا وتمام لياليها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم وتقيل معهم حتى يجتمع الخلق كلهم بالمحشر الإنس والجن والدواب والوحوش والسباع والطير والهوام وخشاش الأرض وكل من له روح فبينما هم فى أسواقهم يتبايعون والناس مشتغلون بالبيع والشراء إذا هدة عظيمة من السماء فصعق منها نصف الخلق فلا يقومون من صعقتهم منذ ثلاثة أيام والنصف الآخر من الخلق تذهل عقولهم فيبقون مدهوشين قياما على أرجلهم فذلك قوله تعالى «وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق» فبينما هم كذلك إذا هدة أخرى أعظم من الأولى غليظة فظيعة كالرعد القاصف فلا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات منها كما قال ربنا عز وجل «ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله» فتبقى الدنيا بلا انس ولا جن ولا شيطان ويموت جميع من فى الأرض من الهوام والوحوش والدواب وكل شىء له روح وهو الوقت المعلوم الذى كان بين الله تعالى وبين إبليس الملعون انتهى * فنسأل الله تعالى من فضله أن يميتنا وجميع اخواننا على الاسلام ويدبر نافيما بين أيدينا من الأهوال بحسن التدبير آمين .

﴿ باب ما جاء فى خراب الأرض من البلاد قبل الشام ومدة بقاء المدينة خرابا قبل يوم القيامة ﴾

روى من حديث حذيفة بن اليمان عن النبى ﷺ أنه قال «يبدأ الخراب فى أطراف الأرض حتى تخرب مصر ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب البصرة وخراب البصرة من العراق وخراب مصر من جفاف النيل وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من الجوع وخراب اليمن من الجراد وخراب أيلة من الحصار وخراب فارس من الصعاليك وخراب الصعاليك من الديلم وخراب الديلم من الأرمن وخراب الأرمن من الخزر وخراب الخزر من الترك وخراب الترك من الصواعق وخراب السند من الهند وخراب الهند من الصين وخراب الصين من الدحل وخراب الحبشة من الرجفة وخراب الزوراء من السفيانى وخراب الروحاء من الخسف وخراب العراق من القحط ذكره الامام أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله (قال الامام القرطبى) وسمعت أن خراب الأندلس بالريح العقيم والله أعلم وكان نوف البكالى رضى الله تعالى عنه يقول الدنيا كالطير فاذا أخذ جناحه سقط وجناحا الأرض من مصر والبصرة فاذا خربتا ذهبت انتهى . وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال «أما والله يا أهل المدينة لتتركنها قبل يوم القيامة بأربعين» وكان كعب رضى الله تعالى عنه يقول ستخرب الأرض قبل الشام بأربعين سنة وليهاجرن الرعد والبرق قبل الشام حتى لا تكون رعدة ولا برقة إلا ما بين العريش والفرات الله أعلم .

﴿ باب لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله ﴾

روى مسلم عن أنس قال قال رسول الله ﷺ «لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله» وفى

صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «من احتكر على أمتى طعاما أربعين يوما ضربه الله بالجذام والافلاس» * وعنه ﷺ أنه قال «سبعة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ولا يجمعهم الله مع العاملين ويدخلهم النار أول الداخلين إلا أن يتوبوا إلا أن يتوبوا إلا أن يتوبوا فمن تاب تاب الله عليه الناكح يده والفاعل والمفعول به الذين يعملون عمل قوم لوط ومدمن خمر والضارب والديه حتى يستغيثا والمؤذى جيرانه حتى يلعنوه والزانى بحليلة جاره» وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «ثلاثة من

رواية أخرى «لاتقوم الساعة على أحد يقول الله الله» انتهى قال العلماء رحمهم الله وقد ضبطوا لفظ الجلالة برفع الهاء ونصبها فمن رفع فمعناه ذهاب التوحيد ومن نصب فمعناه انقطاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أي لاتقوم الساعة على أحد يقول اتق الله وقال بعضهم معناه ان الله تعالى أجرى هذا الاسم العظيم على ألسنة جميع العباد من قوم نوح الى قيام الساعة فقال قوم نوح «ولو شاء الله لأنزل ملائكة» الآية وقال قوم هود أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وقال تعالى «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله» الى غير ذلك فاذا أراد الله تعالى زوال الدنيا قبض أرواح المؤمنين وانتزع هذا الاسم من ألسنة الجاحدين قال وهو معنى قوله ﷺ «لاتقوم الساعة وعلى وجه الارض من يقول الله الله» وفي الحديث ان الله عز وجل يقول لاسرافيل اذا سمعت قائلا يقول الله الله فأخر النفخة أربعين سنة اكراما لقائلها والله تعالى أعلم .

﴿ باب على من تقوم الساعة ﴾

روى مسلم أن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال لاتقوم الساعة الا على شرار الخلق وهم شر من أهل الجاهلية لايدعون الله بشيء إلا رده عليهم فدخل عقبة بن عامر فقيل له ألا تسمع ما يقول عبدالله فقال عقبة هو أعلم وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول : لاتزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله ظاهرين بعدوهم لايضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك فقال عبدالله أجل ثم يبعث الله تعالى ريحا كريح المسك مسها كمس الحرير لاتترك أحدا في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان الا قبضت روحه ثم تبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة وفي حديث عبدالله بن مسعود «لاتقوم الساعة الا على شرار الناس من لايعرف معروفا ولا ينكر منكرا يتهارجون تهارج الحمر» الحديث ومعنى يتهارجون تهارج الحمر أي يتسافدون يقال بات فلان يهرجها أي يجامعها قال الاصمعي قال والهرج في غير هذا هو الاختلاط والقتل كما ورد في حديث آخر (وروى) مسلم «عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : لاتقوم الساعة - وفي رواية - لاتذهب الليالي والايام حتى تعبد اللات والعزى . فقلت يارسول الله كنت لأظن حين أنزل الله «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» الا إن ذلك عام قال سيكون من ذلك ماشاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتتوفى كل من في قلبه مثقال حبة من ايمان فيبقى من لاخير فيه فيرجعون الى دين آبائهم» (وفي البخاري) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لاتقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة» الحديث قال أبو الحسن بن القطان رحمه الله هذه الأحاديث وما جاء في معناها ليس المراد بها أن الدين ينقطع كله في جميع أقطار الأرض حتى لايبقى منه شيء لأنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الاسلام يبقى الى قيام الساعة انما المراد أنه يضعف ويعود غريبا كما بدا (وفي الحديث) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق حتى يقاتل آخرهم المسيخ الدجال» اه وكان مطرف رضي الله عنه يقول هم أهل الشام (وفي الحديث) أن النبي ﷺ قال « اذا نزل عيسى عليه الصلاة والسلام قتل المسيخ الدجال ويخرج يأجوج ومأجوج ويموتون ويبقى عيسى عليه الصلاة والسلام ودين الاسلام لايعبد في الارض غير الله وأنه يحج ويحج أصحاب الكهف معه» والمراد بقيام الساعة في الاحاديث قرب قيامها والله أعلم (وروى) الحافظ أبو نعيم عن كعب الاحبار قال يمكث الناس بعد خروج يأجوج ومأجوج في الراحة الشديدة والخصب عشر سنين وان الرمانة الواحدة ليحملها الرجلان وان العنقود الواحد من العنب ليحمله الرجلان ويمكثون على ذلك عشر سنين ثم يبعث الله تعالى ريحا طيبة فلاتدع مؤمنا الا قبضته ثم تبقى الناس بعد ذلك يتهارجون تهارج الحمر في المروج حتى يأتيهم أمر الله والساعة وهم على ذلك انتهى (وليكن) ذلك آخر ما اختصرناه من كتاب التذكرة للامام القرطبي رحمه الله تعالى ونسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يتوفانا مسلمين

الجفاء أن يمسح الرجل جبهته قبل أن يفرغ من صلاته وأن يبول قائما وأن يسمع الأذان ولا يقول مثل مايقول المؤذن » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «ثلاثة يضحك اليهم ربك يوم القيامة الرجل اذا قام من الليل يصلي والقوم اذا صفوا للصلاة والقوم اذا صفوا للقتال» وفي الحديث « رحم الله امرأ عف لسانه عن أعراض المسلمين فان شفاعتي لاتحل لطعان ولا للعان» وفي الحديث « اللعانون لايكونون شفعاء ولاشهداء يوم القيامة » (حكاية) مر خنزير على سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام فقال له اذهب بسلام فقيل له انه خنزير فقال انى لاأحب أن أعود

على الكتاب والسنة لامغيرين ولا مبدلين وأن يجعلنا ممن يصبر على البلاء الذى لامرد له ويرى جميع مايصيبه من الشدائد والاهوال من بعض مايستحقه من العقوبات آمين اللهم آمين (قال مؤلفه) الشيخ الامام العالم العلامة العمدة الفهامة مربى المريدين القطب الربانى والعارف الصمدانى عبدالوهاب الشعرانى أفاض الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وأعاد علينا من أسراره ونفحاته فى الدين والدنيا والآخرة يارب العالمين آمين والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وكان الفراغ من تأليفه يوم السبت سابع عشر ربيع الاول سنة ثمان وتسعمائة بمصر المحروسة وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم



لسانى إلا خيرا * وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: أتانى جبريل فقال يامحمد ان الله يأمرك بغسل الفنيك قلت ما الفنيك قال اللحية وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « اذا توضأت فخلل لحيتك وأصابع يديك ورجليك » وتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ كفا من الماء فخلل به لحيته وقال « هكذا أمرنى ربى والحمد لله على التمام والكمال وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ فهرست مختصر التذكرة القرطبية ﴾

صفحة

صفحة

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست كتاب قرة العيون ومفرح القلب المحزون الذى بالهامش ﴾

﴿ تمت ﴾